الناس والسحر

الناس والسحر

بحث فى علم الاجتماع الغيبى

دكتـورة

سامية حسن الساعاتى

النـاشـــر

الدار المصرية السعودية

للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة

اسـم الكتاب: الناس والسحر

اسم المؤلف : د. سامية حسن الساعاتى

سنة النشر : 2006م

رقم الإيداع : 2629 / 2006م

الترقيم الدولي : 4 - 88 - 6122 - 977

الناشر

الدار المصرية السعودية

للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

E - Mail: egysaudi@link.net

حقوق الطبع والترجمة والاقتباس محفوظة

الإدارة : 16 عمارات العبور شارع صلاح سالم
الدور الثالث- مدينة نصر- القاهرة

تليفاكس : 02 / 2621365

محمول : 0123171744 - 0123171722 - 0123140315

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى أمى الحبيبة ..

نبع الحب والفهم والعطاء

أهدى كتابى هذا تقديرًا

وعرفانا وبعضا من وفاء ..

سامية حسن الساعاتى

تقديم

بعد مرور سنوات على نشر كتابى هذا بعنوان السحر والمجتمع دراسة نظرية وبحث ميدانى، يطيب لى أن ينشر من جديد بعنوان: « الناس والسحر: بحث فى علم الاجتماع الغيبى ».

والحقيقة أننى أشعر الآن بسعادة غامرة، وأنا أكتب هذا التقديم لهذا الكتاب. وقد أجريت عليه تعديلات تتمثل فى إضافة أجزاء جديدة فى الفصل الرابع تخص موضوع الإسلام والسحر وأيضا إضافة أجزاء أخرى جديدة فى الفصل الخامس تخص دور ظاهرة السحر فى المجتمع المصرى. هذا إلى جانب دراسة تتبعية قمت بها من سنة 97 – 2002 عن السحر والسحرة فى الريف والحضر.

وكم شعرت بالرضا، وأنا أراجع الكتاب للطبع عندما وجدت أننى قد وفيت موضوع الناس والسحر حقه، ذلك أن ظاهرة السحر إلى جانب ظاهرات غيبية أخرى أصبحت محورا لعلم حديث، كثر فيه البحث، فى المجتمعات الشرقية، والغربية، وهذه البحوث كلها يتضمنها الميدان الجديد الذى أطلق عليه ما وراء علم النفس meta -Psychology .

ونحن كباحثى علم الاجتماع ليس علينا أن نحكم على الظواهر، ونقيمها، وإنما علينا تقرير الحقائق المتعلقة بها، وتحليلها، وتفسيرها. لذلك فإن أى مؤلف علمى يبدأ بالحكم عليها بأنها من قبيل الدجل أو الأساطير يصبح غير علمى، لأنه وقع فى خطأ إصدار حكم مسبق على هذه الظواهر، بل أن يكون قد وقع فى خطر تصديق بعض الآراء الشائعة التى سادت حقبة طويلة، تسفه ما يعتقده الناس فى الظواهر الغيبية.

والواقع أن ميدان الناس والسحر يشهد المزيد من الممارسين المحترفين

المتخصصين، والمترددين عليهم، وذلك كما تدلنا الإحصاءات المعاصرة من واقع بعـض الدراسـات، وكما تنبئنا وسائل الأعلام المختلفة من مقروءة، ومسموعة، ومرئية، ففى كل يوم تطالعنا الصحف بحوادث وحكايات مختلفة تخص المشتغلين بالسحر، والمترددين عليهم.

وقـد يظن البعض أن هذا الميدان ينحسر شيئًا فشيئًا، وأن العاملين، يضيق بهم الخناق بمرور الوقت، بحكم منطق التغيير والتنمية، وزيادة الوعى، لكن الأمر فى حقيقته خلاف ذلك.

فهـناك محترفون جدد يعززون الميدان باستمرار، ويحرصون على تطوير أسـاليبهم الوقائـية مـثل "الـتحويطة وغيرها". وأساليبهم العلاجية مثل الرقوة، والأعمـال المخـتلفة بمـا يحقق مزيدا من الاقبال عليهم، والطلب على خدماتهم، وهكذا يبقى الميدان مزدهرا.

ومن خلال دراسة تتبعية قمت بها خلال سنة 1997 حتى سنة 2002 عن السـحر والسـحرة فى الريف والحضر، وجدت أن بعض السحرة قد أدخل شيئًا جديدا على أسلوبه، ومنهجه فى السحر، فهو كثيرا ما يجمع بين السحر والعلاج الطـبى الحديـث، فـى آن واحـد، فهناك طفل ذهب به أهله إلى الشيخ المشتغل بالسحر، فكتب لـه "حفظ". وقرر لـه دواء طبيا حديثا، وآخر كان يعانى من آلام معوية مزمنة، فكتب لـه المشتغل بالسحر حجابا، وقرر لـه برنامجا غذائيا دقيقا. وهـناك ساحر آخر كان يكشف على مرضاه بالسماعة، ويسمى نفسه "بالدكتور"، مثل الدكتور "شيحة" فى قرية فى محافظة الغربية.

أمـا مـن حيث الأجر على سبيل المثال، فتدل الشواهد الواقعية، على أن تقاضـى المشـتغلين بالسـحر لأجورهـم، قد شهد فى السنوات القليلة الأخيرة الماضـية، تغيرا من حيث الكم، والنوع فقد تضاعف هذا الأجر عدة مرات، لأنهم

علـــى وعـــى بـــأن خدماتهم مطلوبة سواء للوقاية أو العلاج، لذلك فهم يرفعون أجورهم لاسيما وأن الأسعار فى زيادة مستمرة.

وأمـــا من حيث النوع، فإن الأجر أصبح غالبا يقتصر على النقود، ولم تعد المـــواد العينية تستخدم لهذا الغرض إلا نادرا. ولا يخفى أن ما كشف عنه البحث الميدانى، مازال سائدا هذه الأيام، كما أكدته دراستنا التتبعية للناس والسحر، وحيث وجدت أن كثيرا من **الممارسات الشعبية تستمد قوتها من ربطها بالدين** على نحو أو آخـــر. ويـــبدو هذا الارتباط بشكل واضح فى العلاج الدينى – السحرى، حيث تستخدم أسماء الله الحسنى، وآيات من القرآن الكريم.

ويحدونـــى عظيم الأمل، فى أن يسهم كتابى هذا، **عن الناس والسحر**، دراسة وبحثا، فى إثراء المكتبة العربية، وبخاصة فى ميدان علم الاجتماع الغيبى، وفى تقديم نموذج متفرد، ومفيد، لطلاب البحث، وراغبى الاستزادة من محبى العلم والمعرفة.

والله من وراء القصد

سامية حسن الساعاتى

مصر الجديدة : فى 4 يناير 2006

استهلال

دوافع ثلاثة تلك التى دفعتنى إلى دراسة ظاهرة السحر دراسة نظرية عامة، تتضمن فى ثناياها حقائق متعلقة بواقعها فى المجتمع المصرى، ثم بحثها بحثا ميدانيا فى إطارها الواقعى المصرى.

أما الدافع الأول، **فإعلامى عام**، ذلك لأننى لاحظت انتشار هذه الظاهرة حتى بين المتعلمين فى مصر، بل إن كبرى الصحف والمجلات المصرية، أصبحت تفرد لهذه الظاهرة أماكن بارزة فيها. وهناك صحيفة يومية درجت لمدة طويلة على نشر إعلان لعرافة تطلق على نفسها الحاجة .. الروحانية. وذلك بشكل منتظم فى مكان بارز من إحدى صفحاتها.

وحدث على سبيل المثال أن نشرت بعض الصحف والمجلات المصرية. ومنها مجلة صباح الخير فى عددها رقم 983 / 7 نوفمبر 1974. "فى المباراة التى أقيمت يوم الجمعة 25 أكتوبر بين فريق المحلة، وفريق تانزانيا، ظل فريق المحلة مهاجما طوال الوقت لكن دون جدوى، ورغم أنه شدد هجماته، لكن جميع الفرص ضاعت منه. وبدأ الجمهور يشعر بأن هناك شيئا غير عادى. وبالفعل لاحظوا وجود بعض التمائم والأحجبة وضعها حارس المرمى خلفه، وعلى الفور تقدم أحد المتفرجين، واختطف الأحجبة، وحدثت مطاردة، ثم استؤنف اللعب، وجاء الهدف الأكبر بين تكبيرات المتفرجين".

وبينما كنت أتجول فى منطقتى السيدة زينب، والحسين، بمناسبة الاحتفال بمولد كل منهما لاحظت انتشار كتب متنوعة فى السحر مثل: شمس المعارف الكبرى للبونى، ومجربات الديربى الكبير، والسحر الربانى فى علوم الروحانى،

وتسخير الشياطين فى وصال العاشقين، والسحر العجيب فى جلب الحبيب. فأخذت أفكــر فى هذه الظاهرة، وأدركت أن فى انتشار عرض هذه الكتب ما يدل على أن هناك طلبا كبيرا عليها. ومن هنا عزمت على بحثها.

والدافــع الــثانى، **تــاريخى ثقــافى**، فدراســة ظاهرة السحر فى المجتمع المصرى، تلقى الضوء على سمات أخرى من سمات مجتمعنا المصرى، وتعد من مكونات الشخصية المصرية.

وأول هــذه الســمات هى سمة **الاستمرار**، بمعنى أن هناك بعض العناصر الثقافية القديمة يستمر بقاؤها فى المجتمع المصرى حتى الآن، ومن هذه العناصر ظاهــرة الســحر فــى المجــتمع المصرى المعاصر، فجذورها ضاربة إلى عهد المصــريين القدمــاء، وهــى موجودة فى كثير من تفصيلاتها كما كانت تماما فى مصــر القديمــة (على سبيل المثال العروسة الورقية التى تثقب بالإبرة لاتقاء شر العين والحسد، والرقى المتعددة الأغراض ... إلخ).

ويرجع ذلك فى – فى اعتقادى – أساسًا إلى إن عناصر النشأة الطبيعية التى أوجــدت ظاهــرة السحر فى مصر القديمة، مازال الكثير منها موجودا وقائمًا فى المجتمع الحديث والمعاصر وأهم تلك العناصر فى رأيى عنصرا **الخوف، والعجز**.

هــذا بالإضــافة إلــى أن أغلب المعتقدات السحرية فى المجتمع المصرى مــيراث مشترك يؤمن به أفراد المجتمع على اختلاف فئاتهم، وبيئاتهم، بل أيضا علــى اختلاف دياناتهم رغم تعارض معظم المعتقدات السحرية – التى سنتعرض لها بالدراسة والبحث – تستمد جذورها من مصادر أقدم من الدين (سواء اليهودية أم النصــرانية أم الإسلام)، كما أنها تعبر عن عنصر أقدم، فى الشخصية القومية للشــعب المصرى، ومن هنا لا يستشعر المصرى المنتمى إلى أحد الأديان، أدنى غضاضة فى ممارسة أحد معتقدات مصرى آخر ينتمى لدين مغاير.

أمـــا الدافع الثالث، فعالمى ثقافى، وهو أن **ظاهرة السحر ظاهرة عالمية،** وشـــكل شائع من أشكال الفكر بين الناس، ويمكن أن ينشأ آليا وبشكل مستقل عن أفكـــار أخـــرى مشـــابهة فى بيئات ثقافية أخرى، وذلك بسبب الوحدة النفسية بين البشـــر. ويعـــبر باســـتيان Bastian عن عالمية الظاهرة بمفهوم الفكرة الأساسية Elementargedanke، فـــى ســـنة 1860 كما عبر "جريم" W. Grimm عن الفكرة نفسها قبل ذلك بأربع سنوات حين كتب يقول: "**هناك بعض الظروف التى تبلغ حدا من البساطة والطبيعية يجعلها تتكرر فى كل مكان، كما أن هناك أفكارا تنبثق من تلقاء نفسها**".

فظاهرة السحر من الظواهر التى يمكن أن نطلق عليها اسم "النظائر الثقافية" Cultural Parallels وهى ظواهر ثقافية متشابهة توجد فى مختلف أجزاء العالم، فكـــل الشـــعوب تعـــرف الحجاب، والطلسم، والنذور، وطقوس الأعمال السحرية المختلفة كالصمت والصوم، وخلو المعدة من الطعام .. إلخ.

ويؤكـــد مـــا ذهبنا إليه ما جاء فى جريدة الأهرام بتاريخ 9/ 6/ 1981 فى باب بعنوان مواقف "لقد زاد عدد الأمريكان الذين يحملون " الأحجبة " فى جيوبهم أو التعاويذ. وهذه الزيادة ليست مقصورة على سكان المدن أو المتعلمين أو رجال الأعمال .. وإنما 99 ٪ من رواد الفضاء يفعلون ذلك".

"وفـــى آخر إحصاء أن عدد الرجال الذين يحملون التعاويذ يقترب من عدد النساء. وقد سئل أحد علماء النفس عن تفسير لذلك فأجاب: " التفسير العلمى لا يهم وإنما الذى يهم هو **شعور الإنسان بأن هذا يعطيه إحساسا بالأمان** ".

وجدير بالذكر أن ظاهرة السحر إلى جانب ظاهرات غيبية أخرى أصبحت محور علم حديث كثر فيه البحث ليس فى المجتمعات الغربية المتقدمة فحسب، بل أيضـــا فـــى مجتمعات الكتلة الشرقية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى "سابقًا" وهذه

البحوث كلها يتضمنها الميدان الجديد الذى أطلق عليه ما وراء النفس meta - Psychology، ومن أبرز البحوث فى هذا الميدان تلك البحوث المتعددة فى ذلك المجال المعروف باسم Extra Sensory Perception.

ونحن باحثى علم الاجتماع ليس علينا أن نحكم على الظواهر أو نقيمها وإنما علينا تقرير الحقائق المتعلقة بها، وتحليلها وتفسيرها، لذلك **فإن أى مؤلف علمى عن هذه الظواهر الغيبية يبدأ بالحكم عليها بأنها من قبيل الدجل، أو الأساطير، يصبح غير علمى**، لأنه وقع فى خطأ إصدار حكم مسبق على هذه الظواهر، بل إنه يكون قد وقع فى خطر تصديق بعض الآراء الشائعة التى سادت حقبة طويلة، تسفه ما يعتقده الناس فى الظواهر الغيبية.

والقسم الأول من كتابنا الناس والسحر يتميز بأنه دراسة تاريخية ثقافية اجتماعية تشمل خمسة فصول يتناول الأول منها لمحة تاريخية عن ظاهرة السحر فعرض فيها بإفاضة للسحر عند قدماء المصرين لإبراز أوجه الشبه بين المعتقدات السحرية فى مصر القديمة، وبين المعتقدات السحرية الحالية فى مصر.

ويوضح الفصل الثانى أهم المفهومات الأساسية والمرتبطة بالسحر، أما الفصل الثالث فيعرض عرضا تحليليا نقديا أهم تصنيفات السحر، التى اجتهدنا فى تبويبها، وعرضها بالشكل التى هى عليه، وفى الفصل الرابع تفصيل للصلة ما بين السحر والدين، وأوجه الشبه بينهما، وأوجه الاختلاف – وموقف الأديان (اليهودية والنصرانية، والإسلام) من السحر – أما الفصل الخامس فنتناول فيه السحر كظاهرة اجتماعية، وفيه نحلل ظاهرة السحر من وجهة نظر العلوم الاجتماعية، ونبين الصلة بينها وبين العادات الاجتماعية والتنشئة الاجتماعية، ثم نفصل الوظيفة الاجتماعية لظاهرة السحر، وأخيرًا نختتم هذا الفصل الهام بدراسة تحليلية تتبعية للسحر فى سوسيولوجيا المجتمع المصرى الحديث، وبتحليل لدور ظاهرة السحر فى المجتمع المصرى.

وتعــد الدراســة النظرية لظاهرة السحر، خاصة فى الفصل الأخير منها، والخاص بالسحر كظاهرة اجتماعية مدخلا تأصيليا للبحث الميدانى الذى يمثل القسم الــثانى والفصل السادس من هذا الكتاب والذى اخترنا عنوانه: **ظاهرة السحر** فى مدينة القاهرة. ويشتمل على **عمل ميدانى، ومسح سحرى للمدينة**، يعطينا صورة حــية لمــا وصــلت إليه هذه الظاهرة فى الربع الأخير من القرن العشرين، وفى عاصمة هذا المجتمع بالذات، وهى مدينة القاهرة.

وينقسم **البحث الميدانى** إلى شقين أساسيين: الأول وهو يمثل الفصل السابع خاص بالمشتغلين بالسحر فى مدينة القاهرة، ومناطق توزعهم فيها، وتوزيعهم وفق أعمــارهم، ونوعهم، وديانتهم، ومستوى تعليمهم، وحالتهم الاجتماعية .. إلخ. أما الشق الثانى من البحث وهو يمثل الفصل الثامن فيختص بالمترددين على المشتغلين الســحر فى القاهرة، وتوزيعهم فيها، حسب القسم الإدراى، وفئات السن، والنوع، ومســتوى التعليم، والحالة الاجتماعية، ودوافع التردد، وعدد مراته، ومدى شعور المتردد بالفائدة من تردده. ويأتى الفصل التاسع ليعطى النتائج النهائية للبحث.

وفــى معالجتــنا لظاهــرة الســحر والمجتمع المصرى، لا نتناول الحقائق الخاصة بآثاره، ولا تلك المقولات التى تتداول بين الناس بخصوص فاعلياته، لأن هذه مسائل لا دخل لعلم الاجتماع فيها، وإنما ينحصر اهتمامى كباحثة، فى ظاهرة السحر نفسها فى المجتمع المصرى من حيث:

(أ) وجودها.

(ب) مدى انتشارها.

(جـ) والمحيط الذى تنتشر فيه.

وذلــك بقصد التوصل إلى فروض وتعميمات بخصوص ظاهرة السحر فى المجــتمع القاهــرى، وفى مدينة القاهرة باعتبارها أكبر مدينة مصرية، وأوسعها

عمـــرانا، وأوفرها سكانا، وأنماها حضارة وثقافة، تسهم مستقبلا فى إثراء نظرية عامة عن ظاهرة السحر فى المجتمع المصرى.

والجديد فى تناولنا لهذا الموضوع، هو **المعالجة الاجتماعية الثقافية لظاهرة السحر، وهو اجتهاد مستحدث فى المكتبة العربية** يختلف عن الاجتهادات التقليدية الأخرى، سواء التاريخى منها، أو الدينى، أو الأنثروبولوجى، وإن لم يغفل أيا من هذا الأبعاد.

كما أن الجهد المخلص المبذول فى العمل الميدانى لبحث ظاهرة السحر فى مديـــنة عاصـــمية وهى القاهرة، لهو الآخر جهد متميز فى طبيعته، وفى تعرضه لعاصـــمة حضرية لدراسة ظاهرة السحر فيها، والشائع حتى الآن فى ظن معظم المفكريـــن والباحثيـــن على السواء. أن السحر قاصر على قرى الريف المصرى فقـــط، والجديـــد أيضا هو تناولنا لكل من المشتغلين بالسحر، والمترددين عليهم معـــا، وكـــل فـــئة مـــنها تتطلب وحدها، فى دراستها، بحثا مضنيا، ومن الأفكار المبـــتكرة فى هذا البحث ما توصلنا إليه من رسم " **خريطة سحرية** " يتمثل عليها المشتغلون بالسحر بحسب توزعهم فى الأقسام الإدارية المختلفة.

وأرجـــو أن أكون بكتابى هذا بقسميه النظرى، والميدانى، قد أسهمت بجديد من أجل فهم ثقافتنا المصرية، تلك الثقافة الغنية بظواهر تتطلب الدراسة والتحليل، والتفســـير، والفهـــم، وأن أكـــون قد وجهت بعض **الأنظـــار لتتجه إلى الداخل فى أبحاثها، من أجل علم اجتماع مصرى معاصر**، كما أرجو أن يكون الكتاب قد أثار بعـــض التســـاؤلات، والاهتمامات التى تدفع باحثين آخرين ربما من تخصصات مقاربـــة، كالأنثروبولوجيا، وعلم النفس، وعلم النفس الاجتماعى إلى تناول ظاهرة السحر من أبعاد أخرى تزيد الموضوع ثراء.

1

الناس والسحر

الدراسة النظرية

الفصل الأول

ظاهرة السحر . .

لمحة تاريخية

تمهيد

من الأمور الغامضة المحيرة التى تستعصى على الفهم ، تلك المسائل والموضوعات التى أطلق عليها فى مجموعها علوم ما وراء الطبيعة (metaphysics) ومنها ظاهرة السحر، أو علم السحر، أو فن السحر، كما يحلو لبعض الباحثين والعلماء أن يسموه. والمعروف أن السحر كان منذ العصور الموغلة فى القدم أداة يعتقد الناس أنها تعينهم فى حل مشكلاتهم التى يربطونها بعالم الغيب الذى يتحايلون على جلاء غموضه، ورفع بعض أستاره بشتى الوسائل التى تدخل فى هذه الظاهرة.

وسنتناول فى هذا الفصل ظاهرة السحر من منظور تاريخى، فنستعرض منشأ وجود السحر ونعنى بإيراد لمحات تاريخية عن السحر عند الفرس، ثم الكنعانيين، والكلدانيين، ثم البدائيين، ثم نعرض بإفاضة للسحر عند قدماء المصريين، لإبراز التشابهات وأوجه الصلة بين المعتقدات السحرية فى مصر القديمة، والمعتقدات السحرية الحالية فى مصر.

ولما كان السحر من أول الأمور التى اهتم بها الإنسان واعتقد فى وجودها وحقيقتها. فقد نقش معتقداته وطقوسه وتعاليمه ومعرفته على هذه الصخور أو صنع لها التماثيل. ولما ارتقى به أمر القراءة والكتابة عمد إلى الكتابة فيه، وترك مخلفات كثيرة بين مخطوط ومكتوب ومنقوش تدلنا جميعها على مبلغ اهتمامه بالسحر ومازال الأمر على هذا المنوال حتى يومنا هذا.

وفى الحقيقة فإن الإنسان منذ أول عهده بالحياة كان يعيش فى رعب دائم تارة من الوحوش الكاسرة، وطورا من الزواحف الهائلة، وتارة أخرى من الظواهر الطبيعية التى كانت تبعث الفزع فى كيانه لجهله بأسبابها وعوامل تلافيها

مـــثل البرق والرعد التى كان الإنسان ينسبها إلى مخلوقات أخرى عاتية لا يراها ويجهل أمرها تماما.

ولـــم يقتصر خوف الإنسان على نفسه من هذه العوامل فقط بل تعداها إلى أخيه وزميله الإنسان الذى يعيش معه أو بجواره، لما كان يجيش فى الصدور من نـــزعات ورغبات وعواطف وإحساسات متباينة متناقضة فى قوتها وهيئتها لا يفقه مـــن أمـــرها شيئا ولكنه يراها تدفعه للإضرار بغيره، أو التعلق والتزلف لـــه، أو اكتساب مودته.

ووســـط هذه المخاوف، التى قد تصل إلى حد الرعب والفزع والهلع أحيانا، عـــاش أهل الفرات ودجلة، وهم أول من استعمر الأرض، ومنهم السامريون الذين عاشـــوا قبل ظهور المسيح عليه السلام بخمسة آلاف عام وكذلك الكلدانيون والكنعانيون والآشـــوريون وهم أول من استخدم السحر، ونقله عنهم أقباط مصر ثم يهودها، ثم انتقل إلى الهند وأوروبا وأفريقيا وأمريكا وعم العالم بأسره.

وقـــد اختلفت الآراء فى معرفة أول ساحر فى الوجود، ولكن الرأى الغالب يؤكد أن ذرية (هابيل) هم أول من مارس السحر بمدينة بابل لأنهم كانوا زمرة من المجرميـــن العـــتاه، وأن المولى عز وجل عاقبهم بالفيضان لكثرة مساوئهم وتعدد مخـــازيهم والتجائهم للشياطين وأعوانهم من دون الله، ويقال أن (هام Cham) ابن نـــوح عليه السلام كان من أوائل السحرة، كان يأوى إلى جبل خاص يناجى فيه شيطانه حـــتى أنه عندما حدث الفيضان ودعاه والده ليركب فى الفلك معه وينجو، عصى أمـــره مفضـــلا الالتجاء إلى هذا الجبل معتقدًا أن خلاصه سيأتى على يد الشيطان فخاب أمله وكان من المغرقين.

وحـــذا حذو (هام) أنجاله كنعان وسيدون وغيرهما، واتخذوا السحر وعبادة الشـــياطين والاتصال بهم دينا لهم، وينسب البعض إلى هذه الذرية معظم ما يحدث فـــى هـــذا العـــالم من شرور فقد تعلم أحد أبنائه من الشيطان (عزازيل) صناعة الحـــراب والمـــدى والتروس والدروع. فانتشر القتل والجرائم والحروب وتعلمت

نســـاؤه مـــن نســـاء الشياطين استعمال العطور والزينة والتبرج فسادت الخلاعة، والفسق، والفجور، وتولدت عنها الغيرة والانحلال الخلقى (1).

وانتشــــرت ذرية (هام) فى بقاع الأرض واستوطن عدد كبير منهم بزعامة ابـــنه (زوروســـتر Zoroaster) ومعناه (نجمة الحياة المضيئة) بلاد الفرس. وقد أجمع معظم المؤرخين والكتاب على أن زوروستر، هو أول من أسس علم السحر ووضع لـــه قواعده، وزاوله، ومارسه، وترك فيه آثاره التى مازالت للآن مرشدا ومرجعا لجميع السحرة (2).

و" زوروستر " هو أول من لفت نظر الناس إلى الكواكب والأجرام السماوية وأدخـــل فـــى روعهم شدة بأسها بصفتها آلهة كبيرة بيدها صلاحهم وفسادهم، ولذا وجبـــت عبادتها وترضيتها. وقد نزلت كل الكتب السماوية تنهى عن عبادة الشمس والقمر والكواكب.

وعلـــم زوروستر السحر لأنجاله (أزوناس وأبيولوس وأرومازوس) وانتقل منهم إلى غيرهم، وقطع القفار، وعبر البحار وانتشر فى جميع أنحاء الأرض حتى أنه عند اكتشاف أمريكا وجدوا سحرتهم يقومون بطقوسهم وصلواتهم السحرية كما نصـــت علـــيه المراسيم التى خلفها الفرس والأشوريون، كما أنهم وجدوا عادات السحرة وأعمالهم بالمكسيك هى بذاتها التى يقوم بها سحرة مقاطعة النافار بفرنسا، والـــتى مـــازلوا يمارســـونها إلى الآن، كما يوجد فى الوقت الحالى ما يربو على المائـــتى ألـــف شـــخص مـــن طائفة (الباريسين) بالهند يدينون بمذهب زوروستر ويعملون حسب تعاليمه السحرية (3).

ويمكـــن القول إذن بأن تاريخ ظاهرة السحر السحرة يبدأ منذ خمسة آلاف

---

(1) انظر محمد جعفر، كتاب السحر، ص 4، 5.

(2) Encyclopedia Britannica. 1965. Vol. 14, p. 570.

(3) محمد جعفر، المصدر السابق، ص 7.

عـــام وقـــبل ظهـــور المســـيح عليه السلام عندما وضع أسسه ومارسه الساحر الكبير (زوروســـتر) فـــى بلاد الفرس، وقد حفظت معظم تعاليمه فى الأفستا (Avesta) وهـــو الكـــتاب المقدس للفارسيين القدماء. كما عد الكهنة الفارسيون أو المجوس الرعيل الأول من السحرة والمنجمين.

وترتـــبط كلمـــة "مجوس" اللاتينية الأصل بتاريخ طويل يرتد فى أصله إلى قبيلة فارسية قديمة تخصصت فى عديد من المناشط التعبدية.

وثمـــة نـــزاع حـــول مـــا إذا كان المجوس منذ البداية تابعين لزوروستر (زرادشت) وأول مريدين لـــه. والواقع أنه منذ القرن الأول الميلادى إلى ما بعده استخدمت كلمة مجوس للإشارة إلى السحرة والراجمين بالغيب الوافدين أساسًا من بـــابل، وقـــد اشـــتهروا بأشـــكال مختلفة من الحكمة. ولكن بانهيار الإمبراطورية الفارسية صارت هناك تفرقة بين المجوس الفارسيين الذين تميزوا بالمعرفة الدينية العميقة، وبين المجوس البابليين الذين اعتبروا غالبًا من السحرة المشعوذين [1].

وجاء بعد الفرس الكنعانيون والمصريون والهنود وغيرهم، وكان لكل منهم طريقـــته واعـــتقاداته الخاصة فى عمله، ولكن أساس العمل واحد فى جميع البلاد ويرجع إلى ما وضعه زوروستر فىَ هذا السبيل.

(أ) السحر عند الكنعانيين

كان الكنعانيون يعتقدون اعتقادا عظيما فى القوة السحرية التى تشعها أجساد القطط والكلاب التى ذكروا عنها شيئا كثيرا فى مخلفاتهم ونقوشهم وآثارهم. ومنها أنه إذا دخل كلب أحمر اللون أحد المعابد فرت منه الآلهة، وولت منه البركة، وإذا دخلـــه كلب أصفر سرقت محتوياته، أما إذا دخله كلب أبيض فهذا دليل على بقاء المعبد فترة طويلة مع ازدياد خيراته، وأيضًا إذا دخل كلب أسمر قصر الملك هجر

(1) الموسوعة البريطانية، المصدر السابق، الصفحة نفسها.

الأخـــير زوجته ودب الانحلال فى أسرته، وتفشى الفساد فى حاشيته ومملكته حتى يـــزول ملكـــه، وإذا جلـــس كلب أسود على عرش الملك فهذا نذير بموته وشبوب حريق كبير فى عاصمته.

وكانوا يتشاءمون من نباح الكلاب ليلا ويتهمونها باستدعاء الشياطين لإلحاق الأذى بالسكان وهم نائمين مطمئنين. ومازالت هذه الخرافة شائعة بيننا حتى اليوم فـــإذا مـــا طـــرق سمعنا كلبا يعوى كالذئب قلنا إنه ينبح (بالمقلوب أو المعكوس) وتوجســـنا خيفة من نباحه خصوصا إذا كان هناك بيننا مريض. أما القطط فنظرا وفراستها وأنانيتها وشراستها، فقد كانوا يحسبونها من الأرواح الشريرة خصوصا عـــند اجـــتماعها ليلا واشتداد عوائها وصراخها بلهجات ونغمات مزعجة، وكانوا يعـــدون هذا العواء الكريه الممقوت دليلا على اجتماعها بالشياطين لتلقى الأوامر منهم.

(ب) السحر عند الكلدانيين

كـــان الكلدانـــيون يستخدمون دماء الطيور الصغيرة بعد ذبحها فى أعمالهم الســـحرية، ولـــذا كانوا يعنون بأمرها ويطعمونها طعاما خاصا ولا يأكلونها أبدا. واهتم الكهنة والسحرة الكلدانيون بدراسة الكواكب والنجوم، وكانوا يعتقدون اعتقادا راســـخا فـــى تأثيرها على حياة البشر وينسبون إليها أمورا كثيرة، منها أن ظهور كوكـــب المشـــترى فـــى الليالى القمرية يبشر النساء الحاملات بالمواليد الذكور، وظهور عطارد دليل على زيادة المعاملات التجارية، وتحسين الأحوال الاقتصادية للـــبلاد، وعلـــو شأن العلم والأدب والمشتغلين به وكذلك فإن ظهور كوكب زحل، لـــيدل على الخلافات العائلية، وسوء حالة المتزوج والأعزب على السواء وتفشى الإجرام والرذيلة.

أمـــا ظهور كوكب المريخ فمعناه عزل الملوك أو وفاتهم، وتفشى المجاعات والأمـــراض واندلاع الحروب، كما أن ظهور كوكب الزهرة يدل على رواج سوق

الزواج خصوصا للعانسات، وللآن نجد بعض الفلكيين ومن يهتمون بهذا العلم يبنون تنبؤاتهم على ظهور هذه الكواكب في أوقات معينة ودلالتها مماثلة لما سبق ذكره.

وكـان السـحرة الكلدانيون يعولون في أعمالهم السحرية على حركات هذه الكواكـب وأوقاتها وتقابلها وابتعادها، وكل ما يتصل بها، وذلك لاعتقادهم الراسخ بتأثيرها على حياة الآدميين.

أمـا الشـعب فقد كان يعتقد اعتقادا راسخا في السحر الذى ملك عليه عقله ولـبه، وصـار ينسـب إليه كل خير وشر يصيبه، كما كان يعتقد أن مصدر هذا السـحر هو الأرواح الشريرة أو الطيبة التي تراقب حركاته وسكناته وتعمل على راحـته أو مضايقته، فإذا حدث مثلا أو طاش سهم الصياد ولم يصب الفريسة فلا يعـزو هذا الصياد فشله إلى قلة خبرته أو مرانه أو عدم الدقة في تصويب رمحه، ولكن كان ينسب فشله دائما إلى وجود الأرواح الشريرة التي تعاكسه، وتتدخل في شئونه، وأنها هي التي أطاحت بسهمه فلم يصب الفريسة. ولذا كان يعمد لإرضائها فـورا بذبح أى حيوان، وتركه في الخلاء اعتقادا منه بأنها بعد ذهابه ستسطو على هذه الضحية وتلتهمها ثم تكف عن مضايقته.

وقـد أنجبت ذرية (هام. زوروستر) أربعة عائلات تولى زعامة كل واحدة مـنها أحد أنجالهم النابغين في علوم السحر فتولى مصر بوجهيها البحرى والقبلى (مصرايم) وتزعم (كوش) اثيوبيا و(توث) القبائل الرحالة بين أفريقيا وآسيا. ورأس (كنعان) الفينيقيين.

وتُرَد كل أسس السحر وأعمال السحرة إلى (كوش) الذى ذكرناه آنفا، وعنه أخذت معظم القبائل البدائية تعاليمها وعلومها السحرية، خاصة ما تعلق منها بتغير الآدميين إلى ذئاب أو ضباع أو كلاب، وغيرها من الحيوانات الكاسرة [1].

---

(1) انظر محمد جعفر، المصدر السابق، ص 11 – 14.

(ج) السحر فى المجتمعات البدائية

يعــد عالم ما وراء الطبيعة عاملا فعالا دائمًا فى حياة البدائى، فنراه يلجأ إليه لتفسير كل ما يقع أمامه، ويعزو إليه من الشرعية والمعقولية ما نعزوه نحن إلى قوى الطبــيعة المعترف بها. والعقلية البدائية التى لا تعول إلا على الروابط الغيبية لا تعد مــا نســميه نحن سببا وعلة لما يحدث إلا مناسبة لــه على أحسن تقدير، أو بتعبير أصح لا تعده إلا آلة فى يد القوى الخفية، ولاشك أنه يمكن للمناسبة أن تتغير وللآلة أن تستبدل بغيرها، دون أن يمنع ذلك من وقوع الحادثة، إذ يكفى لوقوعها أن تتمكن القوة الخفية من القيام بعملها وإلا تقف فى طريقها قوة عليا من نوعها.

وتعمد الجماعات البدائية كلها إلى تفسير الموت بغير الأسباب الطبيعية، فإذا مــات عــندهم شــخص عزوا موته على وجه العموم إلى أن ساحرا قد حكم عليه بالموت "يستطيع الشخص المقصود أن ينطلق كعادته إلى رحلة صيد .. وفجأة يشعر بشــىء ما فى قدمه أو ساقه ويرى حية تنهش جسمه ومن الغريب أن هذا النوع من الحــيات يختفى على الفور. ويدل هذا الاختفاء السريع على أن الشخص الذى لدغته الأفعى قد وقع تحت تأثير سحر عدو وأنه لا مفر من موته، والواقع أنه لا يقوم بأية محاولة للعلاج، بل يستولى عليه اليأس، ويضطجع فى انتظار الموت " (1).

وقد يتصور البدائيون إمكان وقوع الموت بحادث عارض، ولكنهم فى أغلب الأحــيان يعــزون نتيجة ما نسميه نحن بالحادث العارض إلى تأثير سحر شرير. ويقــول "هويــت" Howitt: **"إذا قتل محارب من أفراد القبائل القريبة من ماريبرا Maryborough (فى كوينزلند) فى إحدى مبارزاتهم الطقسية، اعترفوا بأن موته يرجع إلى فقدانه المهارة فى صد رماح العدو، ولكنهم يعتقدون فى الوقت نفسه أن فقدان المهارة يرجع إلى سحر ضار قام به بعض أفراد قبيلته".**

(1) W. E. Rath. Superstition. Magic & Medecine. Ethnography. Vol. 12, p. 13.

ولــيس هذا الاتجاه العقلى مقصورا على القبائل الاسترالية، إذ إننا نعثر عليه فى صورة جد متشابهة لدى الجماعات البدائية كلها مهما بلغ تباعدها فى المكان (1).

ويعبر "**بنتلى**" عن الفكرة نفسها بدقة إذ يقول: "**لا يعتبر أهل الكنغو الأطليون أن المرض والموت من الحوادث الطبيعية ، ولا يرجعونهما إلى أسبابهما بأية حال ، بل إلى فعل السحرة دون سواهم ، حتى ولو كان الموت ناشئا عن الحرب أو الغرق أو السقوط من فوق شجرة عالية أو انقضاض صاعقة أو اعتداء حيوان ضار ، فإنهم يعزونه إلى تأثير السحر. وهم يتمسكون بهذه العقيدة فى إصرار عجيب وبعد تام عن المنطق. فعندهم أن الميت لا يموت إلا إذا وقع ضحية لسحر ساحر، ولذلك يعدون هذا الساحر هو الجانى الحقيقى**" (2).

بعــبارة أخرى تتوقف حياة البدائيين العقلية وبالتالى (أحداسهم) على حقيقة بدائــية جوهرية، وهى أن العالم المحسوس والعالم الآخر لا يكونان فى تصوراتهم إلا شــيئا واحــدا. ومجمــوع الكائنات غير المرئية لا تنفصل عندهم عن مجموع الكائــنات المرئــية. وليســت الكائنات الخفية فى نظرهم بأقل وجودا ونشاطا من الكائــنات المرئية، بل إنها أكثر منها تأثيرا وإرهابا، ولذلك فهى تشغلهم أكثر من غيرها، وتصرف عقولهم عن التفكير فيما نسميه نحن بالمدركات الموضوعية، ولو إلى حد يسير وما جدوى ذلك إذا كانت الحياة، والنجاح، والصحة، ونظام الطبيعة وكل شىء آخر يتوقف فى كل لحظة على القوى الخفية ؟ وإذا كان فى وسع الجهد الإنســانى أن يفعل شيئا، ألا ينبغى لــه أن ينفقه، أولا وقبل كل شىء فى تفسيره لمظاهــر هذه القوى وتنظيمها بل فى استثارتها أيضا ؟ الواقع أن هذه هى الطريقة التى حاولت بها العقلية البدائية أن تنمى تجاربها.

ويمكننا على وجه الإجمال أن نقسم التأثيرات غير المرئية التى تشغل العقلية البدائــية بصــورة دائمة، إلى ثلاثة أقسام، وإن كانت كثيرا ما تتداخل بعضها فى

(1) انظر ليفى بريل، العقلية البدائية، ترجمة محمد القصاص، ص 26، 27.
(2) المصدر نفسه، ص 29.

بعـض وهـذه الأقسام هى: أرواح الموتى، والأرواح بأعم معانى الكلمة، أى تلك المؤثـرات الـتى تجعـل الحياة تدب فى الأشياء الطبيعية من حيوانات ونباتات، وكائنات جامدة (الأنهار والصخور، والبحار، والجبال والأدوات المصنوعة، إلخ)، وأخيرا الطلاسم والتعاويذ التى تعد من فعل السحرة.

ويذكـر "مالينوفسكى": **أن السحر يلعب دورا هاما فى حياة التروبرباندبيين، فهو ضـرورى للـزراعة ولحماية الأطفال وكذلك فى حالات الحب أيضا. وعلاوة على ما تقدم فللسحر أهميته فى صناعة السفن، فهو ضرورى لجعل السفينة تسير بسرعة وأمان. كذلك يعتقد الأهالى أن المرض، والصحة والوفاة تنتج عن السحر. ويستفيد الرؤساء من قوة السحر فى التغلب على أعدائهم، فعندما يشك حاكم القرية فى وجود مؤثرات ضده، فإنه يسلط عليهم السحرة للانتقام منهم** (1).

ويحلل "**مالينوفسكى**" فى عمل آخر لـه السحر عند البدائيين تحليلا رائعا. ويـرى أن الاعـتقاد فيه لا ينقص بل على العكس يزداد، رغم وصول المبشرين، وانتشـار بعـض التعليم وهو يرى أن السحر عند البدائيين إنما يتسم بأشياء تقال، وأشـياء تؤدى، وشخص يقوم بشعائر معينة. وبذلك فثمة ثلاثة أضلاع للسحر هى الرقية، والطقس، وحالة الشخص الممارس للسحر (2).

فإذا رجعنا إلى قبائل البابو فى غينيا الجديدة الألمانية الذين نجدهم مدروسين بعـناية فائقـة فى المؤلف الذى أصدره الدكتور "نويهوس" Neuheuss **وجدنا أن السحر يلعب عندهم دورًا أعظم من الدور الذى يلعبه الخوف من الأرواح، فإذا لم يسقط المطر، أو إذا سقط أكثر مما ينبغى، وإذا ساءت الحاصلات الزراعية، وإذا لم تثمر أشجار النارجيل، وإذا ماتت الخنازير، وإذا لم يأت الصيد البرى أو البحرى بالثمرة المرجوة، وإذا**

(1) B. Malinowski, Argonauts of the Western Pacific, N. Y. E. P. Dutton & Co Inc. 1961.

(2) B. Malinowski. The Dynamics of Culure Change, New Haven, Yale University Press 1945, PP. 95: 97.

زلزلت الأرض زلزالها، وإذا طغى مد البحر فاكتسح قرية على الشاطئ، وإذا حدث مرض أو موت، وإذا وقع أى شىء من هذا القبيل لم تكف الأسباب الطبيعية لتفسيره بأية حال، بل لابد أن يكون هناك سحر من خلف ستار".

وتعتقد قبائل "الكاى" أنه لا يموت شخص موتا طبيعيا قط حتى ولو كان من الشيوخ الهرمين، إذ يعتقدون أن موتهم يرجع إلى السحر، وكذلك الحال بالنسبة إلى جميع الكوارث التى تحل بهم فإذا سقط شخص، فالساحر هو الذى أسقطه. وإذا اتفق أن أصيب بجرح من خنزير برى أو عضته أفعى، ففتش عن الساحر أيضا. كذلك الساحر هو الذى يعمل فى بعيد على أن تموت هذه المرأة أو تلك فى أثناء الوضع (1).

وهكذا هو الحال فى معظم الجماعات البدائية حيث يقف "السحر دائمًا بالمرصاد ليحدث شرا، أو ليتسبب فى خسارة ما. فهو فى حالة "إمكان دائم" للشر، ينتهز كل فرصة تلوح له لينفذ سهمه. وهذه الفرص ليست محدودة العدد. إذ من المستحيل أن يحيط بها الفكر مقدما فى مجموعها، فتبدو مظاهره هذه فى اللحظة التى يباشر فيها عمله، ولا يشعر به المرء إلا حين يكون سهم شره قد نفذ، ولذلك لم يكن فى إمكان القلق الدائم الذى يعيش فيه البدائى أن يسمح له، رغم ذلك، بإدراك الشر الذى سيقع به قبل وقوعه لكى يحاول منعه.

فخوف السحر ماثل أمامه بصفة مستمرة، ولكنه رغم ذلك واثق من أنه سيكون ضحيته. ولعل فى ذلك سببا من أهم الأسباب التى تفسر لنا شدة حنق البدائيين على الساحر حينما يكتشفونه إذ إن الأمر لا ينحصر عندهم فى معاقبة الساحر على الشرور الماضية التى عانوها على يديه والتى لا يعرفون عددها ولا مداها. وإنما يريد البدائيون بوجه خاص أن يقضوا مقدما على الشرور التى يستطيع هذا الساحر أن ينزلها بهم فى المستقبل، وتنحصر وسيلتهم الوحيدة لقتل

(1) محمد جعفر، المصدر السابق، 55.

الساحر في إلقائه في اليم أو حرقه بالنار وفي الوقت نفسه، يقضي هذا الإجراء على روح الشر التي تحل فيه وتتخذه مطية لنشر شرورها.

ويعتقد البدائيون أن الشرور التي يستطيع الساحر أن يسلطها على غيره لا تحصى ولا تعد، فإذا ما أراد أن يقضي على شخص ما؛ استولى على أي شيء ينتسب إليه، واعتبر أنه هو الشخص ذاته بطريق المشاركة والتقمص. (وذلك كخصلة من شعره، أو قلامات من أظافره، أو بعض فضلاته، أو بوله، أو أي شيء من أثر أقدامه، أو من ظله أو صورته، أو اسمه، إلخ). وحينئذ يقوم ببعض إجراءات سحرية على هذا الجزء من الشخص حتى يهلكه وفي بعض الأحيان يغرق زورقه أو يجعل سهمه أو بندقيته تطيشان. وفي أحيان أخرى يفتح جسمه أثناء نومه بالليل فيسرق منه عنصر الحياة بانتزاع دهن كليتيه. وقد يسلمه إلى وحش ضار أو أفعى، أو عدو. وأحيانا يعمل على سحقه بوساطة شجرة أو حجر ينتزع من مكان ما ويسقط عليه عند عبوره به، وهكذا تتعدد وسائل القضاء على الأشخاص إلى مالا نهاية، وإذا لزم الأمر تحول الساحر نفسه إلى حيوان.

وفي أفريقيا الاستوائية يعتقد البدائيون أن التماسيح التي تختطف الضحايا البشرية ليست حيوانات عادية ولكنها آلات طبيعة في يد السحرة. بل قد تكون التماسيح هي السحرة أنفسهم عن طريق التقمص.

وإذا ما حدث إخفاق أو كارثة، فسره البدائيون تفسيرا واحدا لا يتطرق إليه الشك، وهو أن المصاب وقع تحت تأثير خفي، ولكن من العسير في غالب الأحيان أن يعرفوا نوع هذا التأثير، فإذا نظروا إلى الحادثة في حد ذاتها، كالصيد الذي أخفق أو المرض الذي نزل أو الجفاف الذي أهلك الحقول، إلخ، كان من العسير عليهم أن يستنتجوا منها ما إذا كانت ترجع إلى أحد السحرة أو إلى بعض الموتى المختفين أو إلى الأرواح الشريرة.

وفي أكثر المجتمعات البدائية، يرجع البدائيون السبب دائما إلى "السحرة والأرواح الشريرة" والواقع أنه يمكن للأرواح الشريرة أن تكون في خدمة السحرة

والعكس صحيح، وقد يكون الساحر نفسه منطويا على روح شريرة فى بعض الأحيان على غير علم منه. وحينئذ يتداخل التصوران أحدهما فى الآخر. ولكن يبقى بين التصورين هذا الفارق الهام. وهو أن الساحر بضرورة الحال فرد من الأفراد، وعضو من هذه المجموعة الاجتماعية أو من تلك المجموعة المجاورة، ومن ثم أصبح تصوره جليا محددا. أما تصور الأرواح فإنه يظل على جانب من الإبهام والغموض تبعا للجماعات والمجتمعات التى يلاحظ فيها، مادامت هذه الأرواح ليست أشباحا لموتى، بل يختلف هذا التصور فى داخل الجماعة الواحدة تبعا للاخيلة الفردية والطبقة الاجتماعية التى ينتسب إليها الأشخاص [1].

ولعل تشبيه هوميروس القائل: " **النوم صنو الموت**" منحدر من أحقاب بعيدة، وهو عند البدائيين حقيقى بنصه وفصه. فمما هو معروف عندهم أن الميت الجديد يواصل الحياة، ولكن فى ظروف جديدة. وهو لا يبتعد عنهم من فوره، بل يبقى قريبا منهم ويستمر التأثير على هيئته الاجتماعية التى تحس حضوره ولا تستطيع الانصراف عنه. نعم لقد غادرت "روحه" جسده، ولكن جسمه لايزال باقيا، ومادام لم يتحلل تمامًا فإن ضروب المشاركة بين الميت الجديد وهيئته الاجتماعية لا تنقطع إلا جزئيًا.

كذلك حال النائم حين يحلم، فإن روحه (فى اعتقاد البدائيين) تنفصل عن جسمه، ويصبح فى حالة تشبه حالة الموتى الجدد إلى أن تعود إليه روحه من جديد، ويعبر البدائيون أحيانا عن هذه الفكرة بعبارات ملفتة للنظر. فالفعل "يحلم" (دركوكو) (drokuku) فى أفريقيا الغربية الألمانية معناه "يموت نصف موت". ففى الحلم تغادر الروح الجسد وتذهب إلى إقليم الأحلام، حيث يظن المرء لحظة أنه يرى الأشياء ويمتلكها، غير أنها لا تمكنه من احتجازها، ومع ذلك فإن هذه الظلال تعتبر حقيقة واقعية. فمثلا إذا رأى فى الحلم شخصا مات منذ زمن طويل،

(1) انظر ليفى بريل، المصدر السابق، ص 55: 58.

كـــان معنى ذلك أنه تكلم معه حقيقة. وفى الحلم يرى المرء أشياء حقيقية وحوادث تحــدث حقيقة إذ إن الروح تتحرر من الجسم مؤقتا وتتكلم وتفعل كما تتكلم وتفعل فـــى وضح النهار حين تكون فى الجسم، وينحصر الفرق الوحيد بين الحالتين فى أنها أثناء الحلم تتحرك فى عالم غير المرئى لا فى عالم المرئى.

ولمـــا كـــان الخوف من السحر هو الهم الدائم لدى البدائيين، نجد أنهم على اتصـــال دائـــم بالأموات، يستوى عندهم فى ذلك من ماتوا ولا تزال ذكراهم حية، وتلـــك الكـــتلة المختلطة من الأسلاف". إذن من الطبيعى أن يستخدموا الأحلام فى تحقيق هذا الاتصال، وأن يسخروها فى اكتشاف السحرة [1].

وقـــد رأينا أن الأحلام تكون أهم جزء فى تجارب العقلية البدائية، لأنها هى التى تصل بينها وبين العالم غير المرئى بطريق مباشر. ثم تأتى الفؤول فى الدرجة الثانـــية من الأهمية لأنها هى الأخرى تمد هذه العقلية ببعض المعلومات عن فعل القوى الغيبية التى تحس بوجودها.

فالفؤول ضروب من الكشف تحدث تلقائيا، ويفسرها البدائى على التو دون حاجـــة إلى تروّى، وذلك بواسطة أنواع من الارتباط الزائف تصل بين تصوراته الجمعية. وللفؤول عند البدائيين صور شتى كأن يسمعوا هذا الطائر يصيح من جهة الشـــمال أو يروا ذاك الحيوان يعبر الطريق فى أثناء المسير، وهلم جرا، والبدائى يدرك الدلالة السعيدة أو المنحوسة لهذا الفأل أو ذاك بمجرد أن يدرك الحادثة التى تكونه، وحينئذ يتابع السير فى المشروع الذى بدأه بشجاعة أو يتخلى عنه. وهو إذ يفعـــل ذلـــك إنما يساير معطيات تجاربه التى تعَد الفؤول فى الصف الأول منها، ويشـــبه ذلك إلى حد ما مسلك الطبيب الذى يبنى وصفاته على حالة المريض التى يكشف عنها تشخيصه للعلاج.

فإذا كانت تلك طبيعة الفأل، وإذا كان الفأل فى تصورات البدائيين الجماعية سببا

---

(1) انظر ليفى بريل، المصدر السابق، ص 55: 58.

مؤثرًا بقدر ما هو كشف عن المستقبل. فلا ينبغى لنا أن نعجب إذا رأينا جل الجماعات البدائية تعمل كل ما فى وسعها للقضاء على الحيوان الذى يحمل الفعل السيئ.

ولا يـتردد البدائـيون لحظـة واحـدة بين التفكير المنطقى على بساطته ووضوحه وبين الرؤيا المباشرة، وهذا سبب من الأسباب التى تجعلهم يلجأون دائمًا إلى أعمال عرافية جد متنوعة، فهى متجهة دائما نحو العالم الخفى، وكل اهتمامها موجـه نحو ضروب المشاركة الغيبية. ولذلك كانت العرافة عندهم أجدى من أى تفكير عقلى، وأقدر منه على الإجابة عن ضروب حب الاستطلاع التى يصبو إليها العقـل، وعلى سد الحاجات التى يستلزمها العمل. وتحدث هذه العرافة فى صورة رؤيـا أو فأل مستثار أو صلاة أو كشف عن نوايا القوى الخفية أو استحواذ حالى على أمر مستقبل حاضر فى آن واحد [1].

وتنطوى كلمة ساحر لدى المجتمعات البدائية على فكرتين، فالشخص الذى يشار إليه بهذه الكلمة يُعتقد:

أولاً : أن لديه القدرة أو المعرفة الكافية لممارسة الفنون الخفية.

ثانيًا : أنه يتعاطى أكل اللحم البشرى. وهذا المعنى الثانى هو الغالب فالسحرة يقتلون ضحيتهم لكى يأكلوها.

كما أن السحر من أعظم الكبائر التى يمكن لبشرى أن يرتكبها. فهو يتساوى والقتل، بل هو أشد منه، لأنه يتضمن الاتهام بالقتل، ثم يضاف إليه فكرة مبهمة من النمنمة. فالساحر يقتل الكائنات البشرية ليطعم لحمها.

كمـا يسـود الاعتقاد أيضا فى تلك الجماعات بأن الساحر يمكنه فى أغلب الأحيان الحصول على النتيجة التى يرغب فى الوصول إليها بمجرد أن يفكر فيها دون حاجة إلى استعمال رقية سحرية أو طقس خاص.

(1) انظر المصدر السابق نفسه، ص 156، 238.

وتســاعدنا الاعـتقادات المذكورة آنفا على فهم الهلع الذى يلقيه الساحر فى نفـوس أعضـاء الجماعات البدائية، والحنق الذى يتجلى فى صنوف العذاب التى يصـبونها علـيه، ومحاولـة الهجوم عليه بطريق المفاجأة، حينما يصممون على الـتخلص مـنه بعد فترة طويلة من التردد فى غالب الأحيان. وذلك لأن الساحر يستطيع أن يسبب شرا مستطيرا دون جهد كبير، إذ يكفيه أن يركز تفكيره، ويوجه إرادته نحو الشىء الذى يود وقوعه فيقع هذا الشىء حتما، وهو أقدر على ذلك من غـيره، فيمكنه حينئذ، إذا أراد أن يجر الخراب والمرض والموت إلى جاره، دون أن يضطر إلى القيام بعمل يلفت إليه نظر الآخرين، بل دون أن يضطر إلى تحريك إصبع من أصابعه، وإزاء هذا الخطر لا يستطيع المواطنون إلا أن يتخذوا منه أحد موقفين: فإما أن يعملوا على ضمان وده وإما أن يبيدوه. وهذا هو السبب الجوهرى للامتـيازات الـتى يتمتع بها، والتى لا يجرؤ أحد على أن يعارض فيها أو يمنعها عنه. وهو أيضًا السبب فى النهاية المحزنة التى ينتهى إليها فى أغلب الأحيان [1].

والواقـع أن أقدم شكل من أشكال الكهانة ما يعرف فى المجتمعات البدائية باسم الطبيب الساحر medicine - man الذى تتمثل قدراته فى نوعين أساسيين وفقا لما قرره الأنثروبولوجيون: قدرات دينية, وقدرات سحرية.

وتعتمد القدرات الدينية على ما تقدمه الكائنات العليا الغيبية من مساعدة، أما القدرات السحرية فيفترض أنها قدرات طبيعية.

ومن الأهمية بمكان أن نعرف أن الطبيب الساحر، سواء تمرس بالسحر أم بالديـن، فهـو دائمـا محفوف بالاعتقاد ممن حوله بأنه قادر على أن يقدم الخير للآخرين، أو يوقع عليهم الشر، وأن قدراته ليست نصيبا مشتركا لسائر الناس، بل يـنفرد به وحده. فسحر الطبيب الساحر إذن يفوق كل ما تتطاول إليه أيدى الناس جمـيعًا. فعندما يخر شخص صريع أحد الأمراض أو فريسة حادث مجهول، فإن

(1) المصدر نفسه، ص 271، 395.

البدائى يسارع إلى تفسير ذلك بأن ثمة سحرًا قام به عدو ضده، وأن الطبيب الساحر وحده، هو الذى يمكنه القضاء على الأعمال السحرية الرديئة التى حيكت ضده [1].

ويذكر "ايفانز بريتشارد" (Evans Pritchard) فى حديثه عن "النوير" أنه فى العهود القديمة كان إذا مات رجل من السحر فإن أقاربه يحاولون ذبح الساحر (givan mal) رغم أن بريتشارد يذكر أنه لم يسجل حالة واحدة ذبح فيها ساحر أو قتل.

وهناك شيء جدير بالاهتمام عند النوير، وهو أن الساحر عندهم لا يستخدم سحره ضد أفراد جماعته، ولكنه يستخدمه فقط ضد الأشخاص من القرى الأخرى. لذلك فإنه ليس من السهل أخذ الثأر منه حيث أن أهل قريته سيساعدونه، ويعضدونه، لأنهم يعتقدون أن السحر ذا قيمة فى حمايتهم [2].

وقد أوضحت دراسات علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية أن السحر ظاهرة اجتماعية تسود حياة جميع القبائل التى درسوها ويؤدى لأفراد القبائل وظائف عديدة ويقول "بريتشارد" (E. Pritchard) فى هذا الصدد "إنه يصعب أن ندرس جماعة من الجماعات البدائية دون أن يلمس الباحث أثر السحر لأنه ظاهرة عضوية وراثية". ويذكر "بريتشارد" فى مؤلفه عن الأزاندى أن الاعتقاد السائد بين هذه الجماعات هو أن القوى السحرية تنتقل من جيل إلى جيل فى الأسرة الواحدة عن طريق التوريث البيولوجى، فيرث الوليد هذه القوى عن أبيه أو أنه تبعا لنوعه، فالرجل يورث قوته السحرية إلى أولاده من الذكور، والمرأة إلى ذراريها من البنات [3].

---

(1) انظر الموسوعة البريطانية، المصدر السابق، ص 751.

(2) E. Evans Pritchard. The Nuer: A Description of the Modes of Livelihood and Political Institution of a Nilotic People. Oxford University Press. 1940.

(3) Evans Pritchard. Witchcraft, Oracles and Magic Among Azandé. Oxford. 1937.

وإلـــى جانـــب هذا الاتجاه العنصرى الفطرى، نجد من يفسر ظاهرة السحر وممارساته فى المجتمعات البدائية على أسس سوسيولوجية، فيذهب "نادل" (Nadel) علـــى سبيل المثال إلى أن السحر يقوم على تلبية نواحى اجتماعية ناجمة عما يعتور الجماعة من مظاهر القلق والضغوط، وهو يشيع نواحى متعددة، حيوية، واجتماعية وسيكولوجية، بل إنه يعد أيضا وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعى.

(د) السحر عند قدماء المصريين (*)

تقابل الدين والسحر فى أكثر من جانب من جوانب حياة المجتمع فى مصر القديمـــة لذلك فقد تركز السحر فى المعابد، واعتبر علما من علوم الكهنوت الذى تخصـــص فيه الكهنة وحدهم، كما أن الكثير من الطقوس الدينية ارتبطت بالسحر وتعالـــيمه، وتداخـــل السحر والدين معا فى كتب الموتى، والمتون الدينية، وعلاقة "الآلهة" القديمة بالبشر.

بعـــبارة أخرى كان السحر عند المصريين القدماء مجرد دين تطبيقى، كما كان يشتغل به كبار رجال الدين. ومازال هذا الاعتقاد فى قدرة بعض رجال الدين على استخدام لتحقيق المآرب قائما حتى الآن (1). وكانت نظرة الناس إلى السحرة كنظرتهم إلى رجال الدين لأن كلا منهما يمثل قوة إلهية.

وقـــد ذكر عالم الآثار سليم حسن فى معرض حديثه عن تغلغل السحر فى الكهنوت فى مصر القديمة "إنه من العبث أن نبحث إذا كان السحر وليد الدين، أو الديـــن ولـــيد السحر، فالاعتقادان قد ظهرا فى ميدان واحد، أملاهما مظهر العالم وظواهـــر الطبـــيعة. وقـــد ا رتبط السحر منذ نشأته بأساطير الخلق، خلق الحياة

(*) يهمـــنا أن ننـــبه القارئ أن اهتمامنا بهذا الجزء يرجع إلى صلته الوثيقة بالسحر فى مجتمعنا المصـــرى المعاصر، ووجود تشابهات كثيرة فى المعتقدات السحرية الحالية، وتلك التى كانت فى مصر القديمة، وتأثير ذلك فى موضوع التغير الاجتماعى والسحر.

(1) Max Muller. Egyptian Mythology. London 1924. p. 198.

والوجـــود، والعوامل المكونة لهما، والقوى المحركة والمسيطرة عليهما. وقد نسب قدماء المصريين السحر ونزوله على الأرض إلى الإله "تحوت" إله العلم والمعرفة وحامل العلامات الإلهية، والمعبود القمرى لمدينة هرموبوليس، أول من أنزل كتب السحر المقدسة ووضع طلاسمه الباهرة فأنزل الحرف والنطق والكلمة، وكل منها تمـــثل قـــوة لهـــا تأثـــيرها وفاعليتها، وفى كل منها وضع سرًا من أسرار الكون والوجـــود. فالخـــالق خلق الأشياء بنطق أسمائها، وعلم مخلوقاته النطق للتعارف والتخاطب، والحرف أو الرمز أو الصورة [1].

إن تلـــك الـــبردية من برديات تحوت (هرمس) فى الحرز الخاص بأسرار الكـــون تفسر الكثير من تقسيمات السحر ووسائله، فارتكزت العقيدة فى السحر فى أن لكـــل من الحرف، والاسم والنطق، طاقة سحرية لها فاعليتها منها قوى الخير، ومـــنها قوى الشر، فأسماء الآلهة والمعبودات مثلا وذكرها فى الدعاء أو ترديدها لها أثر سحرى فى مد الإنسان بقوى الخير وحمايته، أو حفظه من قوى الشر.

فالسحر وعناصره، وطقوسه، تعتمد على تلك "الهبات المقدسة الثلاث" التى وهـــب الســـاحر القوة الخارقة فى كيفية استخدامها سواء فى التعاويذ، أو الطلاسم والتمائم، أو فى الرقى والأحجبة، والطقوس، وغيرها مما عرف من طرق السحر ووسائله [2].

ولـــم يكـــن الســـحر فى حد ذاته مكروها فى مصر القديمة، مادام يستعمل لأغراض طبية كشفاء الأمراض، ودفع شر العين الشريرة التى كان الناس يخشون أضـــرارها. والحـــق أن الســـاحر الذى كان يستطيع دفع شرها، كان محبوبا من الشـــعب. وعلـــى النقيض من ذلك، كان أشرار السحرة يجلبون المرض والموت لأعدائهم بتعذيبهم وقتلهم فى صورهم أو تماثيلهم [3] (in effigy).

(1) سيد كريم "السحر والسحرة عند قدماء المصريين". الهلال، العدد الأول يناير 1975، ص 48.
(2) المصدر نفسه، ص 49.
(3) ماكس مولر، المصدر السابق، الصفحة نفسها.

وكـــانوا يعـــتقدون أن مــــا يفعلونه بهذه الصورة المرسومة، أو بهذه التماثيل الصغيرة يحدث بالفعل، وفى الوقت نفسه لأعدائهم، فيتعذبون أو يلقون حتفهم. وعلى الـــرغم مـــن معاقبة من كان يسىء استخدام السحر، فإن السحر الأسود كان شائعا. وذلك يدعونا إلى الاعتقاد بأن المصريين القدماء كانوا يلجأون إلى القوة الروحية فى صورها المختلفة ليضروا خصومهم بها (1).

وكان السحرة المصريون يستندون فى سحرهم على النظرية القائلة بأن كل جـــزء مـــن جسم الإنسان يعبر عن جزء من شخصيته، فشعره وأظافره وملابسه واســـمه الـــذى يلصق به من المهد إلى اللحد، وصورته وأى شىء من أثره إنما يحمل بعضا منه.

ولهـــذا جرت العادة عند قدماء المصريين أن يطلقوا على كل طفل وطفلة عـــند ولادتـــه اســـمين أحدهما الاسم الكبير وهو الاسم الرسمى له ويبقى سرا مكـــتوما عندهم لا يعلمه إلا والداه، والاسم الصغير الذى يعرف به بين أصدقائه وأقاربـــه، ويـــنادى به فى كل مكان، وكانوا يحرصون تمامًا على عدم إذاعة هذا الاسم الكبير خوفا من استخدامه فى السحر لذريتهم (2).

وقـــد ذكـــر "ماسبيرو" أن مدارس السحر وجدت من أقدم العصور بجانب مـــدارس الكهـــنوت فـــى بيوت الحياة الملحقة بالمعابد. ويعود بعضها إلى ما قبل الأســـرات كجامعـــة أون (عين شمس). وكان ملوك الفراعنة، وخاصة فى الدولة القديمـــة يعدون من مفاخرهم وضع تلك المدارس تحت رعايتهم وشملها بعنايتهم، وبلغ من تعظيم كل من "سنفرو" و"خوفو" 2860 ق. م أنهما ضما إلى ألقابهما لقب (رئيس السحرة).

وكـــان الطالـــب الذى يكرس حياته لدراسة السحر، ويحصل على درجات

---

(1) حسن الساعاتى، علم الاجتماع القانونى، 178، 179.

(2) انظر محمد جعفر، المصدر السابق، ص 19.

النبوغ والتفوق التى تؤهله لحمل لقب "شرحب" أى الذى أتم الاطلاع على الكتب الإلهية وعرف أسرار الكون ومنحه الإله تحوت السيطرة على القوى المحركة للوجود وإخضاعها لصالح البشر، ودفع عناصر الشر، كان لا يحمل هذا اللقب إلا إذا اختبر أمام فرعون وأقر له بالكفاءة وسمح له رسميا بمزاولة السحر.

ومن أشهر بيوت الحياة التى كانت تدرس السحر فى مصر القديمة كل من جامعات ومعابد: أون (عين شمس)، وابيدوس، وخنت معين (إخميم) وسايس، وطيبة وسيوة. ثم ظهرت مدارس الإسكندرية، ودندرة فى عهد البطالسة، ومدارس الآلهة إيزيس التى اعتبرت فى ذلك الوقت حامية السحر وأطلق عليها الرومان اسم (ربة السحر، ومعبودة السحرة).

وقد كان للسحرة مركز مميز، ومكانة خاصة فى كل من الدولة القديمة وخلال الأسرات الثانية عشرة والثامنة عشرة، وتقلد بعض السحرة المعروفين أعلى مناصب الدولة، وأصبحوا مستشارين لفرعون، وأعضاء فى مجلس الحكماء، كما كان الكثير من كبار الكهنة، والعلماء والأطباء يحمل لقب ساحر بجانب مهنتهم الأصلية.

ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن السحر فى مصر القديمة لم يقتصر على السحرة من الرجال فقط، بل كان لبعض النساء دراية تامة بالسحر والاتصال بالأرواح، كما أن بعضهن حملن لقب "عرافة المعبد". وقد دخلت التاريخ أسماء الكثيرات منهن أمثال ميليت، وأنهاى، وروى. وبعضهن كن أميرات وملكات.

وقد ذكر "ديودور الصقلى" أن بعض الملكات تعلمن السحر من الكهنة وتخصصن فيه، وأن الملكة كانت تجلس بجانب الملك على العرش وتلازمه فى زياراته للمعبد محافظة عليه من السحر المضاد وهو ما يظهر فى بعض الرسوم والتماثيل عندما تظهر الملكة وهى تضع ذراعها على كتف الملك، أو خلف ظهره لتحميه من أعداء الخفاء، بينما تحميه الكوبرا أو الأفعى التى تتصدر تاجه وجبهته من العين الشريرة والأعداء المواجهين له (1).

(1) انظر سيد كريم، المصدر السابق، ص 49: 51.

ولقد تخصصت كل مدرسة من مدارس السحر فى مصر القديمة فى نوع معين من السحر، وما يرتبط به من معجزات يحتفظ بسرها الساحر الأعظم أو رئيس الكهنة. فاشتهر معبد زايس "صالحجر" بسحر الأفاعى وفى مقدمته تحويل العصا أو حزام الوسط إلى أفعى بعد إلقاءها على الأرض، وقراءة التعاويذ السحرية عليها، كما كانت لهم قوة السيطرة على الأفاعى بالتعزيم عليها حتى تأتمر بأمرهم فيخرجونها من جحورها، ويبطلون من فاعلية سمومها أو يوجهونها إلى أى مكان يريدون لتنتقم من أعدائهم. وكانوا يعدون الأفاعى نوعا من الجن الذى يتشكل بشكل الأفاعى.

ومعبد زايس المذكور هو الذى تعلم فيه سيدنا موسى، ودرس اللاهوت والحكمة وفاق بمعجزته بقية السحرة أمام فرعون عندما ألقى بعصاه فتحولت إلى أفعى أكلت أفاعى بقية السحرة.

كما اشتهر كهنة أهناسيا بمعجزات ما أطلق عليه سر الأحلام، وقراءة الغيب والوساطة والاتصال الروحى عن طريق الأحلام. وتحوى برديات "تورين" الكثير من صفحات كتب سحر الأحلام وكتاب مفتاح الأحلام.

وفى هذا المعبد درس سيدنا يوسف الرياضيات والفلك وعينه فرعون كاتبا بالقصر، وأمينًا على المخازن، بعد نبوءته المشهورة فى تفسير الأحلام [1].

ولقد سيطر السحر على المصريين القدماء كسيطرة العقائد الدينية نفسها، فكانوا يستعينون به فى شئونهم الدينية والدنيوية معا، كما كانوا يستعينون به فى مختلف أحوال حياتهم، وقد مارس السحرة جميع أنواع السحر بمختلف صوره التى عرفها العالم القديم أو المتداول منها حتى الآن ابتداء من التعاويذ والطلاسم، والتعزيم، وكتابة الأحجبة بأنواعها، ومزاولة الطقوس السحرية والروحانية، والرقى وسحر التمائم، كما مارسوا تحضير الأرواح بجانب ما اشتهروا به من

(1) المصدر نفسه، ص 54.

الربط بين الفلك والسحر والتنجيم وقراءة الطالع والبروج السماوية وألواح المصير وقـــراءة الكف وكشف الغيب عن طريق "وعاء حورس المقدس". وهو وعاء كان يمـــلأ بالمـــاء، ويغطى بطبقة من الزيت يتلو عليه الساحر تعاويذه الخاصة فيظهر الإلـــه حورس على شكل ضوء على سطح الزيت، ويعكس على سطحه صور ما يسأل عنه من خبايا وأسرار. وهو ما يطلق عليه اليوم اسم (المندل).

ومـــن معـــتقدات السحر عند قدماء المصريين أن لكل آدمى قرينًا من الجن، يلازمـــه فـــى الحياة، ويتبعه فى الموت، ويسمى باللغة المصرية القديمة (كا) وكان يرمـــز لـــه بذراعين مرفوعين. فالدنيا وفقا لعقيدتهم، مليئة بقوى الأرواح المؤثرة، ويجب على الإنسان اتقاء ما يخشاه فيها من مختلف أنواع الشر ما استطاع بنفسه أى بقوة إيمانه ومناعته، أو بمعونة الغير فى مقاومة، ومطاردة ما يهدده أو يحل به.

وقد نصت برديات السحر فى الدولة القديمة على وجود الجان وعلاقتها بالبشر، وملازمتها للسكان فى بعض الأحيان، وما يمكن عمله لإرضائها واتقاء شرورها [1].

وقـــد عـــرف المصريون القدماء نوعين من السحر: سحر مشروع، وآخر ممـــنوع ومخـــالف للقـــانون. وقد اعتقدوا أنه بواسطة السحر يمكن تنظيم الحياة والآخرة، ويمكنهم بواسطته كذلك الحصول على ما يرغبون، وأن يخضعوا القوى الطبيعـــية لهـــم وكـــان السحر المشروع يستهدف وقاية الناس من الأخطار التى تهددهـــم، كالحيوانات المفترسة والأمراض ونحوها. كما تسلح المصريون القدماء بالتعاويذ والتمائم التى كانت تؤدى بصحبة طقوس دقيقة.

ويحتل السحر ركنًا كبيرًا فى النصوص الدينية التى خلقها قدماء المصريين ولعـــل من المستحيل تقريبًا أن نميز عندهم بين الترانيم والصلوات من جهة، وبين الـــتعزيمات والصـــيغ الســـحرية من جهة أخرى. هذا بالإضافة إلى أن كثيرًا من المركبات الطبية كانت مشفوعة بألغاز سحرية [2].

---

(1) المصدر نفسه، ص 52.

(2) انظر سيد كريم، المصدر السابق، ص 65: 66.

وكـــان المصـــريون القدماء يعتقدون أن كل داء من أعمال الأرواح الشريرة التى تتسـلط بقواها الخبيثة على الأجسام فتصيبها بالأمراض. وهذه القوى الخبيثة عند مقابلتها بالتأثـيرات الأقـوى تنهزم أمامها وتخرج من الجسم، فيشفى المريض. وقد اعتمد السحر كوسيلة من الوسائل العلاج على التأثيرات الروحية التى كانت نواة الطب النفسى الحديث.

وكـــان الســحر من العلوم المعترف بها وتدرس فى مدارس المعابد، أو ما يطلــق علــيها بيوت الحياة بجانب الطب والكهنوت، ويحمل الساحر الذى يصرح لـــه بمزاولة المهنة شهادة ولقبا من المعبد، ولا يسمح له بمزاولة المهنة بدونهما.

وكـــان كثير من كبار الأطباء يدرسون السحر بجانب الطب، ويحملون لقب ساحر بجانب مهنتهم. وكان لكتب السحر وبردياته مكتبات خاصة ملحقة بالمعابد، وكثير منها مرتبط بكتب الطب والدين. وقد اشتهر كهنة معبد منف بالذات بالجمع بيـــن الطـــب والســـحر بطـــريقة العلاج التى تجمع بين استعمال العقاقير الطبية المعروفة ومتابعتها نفسيا بالسحر والتعاويذ التى تعطى للدواء فاعليته وتأثيره بأمر الإله "تحوت" الذى يعد إلها للمعرفة والسحر والطب فى آن واحد [1].

وقـــد اتجهـــت العقائد المصرية القديمة إلى ربط كل جزء من أجزاء الجسم بالإلـــه الذى يؤثر على هذا العضو. فإصابة بعض أعضاء الجسم أو سلامتها فى هـــذه العقـــائد وقـــف على هذه الآلهة. وهكذا ترى الإنسان قد أصبح يمثل نظاما مصـــغرا للكون، وارتبط بالآلهة التى صارت تمثل بدورها أجراما سماوية، وكأن الإنسان بأعضائه وعلى الرغم من ضآلته، يصور نظاما مصغرًا للكون.

فالوجـــه الثالث من برج الجوزاء. حسب بعض المخطوطات القديمة. يؤثر على آلام العضلات، والوجه الأول من برج السرطان يؤثر على أمراض الأوردة والشرايين، والوجه الثانى من برج السرطان يؤثر على الرئتين، والثالث منه يؤثر على أمراض القلب وهكذا [2].

(1) Lynn Thorndike. A Short History of Civilization. P. 46 - 51.

(2) انظر سعد الخادم، الفن الشعبى والمعتقدات السحرية، ص 66.

وقد خلف المصريون مخطوطات كثيرة عن الوسائل السحرية، والوصفات التى تشبه إلى حد بعيد التعاويذ لعلاج الأمراض.

فـإذا نظر إلى المرض على أنه من فعل روح شريرة دخلت الجسم، يركز السحر عليها إما بالأمر، حين يقال لها: "**اخرجى يا كاسرة العظام، يا متسللة إلى الشرايين**" أو بادعاء عدم الإذعان للروح الضارة: ففى أحد المخطوطات التى كتبت على ورق البردى تحت عنوان الأقسام السحرية للأم والطفل، وقد نشرها ماسبيرو، جاء ما يأتى:

" اختفى أيتها الميتة التى تعيش فى الظلام .. اختفى قبل أن تشرعى فى فعلك الردئ فإذا جئت لتقبلى هذا الطفل فسوف أمنعك من تقبيله. وإذا أقبلت لتسكنى صراخه، فسأمنعك من إسكاته، وإذا حضرت لخطفه فسأمنعك من اختطافه، فلقد نثرت التعاويذ ضدك مستخدمة فى ذلك الخص المطعم بالثوم الذى تكرهين رائحته، واعتمدت أيضًا على الشهد الذى يبعد الموت عن الإنسان، كما استعنت أيضا ببكرة خيط فاختفى أيتها اللعينة قبل أن تحققى أغراضك " (1).

وتشبه هذه الأقسام السحرية كثيرا مما ورد بالرقى الشعبية فى مصر حتى أواخر القرن الماضى، فهذا نص يكاد يطابق النص الفرعونى الذى ذكرناه آنفا:

" ... ومن عين الجارة الساحرة المكارة التى تخش للجارة بالسحر والنكارة، وتقول لها يا جارتى أنت من الله شاكرة، أنت من الله حامدة، بيتك اللى عمر، وولدك اللى كبر، ما خرجت هذه اللعنة من دار المسكينة إلا لما صحبتها حزينة، خربت القصور، عمرت القبور، ويتمت الأطفال بعينها الردية الخائنة المؤذية، تنبح كالكلاب على حجرها ولد، وفى يدها حربتين تعوى عواء الذئاب، وتصهل صهيل الخيل، فى ظلام الليل. قال لها: خزيتى من الله. عميتى يا كلبة يا

(1) A. Castiglioni. Incarnation et magie. Paris. Payot. 1951.

لعينة. ما شأنك وجارتك ، ترمى نيرانك وسحرك على الخيال فى رمحته والعروسة فى جليتها، والصبية فى خيبتها ، خليتى أمه تبكى وتنوح ، من قلب مجروح ، وأبوه يبكى ويئن من كل قلب حزين . إيناس إيناس . ما فيك يا عين منافع للناس . واحطك يا عين فى قمقم نحاس واسبكه عليك يا عين بالزئبق والرصاص ، وارميك يا عين فى بحر غطاس ، ما تلتقى يا عين ملجأ ولا خلاص . عزايمى للصغير النايم والشاب المكدود ، والصغير المولود " [1].

وأحيانا يتقى المصريون القدماء شر المرض، بذكر اسمه كأن يقال: إنى أعرف اسمك. ألست أعرف اسمك ؟ وكانت معرفة الأسماء تمنح لمن يعرفها قوة التحكم فى أصحابها.

وفى بعض الأحيان كان المصرى القديم يعمد إلى تهديد الروح المؤذنة بالشر أو الأذى " أيتها الروح. أذكر كنت أم أنثى. اختفى يا ساكنة لحمى هذا. اخرجى من لحمى هذا .. أخرجى من أعضائى هذه، لقد أحضرت لك هذه الفضلات لتأكليها.. فاحترسى يا خفية واهربى ..".

أو يهدد المرض قائلاً : " انصرف يا ابن الزكام الذى يكسر العظام، ويهشم الجمجمة، ويصب المرض فى فتحات الرأس السبع " (دموع العينين، مخاط فتحتى الأنف، ألما فى الأذنين، التهابا فى الفم). وكان دواؤه لبن امرأة وضعت ذكرًا، وصمغ، إلخ، ومازال نساؤنا فى مصر تصفن لعلاجه اللبن واللبان والعسل والملطفات [2].

كما كان المصرى القديم فى أحيان أخرى يتقى شر المرض بإدعاء الصحة والمناعة من المرض كأن يقول: " إنى سليم .. كيف أصاب وأنا سليم البدن ؟ لقد شاهدت الكارثة الفادحة ولكنها لم تصبنى بأذى. أنا الذى خرجت من هذه الكارثة سليما معافى ".

---

(1) سعد الخادم، المصدر السابق، ص68.
(2) بول غليونجى، طب وسحر، ص 60.

وقد يتجه المصرى القديم إلى الآلهة لطلب تدخلها فى الأمر، إما بأن يطالب صـراحة بطرد الأرواح الشريرة .. " **السلام عليك يا حورس يا أيها الموجود فى بلد المئات، يا حاد القرنين، يا بالغ الهدف، إنى قصدتك لأمدح جمالك .. ألا فلتقض على الشيطان الذى يتملك جسدى** "، أو بأن ينتحل ذات الإله كما ورد فى التعويذة الآتية: (أغربوا يا شياطين المرض، لن يصبنى الهواء .. اننى (حورس) الذى يمضى فى طـريقه أمـام (سـخمت) ولن أموت بسببك). أو أن يمنح كل عضو من أعضاء المريض صفة إله من الآلهة (إن قمة رأسك هى رع، وقفاك هو أوزيريس، أذناك حيـتان، ذراعـك حورس، سرتك نجم الصباح، وإنما كل عضو فيه إله، وكل إله يحمـى اسـمك، وكل ما فيك ..). ونرى أهمية معرفة الاسم فى الفقرة: (وكل إله يحمـى اسـمك) ولا غرابة فى منح كل عضو صفة إله. فقد كانت هنالك نظرية تشـريحية سادت الفكر الطبى حتى القرون الوسطى، تقول بأن لكل عضو علاقة بفلك، وعنصر، ومعدن معين، ومن العجيب أن أثر هذه الرمزية لازال باقيا حتى اليوم فى أسماء أجزاء الجسم، مثال ذلك جبل الزهرة، وفقرة أطلس.

أمـا طرق استخدام التعاويذ فكانت متباينة، فمنها ما كان يستخدم بمصاحبة عـلاج، ومـنها التى كانت تتلى فى أثناء تحضير الدواء، فتضيف إلى تأثيره، أو تضفى على محتوياته صفة الدواء، ومنها التى كانت تتلى على الشخص المعوذ، أو على (حجاب) مكون من قماش أو خيط معقود، أو ريش طير، أو شعر حيوان .. إلـخ، هـذا الحجـاب هـو الذى كان يحمل قوة التعويذة فينقلها من الساحر إلى المريض، دون استخدام دواء ما [1].

وتعـد الـتمائم والأحجبة العنصر المادى فى فاعلية قوى السحر لدى قدماء المصـريين، وكانت فى نظرهم الواسطة التى تنقل التأثيرية الفعالة لحماية الإنسان فى حياته الدنيوية، وفى رحلته فى العالم الآخر أو الحياة الأبدية.

---

(1) انظر سيد، كريم، المصدر السابق، ص 33: 34.
وانظر ما قبل، ص 16.

وقد كانوا يحملوها وهم أحياء، ويضعونها على أجسام الموتى اعتقادًا منهم بأن لها من القوى السحرية ما يدفع عنهم الأرواح الشريرة، بل وتجلب لحاملها الحظ السعيد والحياة الهانئة، وتحمى مختلف أعضاء الجسم.

وكان للتمائم المقام الأول فى نفوس المصريين القدماء، فوضعوها على أعتاب المنازل، وتحت أعتاب الأبواب، أو داخل حجرات البيت، وكانوا يضعونها فى أماكن نومهم، وتحت وسائد رءوسهم أو فى أماكن ممارسة أعمالهم اليومية، كما صنعوا منها وسائل زينتهم، فكانت المعلقات التى تتوسد الصدور، أو تتدلى حول الأعناق، أو تتوج لباس الرأس.

والتمائم إشارات رمزية اصطلاحية، لكل منها تعبير خاص، وتقوم كل منها بأداء دور معين. فبعضها يمثل رموزا هيروغليفية تدل على صفات معنوية كالحياة، والقوة، والسعادة، والبقاء، والثبات، والاتزان، والحكمة، والجمال، وهى الصفات التى كان يستحب التمتع بها، وبعضها الآخر يمثل تماثيل الآلهة، وما تملكه الآلهة من قوة سحرية تخصيصية يستجيب كل منها لدعاء معين، ويلبى طلبا خاصا.

وللمادة التى تتألف منها التمائم علاقة بقوة فاعليتها، فالذهب معدن يرمز إلى البقاء، وهو سلطان المعادن، ومنه تصنع عادة التمائم التى تمثل الآلهة ويلى الذهب فى المعادن البرونز الذى يرمز إلى الصلابة والقوة الدائمة. وكانت التمائم تصنع أيضا من الأخشاب المقدسة كالبلسم والأبنوس، كذلك العاج، والعظم، والفخار، والقشانى، إلى جانب مختلف الأحجار الكريمة، ونصف الكريمة.

وكان للألوان دورها التأثيرى السحرى بالنسبة للتمائم، فاللون الأخضر لتمائم الصحة والشباب، والأزرق لمنع الحسد وطرد الأرواح الشريرة، لذا كان الكف الحارس (الخمسة والخميسة الآن) وأوزات (العين المقدسة). تصنع من القيشانى الأزرق اللامع، أو حجر الفيروز، واللون الأبيض للطهارة والإخلاص، واللون الأسود لجلب الحظ والخير، واللون الأحمر لتمائم الشر.

أما الأحجبة فكانت فى الغالب، من لوحتين صغيرتين من الخشب يكتب فى داخلهـا صـيغ وتعاويذ خاصة، أو تحفظ بينها أوراق من البردى والنسيج تحمل مجموعة من الرموز والطلاسم السحرية. كما كانت بعض الأحجبة تصنع من جلود الحيوان. وكانت تكتب بالحبر الأسود، أما الحبر الأحمر فيستخدم لرموز الشر.

وكانت الأحجبة تلف برباط سبع لفات، أو تعلق بخيط به سبع عقد. كما كان بعضها يثبت حول الجسم أو العضو بنسيج من شباك الصيد لطرد الأرواح الشريرة ومنعها من الوصول إلى الجسم (1). ومازال الكثير من تلك المعتقدات وطقوسها فى مصر القديمة، متداولا حتى الآن، عند عامة الشعب المصرى (2).

ولقد ذكر ابن خلدون فى مقدمته " وكان للسحر فى بابل ومصر أزمان بعثه موسـى أسواق رائجة ولهذا كانت معجزة موسى من جنس ما يدعون ويتنازعون فيه وبقى من آثار ذلك فى البرارى بصعيد مصر شواهد دالة على ذلك (3).

والحقـيقة أن الديانة المصرية القديمة كانت على خلاف الديانة البابلية كلفة بإحراز السعادة فى الحياة الأخرى، بينما كانت الثانية تسعى أكثر ما تسعى إليه إلى الرخاء فى هذه الدنيا. وعلى الرغم من أن السحر وكشف الغيب لم يكونا وقفا على بابل، فقد ترعرعا هناك أكثر من أى مكان آخر (4).

ونقـل يهـود مصـر السحر عن قبطها، ومازالوا يعملون به ويتفننون فى أساليبه، وقد نقلوه إلى بلاد العرب، وعند ظهور الإسلام كان بعض العرب ومعظم الـيهود يعملون بالسحر حتى أن اليهودى (لوسيادس) عمل سحرا للرسول ﷺ فى

(1) انظر سيد كريم، المصدر السابق، ص 61:65.
(2) انظر البحث الميدانى.
(3) ابن خلدون، المقدمة، ص 499.
(4) انظر ثورنديك، المصدر السابق، ص 58.

شـــكل خـــيط من الدوبارة، كان يعقد بها عقدا على أبعاد متساوية ثم ينفث فى هذه العقــد، وهو يتلو كلماته السحرية، كما صنع تمثالا من الخشب يمثل الرسول ﷺ ورشـــقه بالإبر ثم رماه فى أحد الآبار. ونزلت بهذه المناسبة (سورة الفلق) وتمكن الرســول علــيه الصلاة والسلام، من استخراج السحر من مكانه وإعدامه، فبطل وفسد عمله (1).

ومـــن سوريا ومصر، وبابل، وفارس ظهرت فئة من رجال الدين فى تميز وانفصـــال عـــن باقى أفراد الشعب، وصار لأفرادها قدرات سحرية على نحو أو آخر. وقد صارت هذه الفئة قادرة على التأثير فى مجرى السياسة. ولقد كان لأفراد هـــذه الفئة فى مصر وبابل بصفة خاصة نفوذ يفوق نفوذ الملك نفسه أحيانا عندما كان يصطدم بهم. فقد هزموا أخناتون عندما اعتبروه (ملحدا)، كما أنهم تآمروا فى بابل لإيقاع الهزيمة بها، وذلك باتفاقهم ومساعدتهم لسيرس "Cyrus"، عندما أبدى ملكهم ميلا معارضا لرجال الدين (2).

(هـ) السحر فى الهند القديمة

أما فى الهند فإن السحر كان. ومايزال. يتخلل الاحتفالات المحفوفة بالمهابة وهـــى احـــتفالات دينية. والأعمال السحرية الأساسية هناك تتشكل من صيغ تقال همســـا وتســـمى mantra، وتمارس ليلا. أما أدوات السحر فهى متباينة ومتعددة منها بعض النباتات، وبعض المراهم، وبعض الأشياء المتعلقة بالموتى.

ويستهدف السحر فى الهند أهدافا كثيرة متباينة كضمان الحب، والشفاء من الأمراض، وإخراج الأرواح من الممسوسين إلى غير ذلك، وتلتقى الأعمال النسكية

(1) انظر محمد جعفر، المصدر السابق، ص 20. وانظر أيضا ما بعد الفصل الرابع من كتابنا.
(2) B. Rusell. History of Western Philosophy. P. 23.

الخاصة باليوجا فى نقط كثيرة بالأعمال السحرية بالهند [1].

وتتضمن لغة (الآثار فافيدا) (Atharvaweda) كثيرا من عادات الشعب الهندى القديم، وكثيرًا من التعاويذ والرقى التى تستخدم ضد الأمراض، وضد الأعداء، والوحوش، والجن، كما أنها تحتوى على تعاويذ ورقى تضمن السلام، والعمر المديد، والحظ السعيد.

ومن الطقوس السحرية التى كان ينبغى مراعاتها، فى الهند القديمة أن الزوج الذى يرغب فى إنسال طفل ذكر، فيجب عليه أن يدلك أنف زوجته بمسحوق من فروع شجرة الأثاب [2].

أما الطقوس السحرية المتعلقة بالزراعة فى الهند القديمة فيما بين 300 و400 ق. م فإنها أكثر من أن تعد أو تحصى وقد احتل العرافون مكانة سامية بين الموظفين الرسميين بالقصر الملكى. وقد تأثرت منطقة غرب أوربا بالثقافة الهندية المتعلقة بالسحر ويتضح ذلك فى انتشار كتاب (سر الأسرار) (Secret of Secrets) الذى قيل أنه أكثر الكتب ذيوعا بالعصور الوسطى، وقد زعم الأوروبيون خطأ أن أرسطو هو الذى كتبه للإسكندر الأكبر [3].

(و) السحر عند اليونان القدماء

كان لظهور الإسكندر الأكبر باليونان، والفترة القصيرة التى استمر خلالها، أكبر الأثر فى تحول العالم اليونانى. فخلال السنوات العشر من 334 على

(1) انظر يوسف ميخائيل أسعد، السحر والتنجيم، ص 87.

(2) انظر ثورنديك، المصدر السابق، 222، 223.

(3) المصدر نفسه، ص 731.

324 ق. م، هـــزم الإســـكندر كـــلا من آسيا الصغرى، وسوريا، ومصر، وبابل، وفارس وسمرقند، والبنجاب.

وقـــد حطـــم الإســـكندر الأكـــبر الإمبراطورية الفارسية، وقد كانت أعظم إمـــبراطورية عـــرفها العالم، وذلك خلال ثلاث معارك، ولكن على الرغم من أن الـــيونان قد هزمت فارس، فإن فارس بدورها استطاعت أن تنشر ثقافتها وغيبياتها القديمـــة باليونان، فانتقلت إليهم ثنائية زرادشت التى تتصور العالم كميدان معركة بين قوتين كبيرتين: أحداهما قوة الخير بقيادة أهورا مازدا، والثانية قوة الشر بقيادة اهـــريمان. كذلـــك انتقلـــت إليهم بعض المعتقدات الهندية، حيث كانت البوذية فى طريقها إلى السيطرة على قلوب الهنود [1].

ويرى "برتراند رسل" أن اليونان تعلموا التنجيم لأول مرة فى عهد الإسكندر الأكبر، على يد رجل كلدانى اسمه بيروسوس (Berosus) [2].

(ز) السحر عند الرومان القدماء

عـــاش أباطـــرة اليونان الوثنيون فى رعب من السحر، واتخذوا إجراءات تحمـــيهم مـــنه. وفـــى القـــرن الثانى الميلادى اتهم لوكياس أبو لياس (Lucius Apulus) مؤلـــف الـــرواية الشهيرة حول السحر المسماة الحمار الذهبى (The Golden Ass) بممارســـة السحر الشرير اللا أخلاقى. وكان المتمرسون بالسحر يعدون مشعوذين ويحاكمون ويعاقبون [3].

والواقـــع أن انتصارات روما قديما جعلت العالم الغربى على ألفة بالسحر وتعالـــيمه وأيضـــا بالتنجيم. فى روما كان المجال متسعا أمام كل ساحر ومنجم

(1) انظر رسل، المصدر السابق، 241.

(2) المصدر نفسه، 250.

(3) الموسوعة البريطانية، المصدر السابق، مجلد 14، ص 575.

لـــتقديم نفسه، ونشر تعاليمه، وكن بعض هؤلاء يحظى بمكانة رفيعة فى الدوائر الحكومية. وفى روما كانت شهرة الكلدانيين ذائعة فى مضمار السحر، وكان من المعروف أن أسرار السحر والتنجيم فى حوزتهم وإن كانت ترجع فى الواقع إلى المجوس [1].

(1) انظر رسل، المصدر السابق، ص 302.

الفصل الثانى

المفهومات الأساسية والمرتبطة بالسحر

تمهيد

نتناول فى هذا الفصل مفهومات السحر الأساسية، فنشرح مفهوم السحر فى اللغـــة العربية أولاً، ثم نوضحه من وجهة نظر القرآن الكريم، والشرع الإسلامى، ثـــم نفصـــل معـــنى مفهوم السحر من المنظور السوسيولوجى، والأنثروبولوجى، والســـيكلوجى. كمـــا نتـــناول فى هذا الفصل أيضا مفهومات السحر المرتبطة به وأهمهـــا الخـــرافة، والتفكير الخرافى، والعرافة، والكهانة والشعوذة. وفى النهاية نـــتعرض لمفهومـــات بعـــض الوسائل والإجراءات السحرية الهامة مثل التعويذة، وقياس الأثر، والحجاب، والعمل، والمندل والاستخارة، والتحويطة.

أولاً: المفهومات الأساسية للسحر

(أ) مفهوم السحر فى اللغة العربية

الســـحر فـــى اللغـــة العربية، كل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجـــرى مجرى التمويه والخداع، وكل ما لطف مأخذه ودق. والساحر يطلق على الـــذى يقـــوم بهذه الأعمال: وسحره بالشىء سحرًا أى خدعه، وسحر الشىء عن وجهـــه أى صـــرفه وســـحره بكذا أى استماله وسلب لبه. يقال: سحرته بعينيها، وسحره بكلامه. وسحر الشىء أى أفسده (1).

" والساحر بصفة عامة هو الشخص (سواء كان رجلاً أو امرأة) الذى يقوم بأعمـــال الســـحر ســـواء كـــان محترفا أم هاويا بقصد ضرر غيره (سحر أسود) (Black Magic) أو فائدتـــه (سحر أبيض White Magic)، ولما كانت الوسائل والطـــرق والمواد التى يستعملها الساحر فى عمله كلها غامضة مجهولة فإنه يمكن

(1) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الجزء الأول، 421.

أيضـــا بواســطة هــذه الوسائل والمواد الكشف عن الكنوز المخبأة أو رصدها أو إخفائهـــا، كما يمكنه بنفس الوسائل والمواد الكشف عن حوادث الماضى والحاضر والمستقبل.

ولــم نجد فى اللغة العربية أى لفظ يقوم مقام كلمة (الساحر) ويؤدى معناها تمامـــا بعكـــس اللغات الأجنبية ففيها ما يزيد عن العشر كلمات وكلها تعنى كلمة (الساحر ومنها:

Sorcer - Satanist - Magician - Wizard - Demonist - Enchanter – Conjurer – Worlock – Sybil – Witch – Bedlam .

والثلاثة الأخيرة منها (تطلق على الساحرات الإناث فقط. ونلاحظ أن بعض هـــذه الكلمـــات مـــثل كلمـــة (Demonist) و(Satanist) تحمـــل معنى كلمة (الشيطان) وذلك للصلة المتينة بين الأخير والساحر.

"هـــذا وأول كلمـــة أطلقـــت علـــى الســـاحر فـــى اللغة الأجنبية هى كلمة (Magician) المنشـــقة مـــن الأصل اللاتينى (Magus) وتعنى الرجل الشاطر الحـــاذق الأريب وكان أمثال هذا الرجل الأريب فى الزمان الخالى هم قادة الفكر والعلـــم والمعـــرفة يفيدون بحكمتهم وعلومهم ويستفيدون .. وكانوا موضع احترام وتقديـــر جمـــيع الطـــبقات يقـــربهم إليهم الملوك والنبلاء ويغدقون عليهم الهبات والعطايـــا. وبمضى الزمن ثارت النفوس الخبيثة على هذه الفئة القليلة واندست فى زمـــرتهم وتداخلت فى علومهم وتعاليمهم وادعوا العلم عن جهل وضلالة، وانقلب (Magus) الـــرجل العاقل الحكيم إلى (Magician) وهو الساحر الخبيث المؤذى ومن هذا العهد صارت هذه الكلمة الأخيرة وقفا على طائفة السحرة" (1).

ويـــرى بعض الباحثين ضرورة التفرقة بين مظهرين للسحر مظهر يستخدم

(1) محمد جعفر، كتاب السحر، ص 46، 47.

فـيه الساحر طقوسا وممارسات سحرية ويطلق عليه مصطلح (magic) ومظهر يتمـثل فى قوة غامضة تعتقد بعض الجماعات البدائية أن أفرادا معينين يمتلكونها وهـى قـوة فطرية Innate Power متوارثة عن الأبوين أو أحدهما وهى التى نطلق عليها مصطلح Witchcraft [1].

(ب) مفهوم السحر فى القرآن الكريم، والشرع الإسلامى

ورد ذكر السحر فى القرآن الكريم كثيرًا بمعنى الخداع والتخيل، ومن ذلك قـول الله تعـالى فى سورة الأنعام: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ [2] أى تخييل لا حقيقة، وخداع للبصر والحواس.

ويقـال سحره أى صرفه عن وجهه وخدعه، ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الأعـراف: ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝١٣٢﴾ [3] وقولـه تعالى فى سورة المؤمنون ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ۝٨٩﴾ [4].

وأصل السحر هو صرف الشىء عن وجهه أى صرفه عن حقيقته إلى غيرها وكـأن السـاحر لمـا أرى الناس الباطل فى صورة الحق وخيل الشىء على غير حقيقته، فقد سحر الشىء عن وجهه أى صرفه [5].

والسـحر فـى عرف الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقـته، ويجـرى مجرى التمويه والخداع، ومتى أطلق ولم يقيد أفاد ذم فاعله قال

---

(1) John Middleton. and E. H. Winter, Witchcraft and Sorcery in East Africa, 1963.

(2) الأنعام، الآية 7.

(3) الأعراف، آية 132.

(4) المؤمنون، آية 89.

(5) أحمد الشرباصى، حديث السحر فى القرآن، الهلال يناير 1974، ص 15.

تعالى: ﴿ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (1). حكاية عن موسى وسحرة فرعون أعنى أنهم موهوا على الناس حتى ظنوا أن حبالهم وعصيهم تسعى. وقال تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ (2). وقد يستعمل مقيدًا فيما يمدح ويحمد وهو السحر الحلال قال ﷺ : « **إن من البيان لسحرا** » لأن صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه ولطف عبارته ويقدر على تحسين القبيح وتقبيح الحسن، يسخط تارة فيقول أسوًا ما يمكن ويرضى تارة فيقول أحسن ما يعلم.

واختلف العلماء المسلمون فى معنى السحر فقال بعضهم هو خدع ومخاريق ومعان بفعلها الساحر حتى يخيل إلى المسحور الشيء أنه بخلاف ما هو به نظير الذى يريد السراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء ويرى الشيء من بعيد فيثبته بخلاف ما هو حقيقته، وكراكب السفينة السائرة سيرًا حثيثا يخيل إليه أن ما عاين من الأشجار والجبال سائر معه، قالوا فكذلك المسحور وتلك صفته يحسب بعد الذى وصل إليه من سحر الساحر أن الذى يراه أو يفعله بخلاف الذى هو به على حقيقته.

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ، لما سحر كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله. وعن عائشة أيضا قالت سحر رسول الله ﷺ يهودى من يهود بنى زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله.

والذى يقال إن يهود بنى زريق عقدوا عقد سحر لرسول الله ﷺ فجعلوها فى بئر ذروان حتى كان رسول الله ينكر بصره ودله الله على ما فعلوا فكان رسول الله يقول سحرتنى يهود بنى زريق وفى ذلك نزل قول الله تعالى ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾.

---

(1) سورة الأعراف، آية 116.
(2) سورة طه، آية 66.

والظاهـــر أن السحر عن طريق عقد العقد وقراءة التعاويذ عليها كان أمرًا فاشيًا فى زمن الرسول.

وأنكـــر الـــبعض أن يكون الساحر يقدر بسحره على قلب شىء عن حقيقته وتسخير شىء من خلق الله إلا نظير الذى يقدر عليه سائر بنى آدم، أو إنشاء شىء مـــن الأجسام سوى المخاريق والخدع المتخيلة لأبصار الناظرين بخلاف حقائقها. وقـــالوا لو كان فى وسع السحرة إنشاء الأجسام وقلب لحقائق الأعيان عما هى به مـــن الهيئات لم يكن بين الحق والباطل فضل ولجاز أن تكون جميع المحسوسات ممـــا سحرته السحرة فقلبت أعيانها وفى ذلك وصف الله عز وجل سحرة فرعون بقوله: ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾.

وقـــد تســـاءلوا كيف يفرق الساحر بين المرء وزوجه قيل إن معنى السحر تخيـــيل الشـــىء إلى المرء بخلاف ما هو، فى عينه وحقيقته، فتفريق الساحر بين المرء وزوجه تخييله بسحره إلى كل واحد منهما شخص الآخر على خلاف ما هو به حقيقته من حسن وجمال حتى يقبحه عنده فينصرف بوجهه ويعرض عنه حتى يحـــدث الزوج لامرأته فراقا فيكون الساحر مفرقا بينهما بإحداثه السبب الذى كان منه فرقة ما بينهما (1).

ويـــرى بعض علماء المسلمين أن مفهوم السحر يعنى (حصول أمر خارق للعـــادة غير مألوف للبشر خفى سببه يتخيله الناظر يجرى مجرى التمويه والخداع لقولـــــه تعـــالى: ﴿ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾. ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾.

والســـحر فى مفهوم البعض الآخر من علماء المسلمين "تأثير خفى فى جسم بشرى يوجد انفعالا على غير إرادة المسحور وهذا فى السحر غير المنظور"(2).

(1) انظر أحمد الشنتاوى، فنون السحر، ص 65، 66.

(2) سيد عبدالله حسين، الجن: فى ذكر جميع أحوال الجن، ص 113.

وقـــد اختلف العلماء المسلمين فى تعريف مفهم السحر باختلاف مذاهبهم فيه فعرفه صاحب إرشاد القاصد بقوله:

" إنـه علـم يستفاد مـنه حصول ملكـة نفسـانية يقـتدر بهـا علـى أفعـال غريـبة بأسباب خفية ".

وعرفه ابن العربى الفقيه المالكى بقوله:

" إنه كلام مؤلف يعظم فيه غير الله عز وجل وتنسب إليه الكائنات والمقادير ".

وبعضهم عرفه بقوله:

" إنه ما يغير الطبع ويقلبه عن حقيقته ".

ومنفعة السحر عند الإسلاميين أن يعرف ليحذر عنه لا ليعمل به. ولا نزاع فى تحريم العمل به [1].

(جـ) مفهوم السحر من المنظور السوسيولوجى والأنثروبولوجى والسيكلوجى

أثـــارت أهمية السحر فى الثقافات البدائية مناقشات نظية عديدة اشترك فيها كثـــير مـــن الثقات فى ميادين علم الاجتماع، وعلم النفس، والأنثروبولوجيا أمثال تـــايلور Tylor، وفريـــزر Frazer، ووستر مارك Westermarck وهوبيرت Hubert ومـــوس Mauss وماريـــت Marett، ولـــيهمان Lehmann، ولوى Lowie ومالينوفســـكى Malinowski، وســـيجموند فـــرويد Freud أبو التحليل النفسى، وكيمف Kempf.

إن السحر فى المفهوم السيوسيولوجى، ليس مجرد نمط من الاعتقاد أو قطعة مـــن الجهاز العقلى للإنسان، ولكنه فن تترجم فيه النظرية والاعتقاد dogma، فى كـــل خطـــوة إلى فعل، وهو أيضًا شيء عملى جدًا، فلابد للسحر أن يأتى للزرع

(1) مصطفى فهمى الحكيم، أسرار الجن، ص 122.

بالمطـــر، وللحبيب بمحبوبته، وأن يتغلب على سوء الحظ .. إلخ وهو فن إنسانى بمعـــنى أنه يمارس فقط بواسطة الإنسان. وتعود جذور السحر إلى تعدد الأنشطة الإنســـانية، وهـــو طـــريقة للسيطرة على قوى الطبيعة، وإلى لوى عنقها لمصلحة الإنسان وإرادته.

ويضفى السحر على ممارسيه، والمشتغلين به قوة اجتماعية كبيرة، ففى كل المجـــتمعات تقريـــبًا نجـــد أن الساحر هو الشخص الوحيد، الذى يمكن أن يقارن بالحاكم من ناحية النفوذ، والتقدير والسلطة، وهكذا يلعب السحر هنا دور قوة هامة من قوى الضبط الاجتماعى.

ويعد المتخصصون فى السحر طبقة متميزة فى المجتمع، ويحرص الأفراد علـــى الانتفاع بمعلوماتهم، وعلى ضمان سريان مجرد هذه المعلومات واستمرار تدفقهـــا، وذلك من خلال توريث المتخصصين فى السحر إياها لأبنائهم فقط وهكذا يشكل السحر مصدرا للامتياز، والتميز والتوريث من جيل لآخر.

ولمفهـــوم السحر – من وجهة نظر سوسيولوجيا السحر – أهمية اقتصادية لأن ممارســـيه يكافأون عادة من قبل هؤلاء الذين يقصدونهم للمساعدة ويرجعون خدماتهم، كما أن من يريد تعلم السحر، فلابد له أن يدفع بسخاء.

والســـحر من الناحية التقليدية مرتبط بالميثولوجيا، وبالماضى السحيق وعهود الآلهة، والأبطال، وهو مرتبط كذلك بجذور الإنسان الأولى، وبدايات الثقافة القبلية (1).

والســـحر فى المفهوم الأنثروبولوجى يشير إلى مركب المعتقدات والأفعال التى يحاول الأشخاص والجماعات. على أساسها وبوساطتها. السيطرة على بيئتهم بطـــريقة تحقـــق أهدافهـــم. ولب الفعل السحرى هو أنه يستند إلى معتقد لم تختبر صحته، وأنه مجهود تحت السيطرة under control، والمظهر الأول يميزه عن

(1) Encyclopedia Britannica, Vol. 14, p. 624.

العلم، أما الثانى فيميزه عن الدين (1).

ويطلق فريزر (Frazer) على السحر علم الإنسان البدائى لأن كلا من السحر والعلم فى رأيه نوع من التكنولوجيا. والسحر فى نظره نوع من العلم الزائف والفن الزائف وهو بمثابة محاولات من جانب الإنسان البدائى للسيطرة على الطبيعة والإفادة منها.

ويؤكد الأنثروبولوجيون مسألة خصوصية السحر وسريته، فيقول فى ذلك "هوبرت" (Hubert)، و"موس" (Mauss): "إن السحر كى يكون مؤثرا يجب أن يمارس بطريقة سرية خاصة، وبفاعل يكون فى حالة طقوسية خاصة"، وهنا يربط الباحثان بين قوة السحرة وقوة آخرين من الأشخاص ذوى القوة الطقوسية ritual specialist، مثل القسس والملوك (2).

ويعد "مالينوفكسى" (Malinowski) أول من ميز بين سحر العامة وسحر المتخصصين فى كتابه سكان جزر التروبرياند. " Argonauts of the western pacific".

ويعد السحر فى نظره فنا برجماتيًا يتعلق بتحقيق مطالب عملية، بينما يتعلق الدين بمسائل عامة وبعيدة المنال، ليس لها حل مباشر بل تقدم معنى للمشكلات التى يجابهها الإنسان فى حياته وما كان منها متعلقا بالقدر والموت. والسحر عند "مالينوفكسى" لا يمثل العلم البدائى كما ذهب "فريزر" إلى ذلك، بل يعد على العكس من ذلك موضحا لمعرفة البدائيين على أن الفن والمعرفة الإنسانيين لهما حدود معينة (3).

---

(1) Gould and Kolb. Dictionary of the Social Sciences, p. 398.

(2) E. Seligman and A. Johnson, Encyclopedia of the Social Sciences Volumes IX - X, P. 39 - H. Hubert and Mauss. "Esquisse d'une Theorie Generale de la Magie". L'Annde Sociolgique. Paris: Alean. 1902 - 3 Vol. VII. Pp. 1 - 146.

(3) Abram Kardiner, and Edward Preble, They Studied Man, p. 183.

وهكذا فإن السحر والفن العملى يقعان فى استقلال تام بعضهما عن بعض ولا يمكن أن يلتقيا أو يندمجا بعضهما فى بعض. فعندما يظهر للإنسان عجزه عن التحكم فـــى الواقع الموضوعى المطروح أمامه، فإنه يبدأ فى اللجوء إلى السحر كبديل للفن العملـــى. وهـــذا معـــناه أن هناك مستويين فى نظر (مالينوفسكى) للنشاط الإنسانى: مســتوى عملى فى قدرة الإنسان، ومستوى غيبى يلجأ إليه عند العجز عن السيطرة علـــى الظواهـــر وتسيير دقة الحياة. والمستويان لا يلتقيان بل يلجأ الإنسان إلى كل مـــنهما حسبما يتطلب الموقف. فعند القدرة ووضوح الرؤية يلجأ إلى المستوى الأول الواقعى الموضوعى وعند العجز فإنه يسارع باللجوء إلى المستوى الثانى الغيبى (1).

ويـــرى "مالينوفســـكى" أن السحر يخدم فى علاج كثير من سوء التوافقات والصـــراعات الفكـــرية، وذلك أنه يصف الفكرة المناسبة، ويقنن النغمة الانفعالية الملائمة، ويرسى نمطا من السلوك يحمى الإنسان من لحظات الخطر، كما أنه يمد الناس بالقوى الدافعة إلى العمل، والاتحاد والارتباط، وهو ينمى صفات لازمة لكل عمل ناجح مثل النظام، والثبات والدقة والتنبؤ (2).

ويذكـــر "مالينوفســـكى" أن كل عمل سحرى يتميز بأشياء تقال، وأشياء تفعل، وشخص يصنع هذه الأشياء، وعلى هذا فإن التعويذة "Spell" والطقس "rite"، وحالة الشخص القائم بعمل السحر "Performer" تعد من أساسيات العمل الفعلى للسحر (3).

والســـحر فـــى المفهـــوم النفســـى، والمفهوم التحليلى النفسى، يمثل امتدادا لمفهومه الأنثروبولوجى وقد استطاع فرويد أن يطبق استنتاجاته السيكلوجية بإزاء مجـــال علـــم الأنثروبولوجـــيا وبخاصـــة لدى تعرضه للطوطم Totem والتابوه Taboo وذلك فى كتابه الذى اتخذ عنوانه من هذين اللفظين والذى نشر لأول مرة عـــام 1912، ولقـــد كان هذا الكتاب يمثل مفارقة بين الميكاينزمات العصابية كما

(1) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(2) موسوعة العلوم الاجتماعية، المصدر السابق، ص 42.
(3) الموسوعة البريطانية، المصدر السابق، ص 624.

تظهر بالتحليل النفسى، وبين بعض النظم الاجتماعية والقبلية وبخاصة ما كان متعلقا بالمحرمات والطوطمية والسحر.

وبمقتضى النظرة الفرويدية، فإن السحر مرض نفسى يصيب بعض الأشخاص أو بعض المجتمعات، وهو بمثابة ردة إلى التفكير البدائى، أو هو ردة إلى مرحلة طفيلية، وبذلك يكون عرضا نكوصيا (1).

ويرى رجال التحليل النفسى التابعين لفرويد، وبخاصة فى كتابه (الطوطم والتابو)، الاتفاق مع مالينوفسكى فى أن السحر فعال لأنه يعد نوعا من التفريغ الانفعالى بلغة التحليل النفسى.

وبينما يرى "فريزر" أن الرمزية فى السحر تشير إلى ارتباط زائف بين الأفكار فإن المحللين النفسيين يذهبون إلى أن هذه الرموز لها دلالة، لأنها تتجاوب مع المشاعر المكبوتة للساحر، وجمهوره (2).

ويرى "كيمف" Kemph حديثا أن المعتقدات السحرية magic beliefs تعد مجهودات نفسية علاجية لتهبيط الضغوط الفسيولوجية التى تحدث فى محيط اجتماعى. وقد صنع الإنسان أساليبه الثقافية ومعتقداته فى السحر لكى يضبط تلك الوظائف الفسيولوجية، بالضبط كما أجبرته آلام الجوع على أن يختزن طعامه لوقت الحاجة (3).

ثانيًا: المفهومات المرتبطة بالسحر

بعد أن تعرضنا للمفهومات الأساسية للسحر، نتناول المفهومات المرتبطة به، وهى مفهومات وثيقة الصلة بالسحر أهمها الخرافة والتفكير الخرافى والعرافة

---

(1) S. Freud. Totem and Taboo. Pelican Books Chapter, 3.

(2) قاموس العلوم الاجتماعية، المصدر السابق، ص 399.

(3) قاموس العلوم الاجتماعية، المصدر السابق، ص 42.

والكهانـــة، والزجـــر، والعيافة، والتعاويذ، والرقى، والطلاسم، والأحجبة والعمل، والمندل، والاستخارة، والتحويطة.

(أ) الخرافة

(الخـــرافة) و(الـــتخريف) و(مخرف) من الكلمات المتداولة بين الناس وفى الأحاديـــث العاديـــة، وهى تشير إلى الكذب، أو الخيال، والبعد عن الواقع. فيقال أحيانا عن خبر ما أنه خرافة ويكون المقصود أنه خبر كاذب وقد يوصف قول ما بأنه (تخريف) بمعنى أنه بعيد عن المعقول ومن نسج الخيال.

وقد يوصف شخص ما بأنه مخرف. ويقصد من هذا أنه يهذى ولا يصح أن يؤخذ قوله على محمل الجد.

ويبدو من هذا أن كلمة (خرافة) ومشتقاتها فى الحديث العادى. وإن تفاوتت معانـــيها فـــى المواقـــف المخـــتلفة نوعـــا ما. تلتقى عند معنى البعد عن الواقع الموضوعى، وعلى هذا فإن استخدام كلمة خرافة فى الأحاديث اليومية العادية يتفق فـــى هـــذه الناحـــية مـــع المفهـــوم العلمى لهذه الكلمة حيث أن البعد عن الحقيقة الموضـــوعية يعـــد علميا من الصفات الأساسية التى تميز الخرافة ومع ذلك فإن الخرافة فى الاصطلاح العلمى لا يقتصر معناها على مجافاتها للواقع.

فالخـــرافة فـــى التفكـــير العلمـــى هـــى اعتقاد أو فكرة لا تتفق مع الواقع الموضـــوعى بل تتعارض معه، ولكن ليس كل اعتقاد أو فكرة تتعارض مع الواقع الموضـــوعى تعد من الناحية العلمية خرافة، فيشترط فى هذا الاعتقاد أن يكون له اســـتمرار، فهو ليس مجرد خاطر طارئ لموقف وقتى، أو تفسير عارض لظاهرة عرضـــية بل إن له وظيفة فى حياة من يؤمنون به ويستخدمونه فى مواجهة بعض المواقف وفى حل بعض المشكلات الخاصة فى الحياة [1].

(1) الخرافة مشتقة من اسم رجل من عذره استهوته الجن فكان يحدث بما رأى فكذبوه وقالوا حديث خرافة "مختار الصحاح".

والخرافة بعبارة أخرى تفسير يزود من يؤمن به، بوسيلة ما لمواجهة مشكلة لا يعرف صاحبها طريقًا أفضل منها لمواجهة هذه المشكلة.

فالاعتقاد السائد عند بعض الناس من غير المتعلمين بأن خسوف القمر مثلا يرجع على أن "بنات الحور" يمسكن به (أى بالقمر) وبذلك يمنعن نوره عنا، هو خرافة تفسير هذه الظاهرة لهؤلاء الناس الذين لا يعرفون تفسيرا غيره أو تفسيرا أفضل منه، وعلى هذا الأساس تبعث هذه الخرافة فى نفوسهم قدرا من الطمأنينة ذلك أنها تمكنهم من ابتداع الوسائل التى تصلح فى نظرهم للتغلب على المشكلة التى تعترضهم وعلى الخوف الذى يعتريهم بسبب هذه الظاهرة، وهكذا تتيح الخرافة لهؤلاء الناس قدرا من السيطرة على الموقف. حتى وإن كانت تلك السيطرة مجرد وهم. فنراهم يسيرون فى الطرقات أحيانا يدقون الطبول وينادون "يابنات الحور. سيبوا القمر للنور".

ومثل هذا الاعتقاد له استمرار طالما بقى أصحابه على جهل بالعلاقات السببية الحقيقية لظاهرة خسوف القمر، ولهذا يعد (خرافة) من وجهة نظر الأفراد الآخرين الذين يعرفون العلاقات الصحيحة [1].

فالخرافة إذن اعتقاد خاطئ له استمرار يفسر ظاهرة ما، أو مشكلة ما يتكرر ظهورها فى حياة الناس. والحقيقة أن معرفة السر فى أية مشكلة مثيرة. أى إدراك العلاقات التى تنطوى عليها المشكلة، حتى وإن كان ذلك على أساس خاطئ. يخفف كثيرًا من آثارها النفسية، ومما لا شك فيه أن أشد المشكلات إقلاقا لشعور الإنسان بالأمن والطمأنينة، وأكثرها إزعاجا له هى تلك التى تؤثر فى حياته. سواء أكان هذا التفكير واقعيا أو وهميا. وهى تلك المشكلات المبهمة الغامضة التى لا يعرف لها تفسيرا، ومن ثم لا يعرف سبيلا لمواجهتها أو الخلاص منها.

فالخطر الذى يعرف الإنسان حدوده فإنه يستطيع بطريقة ما أن يعد نفسه

(1) انظر نجيب إسكندر إبراهيم، ورشدى فام منصور، التفسير الخرافى، ص 18، 19.

لمواجهـــته أو علـــى الأقـــل أن يتهيأ للتكيف معه، أو يوطن نفسه على قبول أسوأ احـــتمالاته فيصيب بذلك قدر من الراحة النفسية .. ولكن الخطر الغامض الذى لا يعـــرف الإنسان لـــه حدودًا، ولا يعرف لـــه مصدرًا، فإنه يعجز عن أن يجد منه مهربا، أو أن يعثر على وسيلة لتجنبه أو دفعه أو صده حين يقع .. وفى مثل هذه الأحـــوال يكـــون الإنسان بصفة عامة أكثر استعدادا للايحاء، فإذا أعوزه التفكير المـــنطقى الســـليم تطلع إلى الجواب البسيط حتى وإن كان جوابا غيبيا بعيدا عن المنطق. وإذا كان الموقف عاما، أى يضم جماعة من الناس يتعرضون للمشكلات نفســـها، ويعيشون الخبرات، والمشاعر ذاتها، انتشر الجواب البسيط بينهم بسرعة كما تنشر الإشاعة، أى يتوقف مدى انتشاره على أهمية الموضوع ومدى غموضه ثم يصبح خرافة.

فالخـــرافة تعـــد اعـــتقادا يشترك فيه أفراد مجتمع ما، أو جماعة ذات ثقافة فرعـــية فـــى نطـــاق المجتمع العام. وعلى الرغم من أن الجماعة قد تشترك فى الاعتقاد بخرافة ما، إلا أن موضوعها قد يتنوع من فرد إلى آخر.

فقـــد تؤمن جماعة بأن بعض الأفراد يجلبون الشؤم، وآخرين يجلبون الخير لمن يصبح من الناس بهم مثلا، ولكنهم مع هذا قد يختلفون حول تحديد الأشخاص الذيـــن يتشـــاءمون منهم ومن مقابلتهم أو رؤيتهم. ونرى الشخص يحدد أفراد من الـــناس يعتـــبر مقابلتهم مجلبة لسوء الحظ بالذات ويحدد غيرهم من الأفراد يعتبر مقابلتهم مجلبة لحسن الحظ.

وبـــناء علـــى مـــا تقـــدم يزداد انتشار الخرافات كلما زادت ظروف الحياة صـــعوبة، وكلمـــا زادت الأخطار التى تهدد كيان الجماعة دون أن يجدوا الوسائل الإيجابـــية الفعالـــة لدرئها أو تجنبها، أى أن الخرافات تكثر وتعم وتنتشر بانتشار حالات القلق والاضطراب والشعور بالضعف والعجز عن مواجهة مشكلات الحياة

ومخاطـــرها [1]. ولعلـــنا نجـــد فى هذا ما يفسر انتشار الخرافات فى أوروبا فى العصـــور الوسطى المظلمة عندما تتعرض الإمبراطورية لغارات القبائل الهمجية. ويتحدث "برتراند رسل" عن انتشار الخرافات فى تلك العصور فيقول: " **كانت الحياة فى تلك العصور مضطربة قلقة مشحونة بالصعاب .. وكان الناس يحسون فى كل لحظة أن الأرواح الشريرة تحاصرهم، ووقعوا نتيجة لهذا فرائس فى أيدى المشعوذين والسحرة** "[2].

والواقع أن مثل هذه الظروف القلقة المضطربة تجعل الإنسان أكثر استعدادا لقـــبول الأفكـــار الغامضـــة والتفسيرات الغيبية، وذلك لقصوره عن تحرى أسباب المشـــكلات التى يواجهها وعن فهمها فهما عميقا، ولعجزه عن التغلب عليها ودرء شـــرورها. وعلـــى هـــذا فـــإن الخرافة فى العادة، يغلب عليها المضمون الغيبى والميتافيزيقى.

وتتلخص – تأسيسا على ما تقدم – الشروط التى تحدد الخرافة فيما يلى:

1- البعد عن الواقع الموضوعى.

2- شيوعها بين عدد كبير نسبيا من أفراد المجتمع.

3- الافـــتقار إلى العلية المنطقية أو العلمية. والاستناد فى كثير من الأحيان إلى المفاهـــيم الغيبية والميتافيزيقية مثل الحظ والأرواح والسحر. وتستخدم هذه المفاهـــيم فـــى تفسير ظواهر طبيعية يمكن فى حقيقة الأمر تفسيرها تفسيرًا سـليمًا بالالـــتجاء إلـــى الملاحظة المنظمة والدراسة القائمة على الشواهد الموضوعية [3].

" **الخرافة إذن هى كل عمل أو فكرة أو عقيدة فردية أو جماعية تفسر ظواهر**

---

(1) المصدر نفسه، ص 20، 21.

(2) B. Russel. History of Western Philosophy.

(3) O. Kretch & R. Crutchfield. Theory and Problems of Social Paycho Logy.

العالم على نحو لا يلتئم مع العقل، ولا مع ما انتهى إليه العلم من مبادئ وقوانين. وهى ظاهرة اجتماعية عرفت فى الشعوب البدائية والمتحضرة ولا تزال تحيا خرافات فى الغرب والشرق برغم تقدم العلم والثقافة. وأكثر ما تدور الخرافة حول المعتقدات الشعبية والطقوس الدينية، ويختلف الحكم عليها من بيئة إلى أخرى ومن جيل إلى جيل، فما هو صواب شرقى جبال البرانس يعد خطأ غربيها، وما كان عقيدة بالأمس أضحى خرافة اليوم "[1].

وفى الإنسان ميل قوى إلى قبول الخرافة، طمعا فى اكتشاف الحجب وتوضيح الغامض، أو محاولة للدفاع عن النفس، ودرء الأمراض والأخطار، ومالا سبيل إلى معالجته عن طريق العلم، يلجأ فيه إلى الخرافة.

والسحر والتنجيم والشعوذة من خرافات الإنسانية جمعاء، والتفاؤل والتشاؤم والطيرة قامت على خرافات لدى الإغريق والرومان والعرب.

ولا شك فى أن للثقافة وطرق التربية ونظم الحكم شأنا فى انتشار الخرافة أو محاربتها.

ومن المألوف ألا يسلم المرء فى يسر بخرافة بعض ما يعتقد، فى حين يتنبه إلى خرافات الآخرين، وقد يكون ما هو دين فى رأى واحد من الناس، خرافة فى نظر غيره.

" وقد شغل الباحثون بالخرافة منذ زمن بعيد فكتب فيها لوكريس (51 ق. م) وتوسع فيها فلوطرخس (125) وعنى بها علماء الاجتماع المعاصرون وبخاصة فريزر (1941) الذى كشف عما فيها من جوانب الخير والشر، وأشار أنها أسهمت فى تثبيت طائفة من النظم الاجتماعية الهامة، وهى الحكومة، والملكية الفردية، والزواج، واحترام الحياة الإنسانية "[2].

---

(1) إبراهيم مدكور، الخرافة، مجلة الرسالة، عدد 100، ص 102، 104، 112، 116، 120.
(2) إبراهيم مدكور وآخرون، معجم العلوم الاجتماعية، ص 249.

علينا الآن أن نبحث فى العمليات العقلية التى تؤدى بالإنسان إلى الوصول إلى الخرافات والأخذ بها فى تفسير مشكلات الحياة واتخاذ الأساليب المناسبة لمواجهتها، بعبارة أخرى علينا أن نبحث فى عملية التفكير الخرافى.

(ب) التفكير الخرافى

إن التفكير الخرافى يختلف عن التفكير العلمى فى افتقاره إلى العلية أو السببية العلمية، ولكن افتقار التفكير الخرافى أو السببية العلمية لا يعنى افتقاره إلى السببية أو العلمية على الإطلاق.

فمشكلة التفكير الخرافى أنه يستند إلى أسباب غير طبيعية لتفسير أو حل المشكلات طبيعية فيعزوها إلى علل صحيحة أو غيبية لا يستطيع تحديدها أو التحكم فيها، ومعنى ذلك أن الأسباب أو العلل التى يستنتجها الإنسان فى هذه الحالة لا ترتبط ارتباطا أصيلا بالمشكلة التى يحاول تفسيرها أو إيجاد حل لها، والواقع أن هذا الموقف رغم ما يبدو فيه من تناقض أمر مألوف بل وشائع حتى بالنسبة لكثير من المواقف التى يبدو أن التفسير فيها يقوم على أساس منطقى سليم أو التى يتوهم بعض الناس أنها تقوم على أسباب صحيحة من وجهة النظر العلمية.

فالتفكير الخرافى ليس ظاهرة خاصة خارجة عن الطبيعية أو لا يستخدمه إلا البدائيون بل إن الإنسان المتمدن قد يفكر تفكيرًا قريبًا من التفكير الخرافى وإن استند على حقائق علمية، فالمهم هو طريقة تناول الظواهر والحقائق، وطريقة ربطها. وقد ينحرف الإنسان دون وعى عن المنطق فيفكر تفكيرًا خرافيا. والتفكير الخرافى فى رأى "جون ديوى" أمر طبيعى مثل التفكير العلمى سواء بسواء. وفى هذا المعنى يقول جون ديوى: **".. إنه لا يوجد فرق بين قدرة عمود من الزئبق على التنبؤ بالمطر، وقدرة أحشاء حيوان أو سرب طيور على التنبؤ بنتيجة الحرب .."**. وبالتأمل الدقيق فى الأمر يتضح لنا أن قدرة عمود الزئبق فى ذاته على التنبؤ بالمطر لا يختلف من ناحية المنطق فى شيء تقريبا عن قدرة الودع مثلا فى التنبؤ بالمستقبل. فإننا بالفعل لا نستطيع أن نفاضل بين الجانبين ونفضل الواحد عن

الآخر كتفسير لأى من الظاهرتين إذا أخذنا كلا منهما فى ذاته. ومع هذا فنحن نعلم أن أحـــد الموقفين صحيح من الناحية العلمية بينما الآخر خاطئ، ولذلك فإنه يعتبر خرافيا.

والواقـــع أنه إذا استطعنا بالفعل أن نتناسى معلوماتنا السابقة عن العلاقات القائمـــة فـــى كل من الموضوعين فإننا لا نستطيع أن نفاضل بالمنطق وحده بين سلامة وصدق إحدى العلاقتين وخطأ أو فساد الأخرى. وإذا كان الأمر كذلك فعلينا أن نتســـاءل عن السبب الذى يجعلنا نحكم على إحدى العلاقتين بأنها علمية، وعلى الأخـــرى بأنهـــا خرافية ونحن نعلم أن الأرصاد الجوية كثيرًا ما تخطئ ولكننا مع ذلك نعتبرها علمية فى حين أن العلاقة الثانية (التنبؤ بالغيب عن طريق الودع) قد تصـــادف الصدق، ونؤكد مع ذلك أنها خرافية، المسألة إذن ليست مجرد صحة أو خطـــأ. المســـألة فى الواقع ترتبط بمبدأ العلية أو السببية فالإنسان عندما يتكلم عن أسباب ظاهرة معينة أو عندما يتكلم عن وسائل تغيير ظرف معين أو تعديل ظاهرة مـــا فإنه فى هذه الحالة يدخل من الناحية الفلسفية فى ميدان العلية أو السببية سواء أكان على وعى بذلك أم لمن يكن.

والعلـــية أو الســـببية هى القانون الذى يربط سببا معينا بنتيجة معينة، وهو بمفهومه التقليدى يعنى أن كل ظاهرة طبيعية يمكن أن نرجعها إلى عامل (أو أكثر) تســـبب فى حدوثها. فقانون العلية بالمعنى التقليدى يوجد العلاقة بين الأشياء على أساس علة ومعلول.

ولكـــن هـــل يمكن فعلا أن ندرك العلاقة العلمية إدراكا مباشرًا ؟ لقد تشكك "هـــيوم" فـــى القـــرن الثامـــن عشر فى هذه القضية، ورفض فكرة أن العلية من المدركـــات المباشـــرة بل إنه ذهب إلى اعتبار أن العلاقة السببية أو العلاقة العلية (بالمعـــنى التقليدى) تقوم على أساس خرافى. ويدلل هيوم على رأيه فيقول: " ..إن **مجرد رؤية شيئين أو حدثين مهما كانت العلاقة بينهما لا يمكن أن يعطينا فكرة عن قوة ما أو عن ربط بينهما. وإن مثل هذه الفكرة إنما ينشأ من تكرار تلازمهما. ولكن التكرار لا يكشف**

فى الشىء أمرًا ولا يسبب له أمرا ما، ولكنه أى (التكرار) يؤثر فى العقل فحسب .." .

ومجمـــل القول إن "هيوم" يؤكد لنا أننا لا نستطيع أن ندرك علاقات سببية، ولكنـــنا نستنتجها من تكرار تلازم الأشياء. وأن فى عملية الاستنتاج يكمن الخطر، أى خطـــر البعد عن الواقع المدرك والوقوع فى خطأ افتراض صفات أو قوى فى الأشياء لا يوجد ما يبرر افتراضها. والواقع أن المعنى التقليدى للعلية الذى يذهب إلى أنه إذا تكرر ظهور حدثين بالتتابع فإن الأول يعد سببًا فى الثانى، هذا المعنى لم يعد مقبولا فى العلم الحديث وبخاصة فى فروع العلم المتقدمة. وهو إن استخدم أحيانا فإنما يكون استخدامه تجاوزا وبحكم العادة دون أن يقصد به المعنى التقليدى القديم. بل إنه يشير فى حقيقة الأمر إلى تتابع الأحداث لا أكثر، وقد استعيض عن إصـــطلاحات الســـبب والنتـــيجة فى العلوم الحديثة باصطلاحات جديدة تشير إلى العلاقات بين الأشياء وتتابعها مثل "المتغير المستقل" إشارة إلى الحدث السابق فى الظهور و"المتغير المعتمد" إشارة إلى الحدث اللاحق.

وهـــنا يتضـــح أن مشـــكلة التفكير عموما. لا مشكلة التفكير الخرافى فقط. تتركز إلى حد كبير حول مفهوم أو مبدأ السببية (1).

ويمكنـــنا أن نعرف الكثير عن منشأ التفكير الخرافى، إذا ما درسنا المراحل التى مر بها تطور التفكير الإنسانى.

وقد قام بعض المفكرين فعلا بدراسة التفكير الإنسانى وتتبع مراحل تطوره من المجتمعات الإنسانية الأولى حتى المجتمع الحديث، وكان "أوجست كونت" من أوائل من بحثوا فى تطور التفكير الإنسانى وقد قسم مراحل التفكير إلى ثلاث هى اللاهوتـــية، ثـــم الميتافيزيقية، ثم الوضعية، وذلك فيما أطلق عليه قانون المراحل الـــثلاث The law of the three stages، ومـــؤدى هـــذا القـــانون أن العقل

(1) انظر التفكير الخرافى، المصدر السابق، ص 24: 26.

الإنسانى يمر بمراحل ثلاث: المرحلة الأولى، وهى ما أسماها بالمرحلة اللاهوتية Theological، وهى تلك التى يفسر فيها العقل الظاهرات عن طريق نسبتها إلى قوى أو كائنات غير منظورة لها خصائص تشبه خصائص الإنسان.

والمـــرحلة الثانية، هى ما أسماها بالمرحلة الميتافيزيقية Metaphysical، وهى تلك التى يفسر فيها العقل الظاهرات عن طريق قوة مجردة مثل الطبيعة.

والمـــرحلة الثالـــثة وهـــى مـــا أطلق عليها ما أسماها بالمرحلة الوضعية Positive وهـــى التى يقنع فيها الإنسان بملاحظة الظاهرات واستخلاص الروابط التى توجد بين بعضها البعض (1).

ويـــرى "جـــون ديوى" و"آرثر بنتلى" إمكانية تتبع ثلاث مراحل متمايزة فى تطور التفكير الإنسانى هى:

أولاً: مرحلة الحركة الذاتية Self - Action :

وتتمـــيز بمحاولة الإنسان تفسير كل ظاهرة من ظواهر الكون بمعزل عن غيرها من الظواهر. فلم يكن الإنسان فى تلك المرحلة قد أدرك ما بين الظواهر الكـــون جمـــيعًا من علاقات. وقد أدى هذا الموقف بالإنسان إلى افتراض وجود قوى غيبية فى كل الأشياء وفى كل ظاهرة طبيعية تحركها وتفسر سلوكها. وقد أطلق علماء الأنثروبولوجيا على هذه المرحلة اسم المرحلة الأنيمية Animistic Stage.

ثانيا: مرحلة التفاعل Interaction

وفـــى هـــذه المـــرحلة كان قد تجمع لدى الإنسان قدر هائل من المعلومات والمعـــارف الـــتى وجهت نظره إلى ما بين الأشياء فى الكون من علاقات. وبدأ

(1) Raymond Aron. Main Currents in Sociological Thought, P. 65 – 66.

الإنســان ينظر إلى الطبيعة على أنها عدد هائل من الجزئيات ذاتية الحركة، وأنها يؤثر بعضها فى البعض الآخر على الدوام مما يؤدى إلى حدوث الظواهر التى تقع تحت حس الإنسان وفى محيط خبراته. وقد أدت هذه النظرة بالإنسان إلى أن يتبع المـنهج التحليلى فى دراسة الطبيعة وما فيها من أشياء. وقوام المنهج التحليلى هو الـتعرف على الجزئيات التى يتكون منها الشىء أو الظاهرة فإذا تمت دراسة تلك الجزئيات أمكنه بعد ذلك تحديد التفاعل بينها ونتائجه.

ثالثا: مرحلة الفاعلية Transaction

وفـى هـذه المرحلة بدأ الإنسان يرى فى الكون وحدة متكاملة. وبدأ يدرك اسـتحالة تحديد صفات أى جزء (أو جزئ) فى الكون بمعزل عن الوسط المحيط به. وفى ضوء هذه النظرية لم يعد ممكنا أن يرى الإنسان أو أن يتعامل مع شىء مـا فـى ذاته. ولا يمكن دراسة صفات الجزئيات أولاً لتحديد ما يحدث بينهما من تفـاعل بعد ذلك، فإن صفات الأشياء أو الجزئيات تتحدد بنوع التفاعل الذى تعمل فـيه ولـيس العكس. هذه النظرة اتخذت صيغة محدودة فى علم الطبيعة على يد "أينشتين" وأصبحت تعرف بنظرية النسبية.

ومن الأهمية بمكان أن نعرف أن تقسيم مراحل تطور التفكير الإنسانى بهذه الصـورة أو بأية صورة أخرى غيرها لا يقصد به، اعتبار هذه المراحل منفصلة بعضـها عن البعض الآخر، أو أن قيام مرحلة من المراحل يعنى انتهاء المرحلة السـابقة لهـا تماما. فالواقع أن المرحلة الأولى مثلا مازالت قائمة حتى اليوم عند بعض المجتمعات الإنسانية، بل إنها مازالت قائمة فى بعض جوانب الحياة فى أكثر المجتمعات الإنسانية تقدمًا.

ولا شك أن أكثر مراحل التفكير الإنسانى سذاجة هى مرحلة الحركة الذاتية أو المرحلة "الأنيمية". ومن الممكن إرجاع بعض الخرافات وبعض رواسب التفكير الخـرافى فى المجتمع الحديث إلى تلك المرحلة. وقد كان "إدوارد تيلور" هو أول

مـــن تكلم عن هذه المرحلة وأول من حدد معنى "الأنيمية" على أنها نمط من أنماط التفكـــير. ويقـــوم المفهوم "الأنيمى" على فكرة أن الإنسان بصفة عامة، والإنسان الـــبدائى بصفة خاصة، يميل إلى تصور العالم الخارجى على نحو شبيه بتصوره لذاتـــه. فالإنســـان عندما يعوزه الإطار المرجعى الخارجى الذى يقيس به الأشياء تصبح ذاته هى إطاره المرجعى. وهذا هو حال الإنسان الأول الذى كانت خبراته عن البيئة المحيطة به محدودة للغاية. ولما كانت فكرته عن ذاته أن له جسمًا ماديًّا محسوسًا يتحرك وروح محسوسة تكمن فى الجسم وتحركه بإرادتها [1]، فقد توهم أن ما يحيط به من كائنات وأشياء على نفس صورته، أى تصور أن لها مظهرها المـــادى الـــذى يـــراه وأن لها الروح التى فى الكيان المادى والتى تسيره بحسب إرادتها. ومن السهل علينا فى الواقع أن نتصور السر فى اتجاه الإنسان الأول نحو هذه اللون من التفكير، فقد كانت الحيوانات والنباتات والجمادات تتحرك من حوله وتـــأتى أنماطا شتى من السلوك تساعده فى سعيه أحيانا، وتعطله أحيانا بل وربما تهـــددت حياته بالفناء. ولقد كانت خبراته محدودة. فلم يكن وراءه تراث يستند إليه ويبـــنى علـــيه، ولم يكن قد تعلم الكتابة التى تنقل التراث، ولم تكن حياته مستقرة بالشـــكل الـــذى يتيح لـــه امتحان أفكاره ومراجعة معتقداته عن طريق الملاحظة المـــنظمة. ومـــع ذلك فقد كان لابد لـــه من أن يجد تفسيرا للظواهر المحيطة به وبخاصة ما كان منها يمس حياه أو يؤثر فيها بشدة.

ولكن القول، بأن تفكير الإنسان وتفسيره للظواهر المحيطة به فى المراحل الأول مـــن حـــياته كـــان تفكيرا "أنيميا" لا يعنى أنه لم يكن سوى تفكير "أنيمى". فالإنســـان فـــى سياق خبراته فى الحياة كان ولازال يعمل فى سبيل السيطرة على البيـــئة. وقـــد كـــان كفـــاح الإنسان الأول موجها أساسًا نحو تحقيق أهداف عملية مباشرة، وكانت أساليبه فى ذلك أساليب عملية إيجابية طالما كان قادرا على القيام

(1) ترجع هذه الفكرة إلى خبراته عند الأحلام، والإغماء والموت حيث يظهر التمايز بين الجسم والروح.

بـــالعمل الإيجـــابى. وقـــد كان عليه أن يبحث عن مواطن الغذاء ويدرس عادات الحيوانات التى يصيدها أو التى يخشى ضررها. وكذلك كان عليه أن يدرس البيئة الـــتى يعيش فيها للتوافق معها. وتعد الرسوم التى خلفها الإنسان الأول فى بعض الكهـــوف القديمة، أدلة ناطقة على قدراته فى تلك الجوانب من الحياة. ولكن عندما كانـــت قدراته تتعطل وتعجز أو عندما كانت تتهددها الأخطار، فإنه كان يلجأ إلى الأفكـــار الخرافـــية وإلى التفكير القائم على (الأنيمية) وهكذا اختلطت عند الإنسان الأول بـــذور العلـــم بالتفكـــير الخرافى (1). ولم يكن غريبا والحال هكذا أن يعبد الإنسان الأول الكثير من الآلهة وأن يقدم إليها الذبائح والقرابين، فقد تصور كثيرًا مـــن ظواهر الطبيعة كائنات حية مثله وإن كانت تفوقه فى القوة، وتؤثر فى حياته تأثـــيرًا شديدًا. فكان لابد لـــه أن يسترضيها. لقد كانت الشمس والعواصف والنار، والصواعق وغيرها من الظواهر الطبيعية التى روعته وأثارت اهتمامه بشدة بأسها وتأثيرها فى حياته، فتصورها كائنات هائلة القوة استسلم لها.

إنهـــا عملـــية الإســـقاط التى نشاهدها حتى الآن فى الأطفال الصغار الذين يـــتعاملون فـــى كثـــير مـــن الأحيان مع الجمادات كما لو كانت حية مثلهم. وهى الظاهـــرة نفسها التى نشاهدها فى تصرفات الكبار أحيانا فى المواقف المحرجة أو المواقـــف القاسية والخطرة، حيث يرتدون بتفكيرهم إلى المستوى الطفلى "الأنيمى" فيســـخطون علـــى الجمادات ويلعنونها ويضربونها أو حطمونها وكما ينمو الطفل ويتصور تفكيره، كذلك نما الإنسان الأول وتطور تفكيره.

ولكن الكثير من أنماط التفكير الماضى بقيت معه تعيش جنبًا إلى جنب مع الأفكار المتمدنة. فقد تلبس تلك الأفكار أردية جديدة ولكننا إذا أزحنا الرداء الجديد وجدناها هى بذاتها خرافات الماضى السحيق.

ويكشف علم الأساطير Mythology عن أن كثير من هذه الخرافات القديمة

(1) B. Malinowski. Magic Science and Religion, pp. 1 - 7.

لاتزال حية بصورة أو بأخرى فى حياة الناس فى أرقى المجتمعات الإنسانية.

وعلى أية حال فإن بيت القصيد بالنسبة لعملية التفكير القائمة على "الأنيمية" هـو أن هذا التفكير كان تفكيرًا يقوم على أساس النظر إلى الأشياء مستقلاً بعضها عـن البعض الآخر دون التفطن إلى ما بينها من ارتباط بحيث يبدو كل حدث كأنه قـائم بذاته مستقل عن غيره من الأشياء. وبعبارة أخرى كانت علة سلوك الشىء وحركـته هى قوته الذاتية، وكان هذا هو مبدأ العلية عند الإنسان الأول، وكان من الطبـيعى أن تكـثر خرافاته وتعم وينتشر السحر، وهو أسلوب الإنسان الأول فى التحكم فى القوى والأرواح الخفية الكامنة فى الناس وفى الاشياء.

ولـم يكن هناك والحال هذه، حدود للتطرف والبعد عن المعقولية من وجهة نظـرنا الآن، إذ من الممكن أن يصف الإنسان أى شىء بأية صفة وتنتشر الفكرة علـى أسـاس أنها حقيقة طالما كان مصدر الصفة قوة روحية لا ترى ولا تحس، فعند حدوث مثيرين فى وقت واحد مثلا، قد يوحى مجرد ازدواجهما أو تواجدهما معـا بأن واحدا منهما سبب الآخر أو أنه أحدثه بقوته، ثم فى تعمم الخبرة الواحدة بعـد ذلـك وتصبح نمطا جامدا للتفكير، فمجرد التلازم العارض أو العرضى بين الأحـداث والمثـيرات يؤخذ على أساس أنه سبب ونتيجة، وتفسر الخبرات التالية على هذا الأساس [1].

ويرى (سكنر) أن هذا هو الأساس فى نشأة الخرافات وأنه يشبه انزعاج الطفل مـن الكـلاب نتـيجة عضة كلب واحد كما يشبه حالة النفور التى يثيرها فى الكبار، شخص غريب إذا كان يشبه شخصًا آخر يبغضونه بغضا شديدًا لسبب ما [2].

فالتشاؤم من البوم "ونعيقه" مرجعه إلى الخرافة الشائعة عندنا والتى قوامها أن البوم يسبب الخراب والكوارث أينما يحل. وأغلب الظن أن هذه الخرافة ترجع

---

(1) التفكير الخرافى، المصدر السابق، ص 29 – 30.

(2) B. F. Skinner, Science and Human Behavior, p. 55.

فـــى الأصـــل إلـــى أن (البوم) يقطن الأماكن الخربة ويهرب من الأماكن الآهلة بالـــناس، كمـــا أن نظـــره يعشى بالنهار فيلجأ إلى الخرائب ويرى جيدًا فى الليل فيصحو ليبحث عن غذائه من الحيوانات الصغيرة مثل الفيران. وهكذا نجد أساس الخـــرافة فى اجتماع البوم ومظاهر الخراب. وبناء على ذلك وقر فى الأذهان من قديم أن البوم يجلب الخراب. ولما كان البوم من الطيور غير الأليفة، كما أنه أيضا من الطيور غير المألوفة لأنه يختبئ فى النهار ويخرج فى الليل للصيد، وأنه ينعق أثـــناء الليل عندما يكون بعيدًا عن الأعين فيحيط به لون من الغموض، فقد أصبح صوته – وهو رمز لوجوده – نذير سوء.

وإذا أخذنا الخرافة التى ترتبط بالرقم (13) والتى تجعل كثيرًا من الناس فى مخـــتلف أنحاء العالم وبخاصة فى الغرب يتشاءمون منه، لوجدنا الظاهرة نفسها. ونعنى بهذا أن الترابط العارض بين حدثين أدى إلى خرافة كان أو مازال لها اثر كبـــير فـــى الكثيرين وفى نمط توافقهم فى الحياة وترجع هذه الخرافة إلى العقيدة المسيحية التى تقول بأن الاجتماع الأخير للمسيح بتلاميذه كان يضم (13) شخصًا هـــم المســـيح وتلامـــيذه الأثنى عشر. وقد تنبأ المسيح فى ذلك الاجتماع بأن أحد تلامـــيذه الحاضرين معه سوف يشى به إلى أعدائه من اليهود وسيسلمه إليهم. وقد وقـــع عقـــب الاجتماع ما تنبأ به المسيح، وحوكم ثم قرر اليهود صلبه وهكذا فإن مجـــرد المصادفة فى حادث درامى أليم قد أدى إلى انتشار هذه الخرافة، مما جعل الـــناس يتشـــاءمون مـــن هـــذا الرقم حينما يلتقون به لدرجة أن كثيرًا من الفنادق المرتفعة فى الغرب تتخطى هذا الرقم فى ترقيم حجراتها، بل وأيضًا بالنسبة لترقيم المبـــنى حيث تنتقل فى الترقيم من الطابق الثانى عشر إلى الرابع عشر مباشرة .. ثـــم أن التشـــاؤم من يوم الجمعة وهو تاريخ الصلب، وخاصة إذا جاء فى الثالث عشر من الشهر يرجع إلى نفس المنطق الذى يربط بين الحوادث لمجرد تتابعها أو تلاقـــيها بالصدفة المحضة ويزداد الأثر إذا كان الموقف خطيرًا أو أليما باعثا على الانفعال الشديد [1].

---

(1) انظر التفكير الخرافى، المصدر السابق، ص 33.

ويرى "هاند" أن الاعتقاد الخرافى كان يزدهر دائما أشد الأزدهار حين يكون الأفق العقلى للإنسان مخفضا، وقدراته على الاستدلال محدودة وإذا كانت العلاقات بين السبب والنتيجة غير مفهومة على وجهها الصحيح. فالشخص غير الموجه توجيها سليما، فى أى زمان أو أية ظروف يمكن أن يكون ميالا للتشبث بأول تفسير للظاهرة يقدم له، ويمكن بنفس هذا المنهج المندفع أن يؤثر ويفضل حلا مدهشا أو مربكا على الحل الأسلم والمعقول السبب.

وإذا ما فتشنا فى التاريخ الماضى عن تفسير للنزوع إلى تفسير الظواهر والأحداث فى إطار ذاتى، فسنواجه حقيقة مؤداها أن الأفكار الخرافية ليست كلها نتيجة استنتاج شخصى معين. ويبدو أنه كانت توجد دائمًا مجموعة من الأفكار الموروثة من أزمنة ماضية، هى عنصر مترسب وكلها خرافية تطيرية وهذا الراسب كثيرًا ما يحمل مفهوم عنصر مريب أو مرفوض.

ولم يتم الاتفاق قط على الاشتقاق الدقيق لكلمة الاعتقاد الخرافى بالإنجليزية، بيد أن مقابلها الألمانى يبدو أنه يدعم فكرة الإيمان الخاطئ أو الزائف التى إما أنها عاشت أو نبتت خارج حدود الإيمان أو الاعتقاد المقبول، والألفاظ المقابلة بالألمانية والهولندية والدنمركية ألفاظ تفيد الوجهين، وتتجاوز فى هذه الناحية اللفظ اللاتينى الذى معناه مجموعة أفكار أو نسيج من الأفكار المريبة غير الشرعية. وهناك لفظ هولندى آخر يؤكد أن مثل هذه المعانى المريبة أو المشكوك فيها نتج خارج نطاق المعايير المقبولة للتفكير والإيمان.

وثمة وجه آخر أيضا يرى فى أقرب لفظ إغريقى معادل للاعتقاد الخرافى وهو "مخافة الأرباب" فهذا اللفظ الإغريقى يعبر. أوضح من أى تعريف آخر. عن اهتمام الناس بالقوى التى لا تدرك، والتى تقوم وراء الكون المنظور، وتوقظ فيه لا مشاعر الروح فقط، بل مشاعر الخوف أيضا. وهذه المواجهة الأساسية مع القوى المحيطة به سواء أكانت حية أم غير حية. هى التى تجبر الإنسان على تنظيم عالمه الخاص من التفكير والعمل. ويبدو أن هذا الإكراه عالمى، يشمل الإنسان إلى

درجـــة كبـــيرة أو صـــغيرة فـــى كل مراحل الحضارة، ويدفعه إلى الاستفادة من الأوضـــاع المواتـــية حيث يدفعه هذا إلى محاولة إبطال مفعول القوى الشريرة أو المشئومة المزعومة التى تعترضه، مهما اقتضاه هذا من ثمن، وكلما أمكنه ذلك.

وفـــى حيـــن يشـــيع الظن بأن هذه المعتقدات القديمة والممارسات الخرافية مـــيراث قوم مازالوا فى حالة بدائية، أو جاهلية، وأن هذه الأفكار الخاطئة الطريفة ظلـــت حـــية فى المجتمع المتمدن لدى العامة غير المتعلمين، نجد أن التجربة قد علمتـــنا غـــير هذا. فالتفكير الخرافى موجود لدى كل طبقات المجتمع، ونلقاه لدى أناس على كل مستويات التعليم ودرجاته.

ونترك جانبا الإنسان البدائى، مادام الكثير من حياته العقلية والروحية قائما علـــى أدنى المعرفة بالعالم المادى الذى يحيط به، ولننظر. من باب أولى. إلى من يمـــثلون زمانـــنا هـــذا، وحالتـــنا الراهنة، ملتمسين لديهم أمثلة توحى إلينا بمدى المعـــتقدات والممارســـات غـــير العقلانية التى تكون المجموع العام للعتاد العقلى الحديث المعروف باسم التفكير الخرافى.

فـــنجد. علـــى ســـبيل المثال – رجلا من رجال المال بنيويورك يرى نفسه مجـــبرًا علـــى ارتداء ربطة عنق – مجلبة للحظ – وهو ذاهب إلى سوق الأوراق المالية، ونجد تاجرا فى هامبورج يبرم أول بيع فى يومه باى ثمن كان، كى يضمن – بتعبـــير مجـــازى – صفقات بيع طيبة طيلة هذا النهار، ونجد سكان الجبل فى كاورلينا الشمالية يمررون الصغار من خلال جذوع الأشجار المشقوقة ليخلصوهم مـــن ضيق التنفس أو غيره من الأوجاع. ونجد صيادى السمك الإنجليز يطوحون إلـــى الـــبحر جزءًا من أول صيد لهم، لكى يكون ما يأخذونه من البحر محصولا ســـخيا جـــزيلا. ونجـــد مذيعا لمباريات الرياضة لا يشير إلى أن هدافا يتقدم نحو الهـــدف، حتى لا "تنحس" هذه الحقيقة اللاعب وتحبط جهده. وهناك الاعتقاد الذى يكاد أن يكون عالميا بأن الدم البرئ الذى أهدر لا يمكن أن يمحى. وكذلك التحريم العالمى للذيوع لإشعال السجائر لثلاثة أشخاص بعود ثقاب واحد، والإيمان المنتشر

بالأثر السحرى للأرقام 3 و7 و9، والنفور العالمى من الرقم 13 فى معظم أرجاء العالم الغربى [1].

ويمكـــن للقائمـــة أن تمتد إلى مئات الألوف من العناصر التى تكون رصيد المعتقدات الشعبية والأفكار الخرافية فى العالم المتحضر. وما من أحد يعرف. ولو بالتقريـــب. كم من هذه المعتقدات التى انقضى زمنها يمكن أن توجد فى أى قطر، لأن تنويعات منها تبتكر بسهولة، وعناصر جديدة تصاغ على غرار النماذج القديمة بـــتداعى الفكـــر وتـــرابطه. وهذه الصفة الإبداعية للعقل هى التى تفسر بالضبط التشعب الواسع للأفكار البسيطة، وتجعل المعتقدات والخرافات الشعبية أكثر أنواع الفلكلور المتبقى من العصور السابقة تكاثرًا.

ويكفى مثال واحد للتفكير الاقترانى لتصوير سهولة تنقل المادة الفولكلورية مـــن قطر إلى قطر، وسهولة تكيف العناصر المفردة من موقف إلى موقف. وهذا المـــثال يـــتعلق بتحريم الصفير. ويبدو أن هذا التحريم كان مرتبطا ارتباطا بارزا بالمراكـــب – على الخصوص فى زمن استخدام الأشرعة – حينما كان المعتقد أنه يحســـب المـــلاح أن يصـــفر كى يجلب على سفينته إعصارًا دون أن يفطن. ومن الناحـــية الأخـــرى، عـــندما تقـــف سفينة فى مكانها لقلة الريح، ففى وسع النوتى الحصـــيف أن (يصـــفر لـــيوقظ الـــريح) كما يقولون. ولكى هذا الصفير كان يعد (استحضـــارا ســـحريا)، لا يلجأون إليه باستخفاف ونزق. وسرعان ما اكتشف أن تحـــريم الصفير موجود أيضًا فى المناجم، ولكن علاقة ذلك بالرياح غير قائمة. ثم عـــرف بعد هذا أن عواقب الصفير السيئة تنطبق أيضا على المسارح، لاسيما فى غـــرف ملابـــس الممثليـــن. ولم يعرف بعد كيف وصل هذا التحريم إلى حجرات الصـــحف فى المدينة وإلى غيرها من المؤسسات، ولكن الخوف من أنه قد يسبب الـــنحس أو ســـوء الطـــالع كان سببا كافيا كى يتقبل الشخص سريع التصديق هذا

---

(1) انظر ويلاند د. هاند، "مخافة الأرباب" الاعتقاد الخرافى والمعتقد الشعبى فى الفولكلور الأمريكى، تأليف 25 باحثًا من المتخصصين، ترجمة نظمى لوقا، ص 339: 343.

التحريم بدون تساؤل، على أساس إحساس ظاهرى بالترابط المنطقى. وسواء أكان أصل هذا التحريم قائما على الظن بأن المرء إذ يصفر (يستدعى الشيطان). كما يظن كثير من العلماء. أو كان مرجعه إلى الزمن الذى قيل أن النساء كن يقفن فيه جانبا ويصفرن بلا اكتراث بينما كان الحدادون الفجر يصنعون المسامير لصلب المسيح، فلن يتاح لنا الجزم بأى من هذه التعليلات. ويقال أن النفور الحالى. فى العقلية الشعبية. من الفتاة التى تصفر، على نحو ما هو وارد فى شعر قديم:

الفتاة التى تصفر والدجاجة التى تنعق

لابد حتما أن تكون نهايتهما سيئة

إنما يرجع تاريخه إلى الظروف المزعومة التى اكتنفت صلب المسيح، وفى يومنا هذا يعتقد فى ألمانيا أن الفتاة التى تصفر فتاة واهية العفة والفضيلة، ويذهب البعض إلى أنها لابد أن تنتهى إلى الانخراط فى أقدم مهنة عرفها التاريخ أى الدعارة.

والاعتقادات الخرافية، تختلف عادة عن المعتقدات الشعبية، فى أنها فى آن واحد أكثر التصاقا وإلحاحا إنها - بوجه عام - من الأهمية بحيث لا ينظر إليها كمجرد أوهام عابرة، بل على العكس ينبغى اعتناقها وإتباعها. وفضلاً عن هذا، يؤدى الامتثال لما تقضى به المعتقدات الخرافية حتما إلى الخطأ والضرر فى النهاية، فالامتناع مثلا عن مساعدة من أصابتهم الصواعق - كما كان عليه الحال فى العصر الكلاسيكى القديم - أو رفض إنقاذ غريق كما فى زمن أقرب إلى العصر الحديث، إنما يقوم هذان الموقفان على أساس أن الآلهة أو غيرها من القوى فى سبيلها إلى اقتضاء حقها من المصعوق والغريق، وكلا هذين الموقفين اعتقاد خرافى فى أسوأ صوره.

وأما الأفكار غير الضارة التى تقوم على حكم خاطئ، فكثير من الكتاب يستخدمون حاليًا مصطلح "الاعتقاد الشعبى"، و"الاعتقاد الفولكى" للدلالة عليها. وتلك هى الأفكار العتيقة التى تثير الروع والعجب من جهة، أو تثير البهجة

والســـرور، من جهة أخرى، فالاعتقاد الشعبى أو "الفولكى" كثيرا ما يكون مسألة موقف ومسألة إيمان، أضف إلى هذا إرادة ناشطة هى إرادة التوهم أو التخيل [1].

وهـــناك من أنماط التفكير الخرافى ما يقوم على أساس جعل الرغبة أساسا للواقـــع، وتخيل الواقع فيما ينسجه الخيال من أوهام. والحقيقة أننا جميعا فى بعض الأحـــيان نبنى لأنفسنا قصورا فى الهواء، فى أحلام اليقظة ونحقق من الآمال فى خيالـــنا مـــا تحول حقائق الحياة بيننا وبين تحقيقه فى الواقع. ولكننا نقف فى هذا الاتجاه عند حد لا نتخطاه، فإذا جاوزناه كان ذلك انتقالا من صفوف الأسوياء، إلى صـــفوف المرضى. فاللعب بالأفكار والخيال الذى يبعد الإنسان فترة ما عن رقابة الواقع من الأمور التى تفيد الصحة النفسية ويبعث فى الإنسان النشاط للعمل الجدى والابـــتكار. ولكـــن المشـــكلة تصبح خطيرة حقا عندما نبالغ فى البعد عن الواقع الملمـــوس وعـــندما نتعلق بأهداب الخيال أو الصدفة البعيدة التحقق (مثل الاعتماد علـــى أوراق اليانصيب كوسيلة للإثراء) ونركز فى ذلك كل جهودنا، ونبنى عليه آمالنا فى الحياة. وقد نتلمس أسباب النجاح والسعادة والتوفيق فى رؤية وجه معين فى الصباح مثلا، وسماع كلمة عابرة فى الطريق (ما يقوله الفأل). ونستمد العون مما نحمل من تعاويذ وأحجبة، ونتذرع ونتسلح بذلك فى وجه الأخطار والمصاعب والعدوى من الأمراض، وتصريف شئون الحياة.

ولكـــن إذا كانـــت الخرافات التى تنطوى على التفاؤل ضارة من حيث أنها تصرف الإنسان عن الواقع، وتوجه نشاطه وتفكيره فيما لا يفيد، فهى مع ذلك أقل ضررا من ذلك التى تنطوى على التشاؤم.

فـــالأولى قـــد تطمئن الفرد على غير أساس من الواقع أو المنطق، فى حيـــن أن الثانـــية تثير فيه الشك والقلق وعدم الطمأنينة مما يعرضه للإخفاق والفشـــل فعـــلا، وفى ذلك تدعيم لتلك الخرفات وللتفكير الخرافى. وينبغى أن

(1) المصدر السابق، ص 344 : 346.

نتذكر أن الخرافات التى تقوم على التفاؤل تقابلها أخرى تقوم على التشاؤم، وأن هذا التقابل يوجد فى معظم الأحيان عند الفرد الواحد وفى سلوكه. فالشخص الذى يتفاءل بمقابلة شخص ما ويعتقد اعتقادا قويا فى أثر هذا فى عمله وفى حظه فى ذلك اليوم لابد وأن تنتابه الوساوس إذا لم يقابله خاصة عندما يكون مقبلا على أمر هام من أمور حياته، ثم إن من يؤمن بأن مجرد لقاء وجه ما له تأثير فى مصيره، وإن كان هذا التأثير خيرًا فهو فى أغلب الأحيان يؤمن بأن وجها آخر قد يكون فى لقائه الغم وسوء المصير. والشخص، الذى يتفاءل خيرًا بحمل التعاويذ يكون أكثر استعدادا لقبول فكرة أن أشياء معينة وأحداث خاصة – لا علاقة منطقية لها بعمله أو سلوكه – ذات تأثير سيئ فى مصيره، ومن أمثلة ذلك "الشبشب" المقلوب، أو المقص المفتوح، وكذلك مثل كسر المرآة، وتناول الإبرة من يد شخص آخر – وخاصة أثناء الليل – وهكذا .. ذلك لأن التفكير فى الحالتين ينطوى على مسلمات عن السحر قد لا يعيها الفرد.

فالسحر نوع من الخرافات وهو يقوم على أساس التفكير الخرافى، والواقع أن السحر من أبرز أمثلة التفكير الخرافى القائم على العلية الغيبية. وهو لون ونمط من التفكير واسع الانتشار بين كثير من فئات المجتمع، ومن الخطأ أن نظن أن الاعتقاد فى السحر والتفكير القائم عليه مقصور على العامة أو على البدائيين والهمج فحسب، لأن كثيرا من المتعلمين فى الواقع يؤمنون بأفكار لا يمكن تبريرها إلا على أساس غيبى هو لون من ألوان السحر. ولا يعنينا هنا أن يكون الإنسان واعيا أو غير واع بأن تفكيره قائم على السحر، وإنما الذى يعنينا هو الركائز التى يقوم عليها تفكيره فعلا [1].

---

(1) انظر التفكير الخرافى، المصدر السابق، ص 35 : 37.

(جـ) العرافــة

العـــرافة لغـــة هى حرفة العراف، والعراف هو المنجم وطبيب العرب [1]. والعـــرافة Witchcraft هى فن التنبؤ بواسطة الاتصال بالأرواح الشريرة. وترتد فـــى معناها الأصلى إلى معنى آخر عكس ما صار شائعا عنها. فلقد كان العراف هـــو الشـــخص صـــاحب الحكمة والبصيرة، وقد استمدت هذه اللفظة الإنجليزية Witch من كلمة Wit ومعناها يعرف.

ولكـــن مـــنذ حوالى القرن الخامس عشر اقتصر استخدام كلمة عرافة على الاشـــتغال بالسحر بواسطة التنجيم أو الرجم بالغيب سواء كان الممارس لها رجلا أو امرأة. والواقع أن السحرة والمنجمين معروفون فى جميع بقاع العالم وقد اعتقد الـــناس دائمًـــا أنهـــم منوطون بقوى فائقة للطبيعة. وأهم الأسلحة التى يتذرع بها العراف زعمه أنه مستطيع الرجم بالغيب.

ويمكـــن القـــول أنه إذا ما تم ذلك باسم الإله المعترف به من قبل المجتمع اعتبر نبوءة، وينال التقدير، ويناط صاحبه بمسحة من التقديس، ولكن على العكس مـــن ذلك فإذا ما تم الرجم بالغيب عن طريق الاتصال بإله أو بروح غير معترف بهـــا من جانب المجتمع عد التنبؤ إذن عرافة وضربا من ضروب السحر. ذلك أن العرافة تعد جانبًا من جوانب السحر. ولعل هذا التمييز بين الاثنين يظهر فيما قدمه موسى من معجزات وما قدمه السحرة أمام فرعون. فكل من موسى والسحرة اتهم الجانـــب الآخـــر بأنة يستلهم قوته من الشيطان. فمن وجهة نظر المصريين آنذاك كانـــت الأعمال الخارقة تتم بمساعدة الله الواحد الذى يعبده. وما يقال عن السحر باعتـــباره ممارسة ينسحب أيضا على العرافة كرجم بالغيب، والتنبؤ بما سيكشف عنه المستقبل من أحداث [2].

---

(1) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص 601، الجزء الثانى.

(2) انظر الموسوعة البريطانية، المصدر السابق، مجلد 23، ص 687.

(د) الكهانـــة

الكهانـــة لغـــة هى حرفة الكاهن. والكاهن كل من تعاطى علما دقيقا. ومن العرب من كان يسمى المنجم والطبيب كاهنا.

وكهن له كهانة أخبره بالغيب فهو كاهن.

وكهن كهانة أى صار كاهنا، أو صارت له الكهانة طبيعة وغريزة [1].

وقد كان المتداول على ألسنة العرب فى الجاهلية أن فى بلاد العرب نفر من الذيـن وصلتهم أسرار سليمان الحكيم السحرية، يعيشون فى الواحات البعيدة عن الطرق المسلوكة وهؤلاء هم سحرة العرب. وكان هؤلاء السحرة يعرفون عادة فيما قبل الإسلام باسم الكهان. وكانوا يدعون المعرفة بالغيب.

وتذهـب الـروايات الإسلامية إلى أن الكهانة كانت أصنافا، منها ما يتلقاه الكهنة من الجن إذ كانت الجن تصعد إلى السماء فيركب بعضها بعضا إلى أن يدنو الأعلـى بحيـث يسـمع الكلام فيلقيه إلى الذى يليه إلى أن يتلقاه من يلقيه فى أذن الكاهـن فيزيد فيه. فلما جاء الإسلام ونزل القرآن، حرست السماء من الشياطين، وأرسلت عليهم الشهب فبقى من استراقهم ما يتخطفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصـيبه الشـهاب. وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠ ﴾.

والنوع الثانى ما يخبر به الجنى من يواليه بما غاب عن غيره مما لا يطلع عليه الإنسان غالبا أو يطلع عليه من قرب منه لا من بعد.

والثالـث مـا يستند إلى ظن وتخمين وحدس، وهذا قد يجعل الله تعالى فيه بعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه.

والنوع الرابع ما يستند إلى التجربة فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك،

---

(1) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص 809، الجزء الثانى.

وكانت إصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جدًا، وظهر من بين العرب نفر اشتهر منهم شق بن أنمار بن نزار وسطيح ابن مازن بن غسان وطريفة الكاهنة، ولهؤلاء وغيرهم قصص عجيبة طويلة تبين الخوارق والأعاجيب التى قاموا بها [1].

وقال الشمس بن عابدين: " **والحاصل أن الكاهن هو من يدعى معرفة الغيب، وينقسم إلى أنواع متعددة كالعراف، والرمال، والمنجم، والكل مذموم شرعا، محكوم عليهم وعلى مصدقهم بالكفر إذ أن ما يدعون به هؤلاء السحرة والدجاجلة وهو معرفة الغيب شرك بالله الواحد الصمد** " [2].

بين العرافة والكهانة

اختص بعض الدارسين العرافة بأنها التكهن بما خفى من أحداث الماضى، واختصوا الكهانة بأنها التكهن بما عسى أن يحدث فى المستقبل. ولكن هذا التخصيص ليس له ما يبرره، ويعززه، لأن العرافة والكهانة بمعنى واحد، إلا أن العراف كان أقل شأنًا من الكاهن، وكان الناس يقصدونه لمعالجة بعض أمراضهم، أما الكاهن فكانوا ينزعون إليه لتعرف الحوادث، ويعتمدون عليه فى الفصل بينهم إذا ما تفاخروا وتنافروا [3].

(هـ) الشعوذة : Sercery

الشعوذة خفة اليد والقيام بعمليات من أجل خداع المشاهدين. وهى فن يستعمل قوة غير عادية، فيقوم المشعوذ بأعمال تظهر الشىء للمشاهدين على غير ما هو عليه فى الواقع، ومرجع ذلك إلى خفة فى اليد، (وهذا ما يعبر عنه حرفيا، فى الإنجليزية Slight of Hand. وتكتسب "خفة اليد" بممارسة الحيل وتنمية

---

(1) أحمد الشنتناوى، المصدر السابق، ص 59 : 61.

(2) مصطفى فهمى الحكيم، أسرار الجن، ص 168.

(3) أحمد الحوفى، ألوان من استكناه الغيب فى العصر الجاهلى، الهلال، يناير 1975، ص 22.

المهارة العضوية، وبخاصة السرعة فى حركة الأصابع (هذا هو المعنى الحرفى للأصل اللاتينى للكلمة الفرنسية Prestidigitation)[1].

والشــعوذة أو الشــعبذة هى: " تأثير فى القوى المتخلية، يعمد صاحب هذا التأثير إلى القوى المتخيلة، فيتصرف فيها بنوع من التصرف ويلقى فيها أنواعا من الخــيالات والمحاكاة وصورًا مما يقصده من ذلك، ثم ينزله إلى الحس من الرائين بقــوة نفســه المؤثرة فيه فينظر الراءون كأنها فى الخارج وليس هناك شيء من ذلــك"[2]. فالشــعودة إذن تخــتلف عن السحر، لأن السحر، قد يهدف إلى إخضاع القوى الطبيعية لإرادة الإنسان.

وتبدو الشعوذة، أحيانا، قريبة من السحر، وهذا ما يظهر جليا عند "الباقلانى" "الســحر .. إنمــا هو تخيل وتمويه، على نحو سحر سحرة فرعون. أما من يعمله المشــعبذون فهو نوع من الحيلة والخفة" [3] ولا تخلو الشعوذة من مهارة ومحاولة للتسلية أحيانًا.

ثالثًا: المفهومات المتعلقة ببعض الوسائل والإجراءات السحرية الهامة:

1- التعويــذة

مــن أهــم الوســائل المستخدمة فى السحر التعويذة، وهى عبارة عن كلمات مفهومة أو غير مفهومة يقولها الساحر أو يكتبها بطريقة معينة ويأمر الشخص الذى تعمــل الــتعويذة لصالحه بأن يضعها فى مكان معين سواء فى جسمه أو فى مكان قريــب مــن جسمه، أو فى مكان قريب من عدوه، إذا كان يطلب قهر ذلك العدو أو إبطال مكائده والتغلب عليه.

---

(1) محمد عزيز الحبابى، معجم العلوم الاجتماعية، ص 338.

(2) ابن خلدون، المقدمة، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ص 498.

(3) أبو بكر الباقلانى، البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والسحر، ينشره ريتشارد مكارثى، دار صادر، بيروت، 1958، ص 32.

ويمكـن القـول بوجه عام إن التعويذة هي سحر فردى، بمعنى أن المستخدم للـتعويذة لا يكـون جماعـة من الناس بل يكون شخصا واحدا قبالة شخص واحد. فالعداء الفردى يدفع بكل من الشخصين المتخاصمين إلى الساحر يحيك لهما تعويذة، يدفع بها كل منهما كيد الآخر من جهة، ومن جهة أخرى يجلب على الطرف الآخر النوائب والمصائب بالمرض، أو الفقر، أو غير ذلك من أشياء مستكرهة [1].

2- الحجـاب

" الأحجبة جمع حجاب. وقد اشتهر بين العوام المصريين استعمال الأحجبة، وأشـهر من اشتهر بعملها المغاربة من أهالى تونس، والجزائر، ومراكش، ويليهم فـى ذلك السودانيون وبعض الفقهاء. والعادة أن تكتب بحبر أحمر، أو أخضر، ثم تطبق الورقة، وتوضع فى جلد أحمر، ويعلقها فى رقبته من أراد، ويكون الحجاب تحت الثياب. وبعض الناس يتعمد أن يكتب الحجاب بنجاسته حفاظا من العفاريت. ويقولون إن الجان أسرع فى إنجاز الأغراض من غيرهم.

وبعـض الناس ينقطعون لهذا العمل، وبعضهم يغالى فيه. وبعضهم يتحجب بالمصحف الشريف، ولذلك طبع فى حجم صغير جدًا ليوضع فى الجيب الصغير. وبعـض الأغنـياء يضعه فى علبة صغيرة من الذهب أو الفضة للتبرك. وقد ألف بعـض العلمـاء كتبا فى الأحجبة على اختلاف أنواعها: فحجاب لشفاء المريض، وحجـاب لقضـاء الحاجات، وحجاب لتحبيب الزوج فى الزوجة وغير ذلك، ومن أشهر الكتب فى هذا المجال كتاب "مجربات الديربى الكبير" [2].

" ويؤمن المصريون بالأحجبة ومعظمها عبارة عن تعاويذ، أو آليات معينة مـن القـرآن، وأسماء الله الحسنى وأسماء الملائكة، وأسماء الأنبياء المشهورين يتخلل هذا كله أرقام وأشكال هندسية يقال أن لها مجتمعة أثرا لا يعلمه أحد. ويعتقد

(1) انظر يوسف مخائيل أسعد، المرجع السابق، 213.

(2) أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، ص 35.

المصريون بقوة تأثير هذه الأحجبة وقدرتها على حفظهم من الأمراض، والسحر، والعين وغيرها من الشرور.

ومن المناظر المألوفة فى مصر أننا نرى الأطفال يلبسون حجابا داخل علبة مثلـــثة الشكل يعلق فوق الطاقية لكى يقيهم شر العين، والخوف من العين يفسر لنا كثيرا من عادات المصرين وسلوكهم، وحتى الخيول يعلقون على رؤوسها الأحجبة والـــتعاويذ. وهـــم يـــتخذون الحيطة دائمًا من العين، ويحاولون جهدهم دفع أذاها وشرها [1].

3- التحويطـــة

حجـــاب للوقايـــة يحمل تحرزا من أى عمل سحرى ضار يوجه للإنسان، وتقـــوم فكرته على أساس أنه مادام الإنسان قادرا (من وجهة نظر المعتقد الشعبى) على استخدام السحر فى إيقاع الضرر بالآخرين فلابد أن الآخرين لديهم فى الوقت نفســـه وبالدرجـــة نفسها قدرة على إيقاع الضرر به ولذا وجب عليه التحوط من الأعمال السحرية الضارة الموجهة إليه [2].

4- الرقيـــة

الرقية تعويذة يستعان بها من الشر، وقد تكون الرقية من عين حاسدة، ولهم فـــى ذلـــك طـــرق كثيرة، من ذلك أن تؤخذ قطعة من طرف ثوب صاحب العين وتحرق فى النار، وتتلى عليها التعويذة.

ومـــن الـــرقى المســـتعملة كلمات تقال بعد وضع قليل من الملح فى كيس صغير، ويعلق فى رقبة الأطفال. وهناك رقية خاصة تقال فى أيام عاشوراء، وهى

---

(1) ادوارد وليم لين، إنجليزى يتحدث عن مصر، ترجمة فاطمة المحجوب، ص 134.
(2) انظر محمد الجوهرى، علم الفولكلور، ص 216.

فـــى العشـــرة الأولـــى مـــن المحرم، فتعدد الأشياء التى فى البيت وتضاف إليها التعويذة، حتى لا تحسد [1].

5- العيـــن

العين إذا رفت فإن المصريين يتشاءمون بهذا إذا حصلت من إحدى العينين (اليســـرى)، ويـــتفاءلون إذا حصلت من الأخرى. ويقولون إذا رفت أعينهم: اللهم اجعله خيرًا.

وتطلـــق العين أولاً على الحسد، فيقولون للمحسود، أصابته عين، ويعتقدون أن بعـــض الـــناس فـــى عينه قدرة على الحسد تؤذى من أصابته، ويداوون ذلك بالتعاويذ والبخور والأحجبة. ويقولون فى أمثالهم: "عين الحسود فيها عود" [2].

6- الحســـد

يعـــتقد المصـــريون كثيرًا فى الحسد وخلاصة هذه العقيدة أن بعض الناس عـــنده خاصـــية فى عينه، إذا نظر إلى شىء أماته أو أتلفه. ومن غريب الأمر أن رجـــلا عظيما "كابن خلدون" يحكى مثل هذا ويقول أنه شاهد بعض الناس إذا نظر إلى خروف أو نعجة نظرة خاصة أماتها، ثم إذا شرحت وجد قلبها تفتت. وقال أنه رأى فى بلاد المغرب جماعة من هذا القبيل يسمون "البعاجين".

" ويعتقد المصريون أن الحسد يكون على أتمه إذا نظر الحاسد وشفع نظرته بالشهيق. وكان من الشائع عند النساء أنه إذا نظر رجل تلك النظرة أسرعت المرأة وقالت لـــه: "وراك تعبان أو عقربة أو فأر" فيلتفت وراءه لينظر إليه، وبذلك يذهب سحر عينه.

---

(1) احمد أمين، المصدر السابق، ص 212.
(2) أحمد أمين، المصدر السابق، ص 213.

ويـداوون ذلـك بـأن يـأخذوا قطعة من طرف ثوب الحاسد ويبخروا بها الحسود، سواء أكان إنسانا، أو حيوانا، أو أى شىء آخر.

ويزيد الاعتقاد بالحسد إذا اشتهى ما عند المحسود، كأن يكون الحاسد فقيرًا والمحسود غنيًا، أو عند المحسود مواش أو أموال يشتهيها الحاسد، أو إذا كان الحاسد ليس له ولد والمحسود كثير الولد ويزعمون أن الحجاب يمنع العيـن، ولهم فى ذلك طرق منها وضع قليل من الملح المجروش فى كيس يعلـق فى عنق الأطفال، وكذلك ناب الذئب أو ناب الضبع، أو رأس هدهد علـيه ريـش يوضـع فى قطعة من الستان الأحمر، ويخاط عليها. وأحيانا يداوون الحسد بالرقى من ذلك رقية مشهورة وهى : " بسم الله أرقيك ، من كـل شىء يؤذيك ومن كل عبد حاسد بسم الله أرقيك، والله يشفيك ، من كل نفس أو عين ".

ومـن هـذه الطـرق أن يوضع قليل من الملح فوق جمر من النار، ويقف المحسـود، ويجعـل الجمـر بين رجليه، وتتلى الرقية المذكورة، ثم تجعل الرقية وجهها فى وجه الذى ترقيه، وتتثاءب بشدة حتى يتثاءب المحسود.

وأحيانا تأتى بعض العجائز فتوقد نارًا، وترمى فيها شيئًا من "الشب" وتذكر أسماء الذين يُظن أنهم الحسدة، وتأخذ دبوسا أو ابرة فتضعه فى عين الصورة التى تحول إليها الشب، وتقول: فقأ الله عينها.

وقـد تأخذ قطعة من الورق، وتشك فيها الدبوس عدة مرات متعددة فى كل مرة تقول: من عين فلانة، ثم يبخر المحسود بهذه الورقة مع الملح [1].

---

(1) انظر أحمد أمين، المصدر نفسه، ص 167، 168.

7- الاستخـــارة

الاســتخارة ضرب من قراءة الغيب، فيستخيرون بالسبحة، تؤخذ مجموعة من الحبات اعتباطا، وآخر حبة هى القول الفصل في أن يفعل الشيء أو لا يفعل. وأحــيانًا يستخيرون بالمصحف يفتحونه كيفما اتفق، ويستخيرون بورق يقطعونه، ورقـــة فيها نعم، وورقة فيها لا، ويستخيرون بأول قادم يطلع عليهم، إن كان مليح الوجه أو رديئه، وهى شائعة عند المصريين.

8- المنـــدل

يقول أحمد أمين فى قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، أنه شاهد مرة مندلا لإظهار سارق شيئًا:

" فـأتى صاحب المندل بطفل فى نحو السابعة أو الثامنة واختاره بواسطة رسم كفه، فهم يعتقدون أنهم إذا كان كفهم يقرأ 71، أو 17، كان الأطفال أقرب إلى نجاح المندل. وبعد أن أحضر صاحب المندل الطفل صب فى يده اليمنى نقطا من زيت مع إطلاق البخور. ثم سأل الطفل هل ترى مكانا مرشوشا وكراسى مصفوفة ؟ ولايزال بالطفل حتى يقول رأيت. ثم يسأله هل ترى فى هذا المكان أحد ؟ فيقول بعد طول وقت: نعم رأيت. ويسأله عن صفة هذا الرجل وما يلبسه فيقول أرى رجلا أو امرأة صفته كذا، ثم يطبقون هذه الأوصاف على شخص يعرفونه فيكون هو اللص. وهو نوع من الإيحاء " (1).

9- الربـــط

الـــربط هـــو عمل سحرى يعمله الشيخ ويتلو عليه عزائم، يزعم الناس أنه

(1) المصدر نفسه، ص 380.

يعوق الرجل عن الإتيان بالأعمال الجنسية، ولذلك يلجأ المربوط إلى الشيخ أو شيخ آخـــر، يحـــل هذا الربط، فإذا حُل، عاد الرجل إلى طبيعته الأولى، ويكثر ذلك فى القرى [1].

(1) المصدر نفسه، ص 209.

الفصل الثالث

تصنيفات السحر

عرض تحليلى نقدى

تمهيد

يذهب العلماء والباحثون فى تصنيف السحر إلى تصنيفات ومذاهب شتى. ويرجع الاختلاف فى التصنيف إلى الخلفيات المتباينة لهؤلاء العلماء والباحثين، ومنطق التصنيف لدى كل منهم فبعضهم يصنفه تصنيفات وصفية، ومنهم من يصنفه تصنيفات وظيفية ومنهم من يتجه إلى التصنيفات الإجرائية. ونلاحظ أن غالبيتهم يتجهون إلى التصنيفات الثنائية للسحر. فهناك من يصنفه إلى سحر أبيض وسحر أسود. وهناك من يصنفه إلى سحر سلبى وسحر إيجابى. ويذهب البعض إلى تقسيمه إلى سحر تعاطفى وآخر تشاكلى، أو إلى سحر حقيقى وسحر غير حقيقى، أو إلى سحر رسمى وآخر شعبى. كما أن هناك نفر من الباحثين ينفرد كل بتصنيفه المتفرد للسحر. وفيما يلى عرض تحليلى لأهم تصنيفات السحر عند علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع، ثم عند علماء المسلمين.

أولاً : تصنيفات السحر لدى علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع

(أ) السحر الأسود والسحر الأبيض

من أشهر تقسيمات السحر تقسيمه إلى سحر أسود وسحر أبيض. ويعد "فريزر Frazer" من أهم العلماء الذين ذهبوا هذا المذهب فى تقسيم السحر والسحر الأسود سحر ضار يمارس يقصد إلحاق الأذى بالآخرين، أو على الأقل لإيذاء شخص ما من أجل شخص آخر، أو لتحقيق نفع شخص ما على حساب شخص آخر، وهذا الشكل من السحر شائع شيوعا كثيرًا فى كل المجتمعات والثقافات فى كل العصور.

أما السحر الأبيض فإنه يخدم أهدافا أخرى مختلفة عن ذلك تماما كما أنه

أكثر أهمية من وجهة نظر المجتمع نظرًا لأنه يحقق أهدافا عملية تعود بالنفع على المجـــتمع ككل ولا تتعارض مع قيم ذلك المجتمع. ويتمثل السحر الأبيض فى أكثر صوره انتشارًا فى التعاويذ والطلاسم والرقى التى يستعين بها المرء لإنجاز أعماله اليومية وتحقيق الأهداف التى قد يعجز عن تحقيقها بقواه الخاصة. ولذا فإن السحر الأبـــيض لــــــه فروع كثيرة متخصصة تتنوع تبعًا لتنوع الحياة الاقتصادية على الخصـــوص، فهـــناك سحر خاص يقنص الحيوان وسحر خاص يصيد السمك أو بفلاحـــة البساتين أو بصناعة الفخار. وإن تكن هناك فروع أخرى تتعلق بغير ذلك مـــن أنـــواع النشاط الإنسانى كما هو الحال مثلا فى السحر الخاص بالحب. وهذا معـــناه فـــى الحقيقة أنه من الصعب جدًا إحصاء الصيغ السحرية وتصنيفها. تلك الصور التى قد توجد لدى أى شعب من الشعوب بل حتى لدى أى قبيلة من القبائل الصغيرة العدد.

ويجمع العلماء على أن أهم نوعين من السحر الأبيض فى كل أنحاء العالم همـــا السحر الخاص بالتنبؤ بالمستقبل أو التنبؤ بالغيب، والسحر الخاص بالعلاج أو التداوى أو التطبيب. وترجع أهميتها إلى الدور الذى يلعبانه فى حياة الإنسان والمجـــتمع من جهة، وإلى أن ممارستها تحتاج إلى كثير من التخصص والدراية والمهارة من جهة أخرى (1).

(ب) السحر التشاكلى، والسحر الاتصالى

ويمكـــن فهـــم هذيـــن النوعين من السحر فهما أوضح إذا أطلقنا عليهما تســمية واحـــدة شاملة وعامة مثل السحر التعاطفى، نظرًا لأن الاثنين يفترضان إمكـــان تأثـــير الأشـــياء بعضها فى بعض من بعيد عن طريق نوع من التعاطف الخفـــى، بحيث ينتقل ذلك التأثير من شىء لآخر خلال ما يمكن تصوره على أنه نـــوع من الأثير الشفاف. ولا يختلف الأمر هنا عما يسلم به العلم الحديث من أجل

(1) انظر سير "جيمز فريزر" الغصن الذهبى، ص 101 – 102.

غرض مماثل تماما وهو تفسير كيفية تأثير الأشياء فيزيقيا بعضها فى بعض خلال الفضاء الذى يبدو خاليًا.

ويمكــن أن نضـــع قسمى السحر المذكورين فى الشكل التالى تبعا لقوانين الفكر التى يستندان إليها:

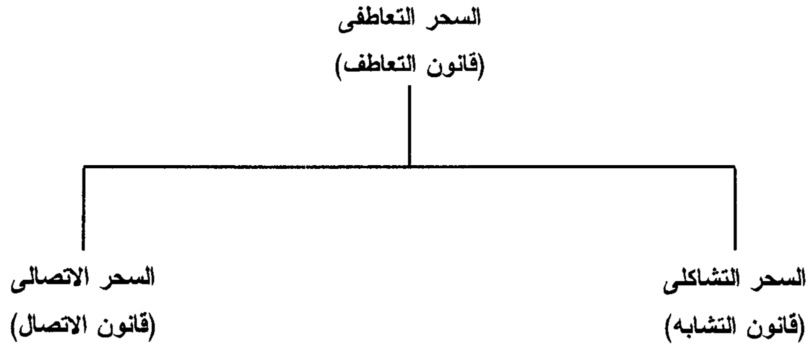

وســـوف نوضح عن طريق الأمثلة كلا من هذين القسمين الكبيرين للسحر التعاطفى بادئين بالسحر التشاكلى.

1- السحر التشاكلى: homoeopathic magic

فالســـحر التشاكلى ويعرف أحيانا بسحر المحاكاة imitative magic يقوم علـــى اســـتخدام مبدأ التشابه "الشبيه ينتج الشبيه". ومن أبرز المحاولات استخدامًا لمـــبدأ التشـــابه، وأكثرها شيوعا وانتشارًا هى المحاولات التى يقوم بها كثير من الـــناس فـــى مخـــتلف العصور لإلحاق الأذى أو الدمار بأعدائهم عن طريق إيذاء صـــورهم أو تدمـــيرها، اعتقادًا منهم أن ما يلحق بالصورة من شر وضرر يلحق بالتالى بصاحبها، وأنه حين يتم تدمير الصورة يموت الأصل بالضرورة.

وقـــد قامت هذه الممارسات منذ آلاف السنين عند سحرة الهند القديمة وبابل

ومصــــر وكذلـــك فـــي بلاد اليونان وروما، كما أنها لاتزال شائعة عند الجماعات البدائية فى استراليا وأفريقيا.

فالهـــنود الحمـــر فى أمريكا الشمالية يعتقدون أن رسم صورة الشخص فى الـــرمل أو الـــرماد أو الطين أو الحصول على أى جزء من جسمه وبخسه بقطعة حـــادة من الخشب أو إلحاق أى نوع آخر من الأذى به يستتبعه إلحاق أذى مماثل بالشـــخص ذاته الذى تمثله هذه الصورة. وعلى ذلك فحين يريد شخص عند هنود "أجبواى Ojebway" إيذاء أحد أعدائه فإنه يصنع له تمثالاً صغيرًا من الخشب ثم يغرز إبرة فى رأسه أو قلبه أو يطلق عليه سهما، اعتقادًا منه أن عدوه سوف يشعر بآلام حادة نفاذة فى ذلك الجزء من جسمه الذى يقابل الموضع الذى أصابته الإبرة أو الســـهم من التمثال. أما إذا كان يريد قتل عدوه مباشرة وفى التو واللحظة فإنه يحـــرق التمثال أو يدفنه وهو يردد بعض الصيغ السحرية كذلك كان الهنود الحمر فى "بيرو" يصنعون من الدهن المخلوط بالحنطة تماثيل على هيئة الأشخاص الذين يكرهونهم أويرهبونهم ويحرقونها فى الطريق الذى يسلكه هؤلاء الأعداء، ويعرف ذلك عندهم باسم "حرق الروح".

والحقيقة أن هذا الأسلوب من السحر شائع جدا فى كل المجتمعات المعروفة مـــع خلاف فى درجة الممارسة والتطبيق. ويوجد هذا الأسلوب فى مجتمعاتنا كما هو الحال مثلا فى صنع "عروسة" من الورق وغرزها بالإبرة فى عدة مواضع ثم إحراقها لإبطال الحسد.

ويســـتخدم الســـحر التشاكلى أو سحر المحاكاة فى بعض الأحيان - وإن كان بدرجـــة أقـــل بكثير - فى تحقيق النوايا الطيبة نحو الآخرين ومساعدتهم فى الحياة، فكثيرا ما يستخدم لتسهيل عملية الوضع والولادة ومنح النسل والذرية للنساء العاقرات.

ومـــن الأوجه المفيدة الأخرى التى يستخدم فيها السحر التشاكلى الاستعانة بـــه فى معالجة الأمراض أو الوقاية منها. ولقد كان الهندوس القدماء يمارسون بعض الطقوس الدقيقة التى ترتكز على السحر التشاكلى لعلاج مرض الصفرة أو

الـــيرقان، وكـــان الهـــدف الأساسى من هذه الطقوس هو نقل الصفرة من جسم المـــريض إلى الكائنات والأشياء الصفراء الأخرى مثل الشمس التى تنتمى إلى ذلـــك اللون عن جدارة، ثم حقن المريض باللون الأحمر الذى يدل على الصحة والعافية وذلك من أحد المصادر التى تتمتع بالحيوية والقوة مثل الثيران الحمراء. ولكـــى يتم ذلك كان أحد رجال الدين عندهم يتلو الرقية التالية "سوف تصعد إلى الشـــمس آلام قلبك ومرض الصفرة، وسوف نغمسك فى لون الثور الأحمر، إننا نغمسك فى الأصباغ الحمراء لتنعم بالحياة طويلا، ألا فلتتحرر وتتخلص من ذلك اللـــون الأصـــفر. إنها قوة عليك قوة وحيوية تلك الأبقار التى تنتمى إلى الإلهة "روهيـــنى" الحمراء. إننا ننقل صفرتك إلى الببغاوات وطيور الدج وغيرها من الطـــيور الصـــفراء". ولكـــى يســـرى رحيق الصحة الوردى فى جسم المريض الشـــاحب فإنه يرشف. أثناء ترديد رجل الدين لهذه الكلمات. بعض رشفات من المـــاء الممزوج بشعر ثور أحمر، وذلك بعد أن يكون رجل الدين قد سكب الماء فـــوق ظهـــر الحيوان ليقدمه للمريض ويجلس المريض أثناء ذلك فوق جلد دب أحمر وقد ربط قطعة من ذلك الجلد إلى جسمه.

وزيـــادة علـــى ذلـــك فـــإن السحر التشاكلى بخاصة، يلعب دورًا كبيرًا فى الإجـــراءات التى يتخذها قانصو الحيوانات وصيادو السمك عند الشعوب الهمجية لضـــمان الحصول على قدر وافر من الطعام. فتبعا لمبدأ "الشبيه ينتج الشبيه" يقوم الصـــياد وأصـــدقاؤه بكثير من الأعمال التى تهدف عمدا إلى محاكاة النتائج التى يـــريدون الوصول إليها، بينما يتجنبون من الناحية الأخرى كثيرًا من الأمور التى تشبه من بعض الوجوه الأشياء التى يعتقدون أنها ضارة ومؤذية.

وهذا يفسر لنا تلك العادة التى كان يلجأ إليها الإنسان المبكر فى عصور ما قبل التاريخ من رسم صور حيوانات وقد انغرزت فى أجسامها الحراب أو السهام كمـــا هو الحال فى كهوف العصر الحجرى القديم. إذ بمثل هذه الحيلة كان قانصو

الحيوانات يتحكمون فيها مقدما بقصد التمكن من قتلها بالفعل أو على الأقل استدراجها إليهم [1].

وقد يلجأ الناس فى بعض الأحوال إلى السحر التشاكلى أو سحر المحاكاة للتغلب على الفأل السئ وإبطال مفعوله، وذلك عن طريق المحاكاة وتقليد النتائج المتوقعة، على أمل أن تخدع هذه العملية القدر المحتوم فيتم استبدال الكارثة الوهمية بالنكبة الحقيقية. وهذا الأسلوب فى خداع الأقدار يستخدم بطريقة منهجية منظمة فى مدغشقر، حيث يعتقد الناس أن حظ المرء فى الحياة يتأثر بيوم وساعة مولده. فإذا صادف مولده ساعة نحس مثلا كان النحس هو قدره المحتوم إلا إذا أمكن إبعاد الشر- أو نزعه كما يقولون - عن طريق إيجاد بديل له. وثمة طرق كثيرة متنوعة لتحقيق ذلك. فإذا عبس القدر لشخص ما عند مولده، واختار الفقر حليفا له، فإنه يستطيع بسهولة أن يبعد عنه شبح الفاقة، وذلك بأن يشترى اثنتين من اللآلى الرخيصة التافهة ويدفنها فى التراب فالأثرياء وحدهم هم الذين يستطيعون فى هذا العالم الاستغناء عن اللآلى ورميها. كذلك يعد شهر نوفمبر الذى تهطل فيه الأمطار بغزارة شهر الدموع، وعلى ذلك فإن الطفل الذى يولد فى ذلك الشهر إنما يولد للحزن والأسى، ولكى تنقشع الغيوم التى تتجمع فوق مستقبل حياته يتحتم عليه أن يرفع بيديه الغطاء عن إناء به ماء مغلى وأن يحركه حول جسمه حتى تُغير القطرات المتساقطة من الغطاء مصيره وقدره لأنها تحل محل الدموع التى كان مقدرا أن تنهمر من عينيه حين يكبر.

(جـ) السحر الاتصالى Contagious Magic

رأينا أن المبدأ الرئيسى فى السحر التشاكلى أو سحر المحاكاة هو أن "الشبيه ينتج الشبيه" وهذا معناه بقول آخر أن المعلول يشبه علته، والفرع الكبير الثانى للسحر التعاطفى، هو السحر الاتصالى، وهو يقوم على فكرة أن الأشياء المتصلة

(1) انظر فريزر، المصدر نفسه، ص 109، 110، 123.

تظل – حتى بعد أن تنفصل تماما أحدها عن الآخر – فى علاقة تعاطف بحيث أن ما يطرأ على أحدها يؤثر بالضرورة تأثيرًا مباشرًا على الآخر. وعلى ذلك فالأساس المنطقى للسحر الاتصالى هو وجود نوع من الترابط الخاطئ بين الأفكار كما هو الحال بالنسبة للسحر التشاكلى.

وربما كان أشهر مثال للسحر الاتصالى هو التعاطف السحرى الذى يفترض **وجوده بين الإنسان وأجزاء جسمه كالشعر والأظافر حتى بعد أن تنفصل هذه الأجزاء عنه بحيث أن وقوع شعر شخص ما أو أظافره فى يد شخص آخر يجعله خاضعا لإرادته مهما بعدت المسافة بينهما. وتشيع هذه الخرافة فى العالم كله.** ويورد "فريزر" عليها كثيرا من الأمثلة [1].

ومن الأجزاء الأخرى التى يعتقد كثير من الناس باستمرار وجود الصلة التعاطفية بينها وبين الجسم بعد أن تنقطع كل الروابط الفيزيقية بينهما حبل السرة وكل ما ينزل من جوف المرأة بعد الولادة بما فى ذلك المشيمة. والواقع أن الناس يرون أن هذه الصلة تتمتع بدرجة من القوة والمكانة بحيث تحدد أقدار الأفراد وحظوظهم فى الحياة، ونصيبهم من الخير والشر. ومن هنا كان الاعتقاد بأن المحافظة على الحبل السرى والمشيمة والعناية بهما تؤثران تأثيرا مباشرا فى نجاح الشخص، بينما أن تعريضها للتلف والضياع يكون له تأثير مماثل على صاحبهما. ومن هنا كان الاعتقاد الشائع عند بعض قبائل غرب استراليا بأن إجادة الرجل للسباحة أو فشله فيها أمر يتوقف على ما إذا أمة قد ألقت بحبله السرى فى الماء بعد الولادة أو لم تفعل، وحتى فى أوروبا نفسها (فى القرن 19) نجد كثيرا **من الناس يعتقدون أن مصير الشخص مرتبط إلى حد ما بحبله السرى أو بمشيمته.** ومن هنا كان الناس فى المناطق المتاخمة من بافاريا لنهر الرين يلفون الحبل السرى فى قطعة قماش من التيل القديم ويحفظونه لفترة معينة من الزمن

(1) المصدر نفسه، ص 178 – 180.

يقطعونـــه بعدها إلى أجزاء صغيرة أو يخزونه عدة مرات تبعا لما إذا كان الطفل ذكرا أو أنثى حتى يشب صانعا ماهرا أو خياطة حاذقة [1].

وفـــى ريف مصر نجد أيضا هذا الاعتقاد بأن المحافظة على الحبل السرى والمشيمة والعناية بهما تؤثران فى نجاح الشخص، بينما أن تعريضهما للإهمال والضياع يكون له التأثير نفسه على صاحبهما، ومن العادات المتبعة فى التخلص من الخلاص، أن يرمى فى الصاغة اعتقادا أن هذا يجعل الطفل ثريا فى المستقل، أو يرمى فى ماء البحر أو النهر أو الترع إعتقادا أن هذا يجعل جروح الطفل فى المســـتقبل ســـريعة الالتئام بغسلها بالماء ويفضل البعض رمى الخلاص للكلاب أملا فى تكون الزوجة ولودا مثل أنثى الكلب المعروفة بكثرة خلفها.

هـــذا بالنســـبة للتخلص من الخلاص. أما بالنسبة لباقى الحبل السرى الذى يترك متصلا بالسرة ومغطى بالملح والقماش، فإنه يذبل ويسقط من نفسه فى اليوم السابع عادة أو بعد ذلك بقليل.

وهنا تؤخذ هذه البقايا الجلدية الذابلة وترمى على عتبة محل بقالة أو أقمشة، أو فى وكالة الحبوب، أو وكالة قطن، أملا فى أن يكون الطفل فى المستقبل تاجرا مـــن التجار الأثرياء، وتفضل بعض الريفيات أن ترمى هذه البقايا أمام عتبة كتاب القـــرية، أمـــلا فـــى أن يشب الطفل مقبلا على حفظ "كلام الله" أى القرآن. ومن العادات الشائعة أيضا، أن ترمى هذه البقايا فى الحقل أملا فى أن يكون الطفل فى المســـتقبل زارعـــا ماهـــرا. هذا إذا كان المولود صبيا، أما البنت، فإن بقايا حبلها الســـرى تـــرمى عـــادة أمام عتبة المنزل رمزا لأن العمل المرغوب فيه لها فى المستقبل هو أن تكون ربة بيت ناجحة [2].

(1) المصدر نفسه، ص 180، 185، 189.

(2) فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، ص 316، 317.

3- السحر الإيجابى والسحر السلبى

(أ) السحر الإيجابى:

يقول السحر الإيجابى أو الطلس: " **افعل كذا لكى يحدث كذا** " ويهدف السحر الإيجـــابى إلى تحقيق شيء مرغوب فيه، مثال ذلك إقبال الرجل البدائى على أكل كثير من الحيوانات والنباتات لكى يكتسب منها بعض الصفات المرغوبة التى يعتقد أنها متأصلة فيها [1].

(ب) السحر السلبى:

يقـــول السحر السلبى أو التابو "لا تفعل كذا حتى لا يحدث كذا" ويهدف إلى تجنب شيء مرغوب فيه.

ومع ذلك فإن كلا النتيجتين – أى المرغوب فيها والمرغوب عنها – تحدثان تبعا لقانونى التشابه والاتصال. وكما أن النتيجة المرغوبة فيها لا تتأثر فى الحقيقة والواقع بمراعاة الطقوس السحرية كذلك النتيجة المكروهة أو المرغوبة لا تنتج فى الحقيقة والواقع عن خرق التابو. وإذا كان الشيء المفترض حدوثه ينتج بالضرورة مـــن خـــرق الـــتابو، فـــإن التابو لا يصبح مجرد تحريم وإنما يصبح أحد القواعد الأخلاقـــية أو قواعـــد الإدراك السليمة. فليس من التابو أن نقول "لا تضع يدك فى النار" وإنما هذه قاعدة من قواعد الإدراك السليم، لأن الفعل المنهى عنه يؤدى إلى أذى متخـــيل أو مـــتوهم وبالجملة، فإن هذه القواعد السلبية التى نسميها تابو أشياء عديمـــة النفع والجدوى تماما مثل القواعد الإيجابية التى نسميها طلس، وكل ما فى الأمـــر أن الاثنيـــن يمثلان ناحيتين متقابلتين أو قطبين لأغلوطة كبيرة مفجعة، أو لتصـــور خاطـــئ لترابط المعانى. فالطلس هو القطب الموجب فى هذه الأغلوطة، بينما يؤلف التابو القطب السالب.

---

(1) فريزر، المصدر السابق، ص 38.

ومن الأمثلة الجيدة للسحر السلبى، تلك التحريمات التى تفرض على تناول أنــواع معيــنة مــن الطعام. فالرجل البدائى مثلا يتجنب تناول بعض الأنواع من الحــيوانات والنبات لكيلا تنتقل إليه منها الخصائص غير المرغوبة التى يعتقد أنها كامــنة فيها. فمن المعلوم مثلا أنه يحرم على المحاربين فى مدغشقر تناول أنواع معيــنة بــالذات من الطعام خشية أن تنتقل إليهم – تبعا للسحر التشاكلى – بعض الصفات الضارة أو المكروهة التى تعتقد الناس أنها متأصلة فى تلك الأطعمة. فهم يحــرمون عليهم مثلا أكل ركبة الثور حتى لا تضعف ركبتا المحارب وتصبحان مــثل ركبــتى الــثور فــلا يقوى على المشى الطويل كما أن الناس فى مدغشقر يحــرمون ذبــح الذكور من الحيوانات فى بيوت الجنود أثناء وجودهم فى الحرب حتى لا يترتب على قتل الحيوان قتل الرجل نفسه.

ويتضــح لــنا مما سبق من أمثلة عن التابو، أنها تفترض أن مفعول السحر يسرى ويمتد إلى مسافات بعيدة، وإذا كان العلم يثير كثيرا من الشكوك حول إمكان التأثــير من مسافة كبيرة فإن السحر لا يعرف مثل هذه الشكوك. فالإيمان بالتأثير عن بعد (telepathy) يعد أحد المبادئ الهامة فى السحر [1].

4- السحر الرسمى والسحر الشعبى:

يفــرق "محمــد الجوهرى" فى مقال لــه بعنوان "السحر الرسمى والسحر الشعبى": بين قسمين أو نوعين من السحر، الأول هو السحر الرسمى، والثانى هو الســحر الشعبى، وهو يرى أن السحر الرسمى يخاطب فئة محدودة من الناس هم السحرة المحترفون، والمشايخ المعروفون لنا جميعا فى ريف بلدنا وحضرها، أما السحر الشعبى فهو ملك لنا جميعا، فنحن نعيشه ونمارسه كل يوم.

فالسحر الرسمى فى رأى الباحث هو سحر الخاصة أما السحر الشعبى فهو

(1) المصدر نفسه، ص 139.

سحر العامة .. سحر عامة الشعب [1]، لذلك يحرص الساحر الرسمى بشدة على أن يبقى على خصوصيته، وعلى ألا يذاع (سر المهنة) مهددا قارئه، أو عميله فى أكثر من موضع – على لسان المؤلف نفسه أو على لسان ملاك أو خادم فى سياق معين– بأن يبطل مفعول هذا التأثير إن هو باح به لأحد [2].

ولهذا يتصدر كتاب أساسى من كتب السحر الرسمى وهو "شمس المعارف الكبرى" للبونى على الصفحة الثالثة من المجلد الأول ما يلى:

" **إنه كتاب الأولياء والصالحين الطائعين والمريدين والعاملين الراغبين** " ويرتبط بهـذا أوثق الارتباط أن يطلب الساحر الرسمى فى تفتيح كتابه أو رسالته أن يضن من تصل إليه هذه المعلومات، على الآخرين وألا يبوح بما تحويه من أسرار.

ويقول البونى فى الافتتاحية المشار إليها: " **فحرام على من وقع كتابى هذا فى يده أن يبديه لغير أهله، أو يبوح به فى غير محله**" فإنه إن فعل ذلك حرمه الله تعالى مـنافعه ومنعت عنه فوائده وبركته. ولا تمسه إلا وأنت طاهر" **ولا تقربه إلا إذا كنت ذاكرا، لتفوز منه بما تريد، ولا تصرفه إلا فيما يرضى الله تعالى. فكن به ضنينا، ولا تدع منه قليلا ولا كثيرًا وليكن يقينك صادقا وإيمانك بحقائقه واثقا ..**".

وينبه الباحث ابتداء بأن حديثه محدود بحدود السحر الإسلامى المصرى ثم يورد خمسة اختلافات أساسية بين ميدانى السحر الرسمى والسحر الشعبى تتلخص فيما يلى:

1- النظرة إلى العالم.

---

(1) بعد "مالينـوفسكى" أول من ميز بين سحر المتخصصين، وسحر العامة، وذلك عام 1922، عندما ذكر أنه لابد من التفرقة بين سحر المتخصصين المبنى على المعرفة السحرية، وسحر العامة المبنى على المعرفة العادية.

– انظر: B. Malinowski Argonauts of the Western Pacific

(2) انظر على سبيل المثال، البونى: شمس المعارف الكبرى: ج1، ص 129، وانظر أيضا منبع أصول الحكمة للبونى، ص 241 "النص السابق نفسه مختصر".

2- الموضوعات الأساسية التى يدور حولها كل ميدان منهما.

3- الشكل الذى يحفظ ويتوارث به كل نوع منهما.

4- مصادر التأثير على كل نوع، أو على الأقل ترتيب أهميتها.

5- مدى شدة الحاجة الدافعة إلى اللجوء للسحر فى كل منهما.

أما بالنسبة للنظرة إلى العالم، فإن الساحر الرسمى يعتقد أن الله خالق نظام هذا العالم والمسيطر عليه، وأن هذا النظام لا يخضع لإرادة غير إرادته. هو الذى خلق كل شيء، وأنه قد سار فى ذلك وفق بعض الأسس السحرية من هذا مثلا: أنه خلـق كل شيء بقوة اسمه هو، وخلق الأشياء الطيبة فى الوقت الطيب المناسب، وخلق الأشياء الضارة فى الوقت النحس غير المناسب، وخلق لكل شيء ملاكا أو روحا أو كل إليه الإشراف عليه.

وتمـثل هـذه العناصر الأركان الأساسية للعملية السحرية. فالاسم يمثل فى جمـيع الـثقافات التقليدية قوة خاصة. وهو مرتبط بشخصية صاحبه بواسطة قوة روحية. وقد لعبت هذه الخاصية السحرية للاسم. ولازالت تلعب. دورًا هامًا للغاية فى الحياة الروحية لجميع الشعوب وفى جميع العصور.

وهـنا أيضـًا تلعب الأسماء. سواء كانت أسماء إلهية أو غير ذلك – الدور الأساسى – ويعد ميدان علم الأسماء تتويجا للميادين الأخرى كعلم الحروف، وعلم الخواتـم والأشـكال، والمربعات، والتنجيم، وغيرها. فهى تعد جميعا ذات أهمية ثانوية بالنسبة لهذا "العلم". أما من حيث ارتباطا العمل السحرى بوقت معين، فهنا تـتجلى لنا العلاقة القوية المتباينة بين علم الأسماء وعلم التنجيم. فالساحر يرى أن الأسـم الإلهى لا يمكن أ ن يستخدم هكذا فى كل وقت من الأوقات. وإنما لكل اسم منها وقت خاص به يجب استخدامه فيه. ويتوقف تحديد هذا الوقت على عاملين:

أ – طبيعة الوقت نفسه إن كان سعيدًا أو نحسًا.

ب – طبيعة ومزاج الملاك الموكل بالاسم.

أمــا من حيث الملائكة الموكلين فيرى السحر الرسمى أن لكل مخلوق ملك موكــل بــه. ولكل اسم من أسماء الله خادم موكل به، كما أن هناك خادما لكل آية قرآنية، وكل حرف من الحروف الأبجدية، بل وكل دعوة (رقية).

وليست الملائكة الخدام قاصرة فقط على هذه الأشياء (المقدسة) وإنما هناك أيضــا خادم لكل يوم من أيام الأسبوع، ولكل ساعة من ساعات اليوم، ولكل فصل من فصول السنة، وكل نوع من الرياح، وكل اتجاه من الاتجاهات الأربع.

ويــرى الســاحر الرسمى، أن مهنته هى خلق كل شىء وفقا للمبادئ التى اتبعــت فــى الخلق الإلهى بقدر الإمكان. والمقصود بكلمة "خلق" هنا صنع شىء جديــد أو تغيير شىء قائم فعلا. وهو يحاول فى هذا الصدد أيضا استخدام الوسائل نفسها التى استخدامها الله فى خلق العالم. ولذلك لا يمكن أن ينجح له أى عمل دون إذن وتفويــض من الله. ونلاحظ أن السحرة الرسميين يؤكدون هذا فى كل مناسبة، وعــند تقديــم أى وصفة سحرية. ولا يمكن أن تتحقق فاعلية أى من الوسائل التى أشــرنا إلــيها: أسماء الله واختيار الوقت المناسب والحروف .. إلخ إلا من خلال القــوة الــتى يضفيها الله عليها، ومن خلال مساعدة خدامها من الأرواح الذين هم خلق الله (1).

ويورد محمد الجوهرى مصداقا لذلك نصا من كتاب "**شمس المعارف الكبرى للبونى – وهو كتاب أساسى فى السحر الرسمى – يقول فى بدايته عن شرح الأسماء الحسنى: لله أعلم أن اسمه تعالى الله هو اسم الله الأعظم ، وهو من الأذكار المفردة العظيمة. فمن ذكره 66 مرة بعد صلاة ركعتين فى جوف الليل بعد صوم ورياضة طويلة فإنه ينزل عليه سيد الروحانيين الملك كهياك عليه السلام وهو من الملائكة التى تجاه العرش وهو حاكم على 66**

(1) انظر محمد الجوهرى، السحر الرسمى والسحر الشعبى، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، العدد الثانى، مايو 1970، ص 6 – 8.

صفا من الملائكة وتحت كرامته أربع قواد تحت يد كل 66 ملكا فإذا ذكره الذاكر عدده فى خلوته فإن الخادم يحضر ويخر ساجدا لله تعالى ويقول فى سجوده أسماء عظيمة سريعة الإجابة وهى اللهم إنى أسألك بالله .. أسألك بأحديتك وصمديتك ونعوت ربوبيتك أن عبدًا من عبيدك قد شاركنا فى التسبيح والتقديس والأمر أمرك فإن أمرتنا بالنزول إليه فبإرادتك . فيقول الله تعالى انزلوا إليه واقضوا حاجته فإنه دعا اسمى الأعظم . فينزل ومن معه إلى الذاكر ، ويقول له : أيها العبد الصالح ..".

يترتب على هذا منطقيا أن إتباع الطرق والأساليب الواردة والمفصلة فى كتب السحر المختلفة عند تقديم وصفة سحرية معينة لابد أن يقود حتما إلى النتيجة المطلوبة. ولكن ماذا لو تأخرت النتيجة أو احتجب التأثير المنشود تمامًا ؟ تفسير ذلك عند الساحر الرسمى أمر يسير: فالخطأ طبعا راجع إلى شخص الساحر المنفذ وليس كامنا فى طبيعة التكنيك المستخدم أو راجعا إلى قصور فى قوة الاسم الإلهى أو غيره من عناصر العملية السحرية. ولذلك يقول البونى: ".. وإن لم تحصل الإجابة فمن تقصيرك فإن هذا الدعاء لا يخيب من دعا به موقنا مخلصا أكالا للحلال، صواما، قواما، صاحب صلاة ورياضة وصدق نية. وقد قال رسول ﷺ فمن يدعو والمطعم حرام. والمشرب حرام والملبس حرام أنى يستجاب له. فعليك بالحلال يستجاب لك لأنه دعاء الأولياء الأصفياء.

أما بالنسبة للساحر الشعبى، فالفكرة أبسط من هذا بكثير – حقيقة أنه يسلم. كمسلم – بأن كل شيء فى هذا العالم يخضع لإرادة الله. ولكنه يعتقد مع ذلك أن كل خير أو شر يمكن أن يصيب الإنسان يرجع إلى علاقة بين الإنسان الفرد والجن. ولذلك ليس (علم) السحر الشعبى سوى كيفية تسخير واستغلال للجن للحيلولة دون وقوع شيء ضار أو لعمل ما من شأنه الإضرار بأحد. وإذا ما تتبعنا تصور المستخدم للسحر الشعبى أكثر من هذا لا يصح لنا أنه يتجاوز عتبة الوثنية، ويدخل فى تناقض مع المبادئ الأساسية للدين الإسلامى.

من هذا يتضح لنا مدى الاختلاف فى النظرة إلى العالم بين نوعى السحر،

غير أن هذه الهوة آخذة فى التضاؤل بمرور الأيام.

أمـــا مـــن حيث الموضوعات الأساسية التى يدور حولها كل ميدان منهما، فـــنجد أن الســـحر الرســـمى يـــدور أساسا حول الدراسة التقليدية والبحث فى الله وعرشـــه، وخدمـــه، ومـــا يرضـــيه ومـــا يغضبه .. إلخ وكذلك الملائكة والجن والخصائص السحرية للحروف والأعداد وأسماء الله، والنباتات والحيوانات .. إلخ. ثـــم تـــأتى فى مرتبة تالية لهذه التعاليم الخاصة باستخدام هذه العناصر السحرية، وطـــرق نقـــل هـــذه الأســـرار إلى الأجيال التالية والمحافظة عليها. ثم تلى ذلك الأغراض التى يمكن استخدام هذه العناصر السحرية فيها. ويخضع الانتفاع العملى هـــنا لدرجة تدين الساحر، وما بلغه من تقدم فى مراتب التصوف والأخذ بأساليبه الصـــعبة، الـــتى تسعى إلى تخليص جسده وروحه من كل شرك أو فساد أو ظلم. ومعنى هذا أنه لا يستطيع دفعة واحدة تحقيق التأثير السحرى المطلوب. بل لابد له أن يتوصـــل إلى ذلك على مراحل، حتى يصل فى النهاية إلى أن يخضع لـــه كل المخلوقات " [1].

أمـــا الســـحر الشـــعبى فـــيدور أساسا حول الممارسة العملية. ولا تحتل العناصر النظرية – التى كانت تشغل مكانة بارزة فى السحر الرسمى – سوى مرتبة ثانوية فقـــط – ونجـــد بعض الموضوعات التى كانت تعالج فى السحر الرسمى بمنتهى العناية والإسهاب لا تتمتع فى السحر الشعبى إلا بأهمية ضئيلة، والعكس صحيح. ولذلـــك كـــان مـــن أبرز الظواهر المصاحبة لتدهور السحر الرسمى فى العصر الحاضـــر – بعد أن فقد موارده من السحرة الرسميين المتخصصين وأتى العصر الحديـــث على كثير من مكانته السابقة، وفقد بذلك طابعه (الأكاديمى) الذى ذكرنا طرفا منه – كان من أبرز تلك الظواهر تطويع الكتب السحرية الرسمية لمتطلبات الشعب، ومفاهيم السحر عنده. فهو لا يحتاج إلا إلى وصفات لمواقف معينة. وكان

(1) انظر محمد الجوهرى، المصدر نفسه، ص 8 – 9.

أن أصبحت كتب السحر اليوم لا تعدو مجموعة كبيرة من الوصفات التى يلجأ إليها الساحر المحترف لإجابة طلبات عملائه (1). وتزود هذه الكتب الجديدة، أو القديمة المعـاد طـبعها، بفهارس متصلة تقتصر عادة على سرد الأغراض التى يمكن أن تستخدم فيها هذه الوصفات. ولم يعد على الساحر المحترف - عندما يأتيه العميل - إلا أن يقلب صفحات فهرس الكتاب الذى يستعمله ليفتح مباشرة على الوصفة التى ينقلها للعميل (2).

وهـناك فـرق واضـح بالنسبة للشكل الذى يحفظ به كل نوع من السحر ويـتوارث، إذ أنه لما كان السحر الرسمى أساس تراثًا مكتوبًا، لا يتناقل ولا يحفظ إلا مدونًا، نجده أكثر تأثرًا بالتراث الحضارى المكتوب عادة. وتأتى فى مقدمة هذه الكتب، تلك المؤلفات التى نقلت إلى اللغة العربية من اللغتين العبرية والسوريانية، وتحـتوى هـذه الكتب - بشكل واضح كل الوضوح إلى جانب العناصر العبرية والسـوريانية عناصر بابلية، وآشورية، وإغريقية. ومن المؤلفات ذات التأثير الهام فى هذا الصدد أيضًا، الكتب العربية فى فجر الإسلام.

أمـا السـحر الشعبى فيقوم أساسًا على المعتقد المحفوظ فى صدور الناس، وعلـى الخبرات المكتسبة التى يتم تواترها وحفظها شفاهة فى المقام الأول (مثل: الجسـد وما يدور حوله من معتقدات وممارسات، والتفاؤل والتشاؤم من الأسماء. كالتفاؤل بكلمة أخضر والعزوف عن ذكر أسماء الأمراض الخطيرة كالسرطان أو غيره، وذلك إيمانًا بالقوة السحرية للاسم. فذكر الاسم استحضار لمضمونه واتصال بهـذا المضمون ... إلخ. وكذلك عفريت الليل وما يسجله المعتقد الشعبى الشفاهى

---

(1) انظر على سبيل المثال:
- عبدالفتاح السيد الطوخى: سحر الكهان فى حضور الجان، القاهرة، مكتبة القاهرة.
- عبدالفتاح السيد الطوخى: المندل والخاتم السليمانى والعلم الروحانى للإمام الغزالى، القاهرة، مكتبة القاهرة.

(2) انظر محمد الجوهرى، المصدر السابق، ص 7 - 9.

عـــنه من قصص وحكايات. ولهذا نرى ميدان السحر الشعبى أكثر تأثرًا بالتراث الشــفاهى المــتواتر فــى المجــتمع المصرى. وأبرز عناصر هذا التراث: البقايا المصرية القديمة، والمسيحية القديمة، والإسلامية الأولى التى نقلت إلى مصر على يد القبائل التى هاجرت إليها بعد الفتح العربى وقد استوطنت هذه القبائل فيما بعد، بعــض أقالــيم مصر، فقربت إلى المصريين من خلال ذلك التراث العربى القديم والإسلامى الأول.

وهناك اختلاف بين مدى شدة الحاجة الدافعة إلى اللجوء للسحر فى كل من الســحر الرســمى، والسحر الشعبى. فالسحر الشعبى يعتمد على خبرة عامة غير عمــيقة الأســس. ويمارس السحر الشعبى من قبل كل فرد فى المجتمع وفى كل مناسبة من المناسبات.

أما السحر الرسمى فيقوم على معارف متخصصة ذات أساس "علمى". ولا يذهــب الشــخص للساحر الرسمى إلا إذا كان السحر الشعبى قد أخفق فى تحقيق الــنجاح المطلــوب، أو إذا قدر صاحب الحاجة بادئ ذى بدء أن الهدف المنشود عظــيم الأهمــية بحيــث أن الخــبرات الضعيفة المحددة للسحر الشعبى لن تيسر الوصـــول إلــيه. وكمثال للحالة الأولى نذكر السيدة التى تريد إنجاب أطفال. فهى تسعى فى أول الأمر إلى أن تعالج نفسها وزوجها بواسطة الطرق المعروفة، وهى تســتعين فـــى ذلــك بخبرات الأقارب والجارات فإذا ما أخفق كل هذا لجأت إلى الســاحر الرسمى. وبذلك يبدأ السحر الرسمى. وكمثال للحالة الثانية نذكر الرجل الذى يريد القضاء على جاره لأى سبب من الأسباب، وهو غرض وارد بكثرة فى كتــب الســحر، فهــو يرى منذ البداية أن خبراته أضعف من تحقيق هذه الرغبة، ولذلك يتجه إلى الساحر الرسمى مباشرة.

وينـــبغى القــول بأن هناك تفاعل دائم بين هذين النوعين من السحر ولهذا ازدادت بمــرور الوقــت صعوبة تبين الخصائص المميزة لكل نوع منها. وأخذت

حدودها تتلاحم، بل وتتداخل فى بعضها.

ويجب ألا ننسى فى مجال التفرقة بين السحر الرسمى والسحر الشعبى، أن حملة السحر الرسمى هم أبناء المجتمع، ولدوا فيه وعاشوا فى إطاره، فهم أنفسهم همـــزة وصل بين نوعى السحر، إذ يأخذون من السحر الرسمى خبرات ومعارف ينقلونها للشعب أثرت فى السحر الشعبى تأثيرًا قويًا. وهم من ناحية أخرى ينقلون عـــن السحر الشعبى الشىء الكثير الذى يثرون به مؤلفاتهم ووصفاتهم فى السحر الرسمى.

ويـــرى محمـــد الجوهـــرى أنه لم يعد هناك "نشئ جديد" فى ميدان السحر الرســـمى بمعـــناه الحقيقى، وأن السحر قد فقد كثيرًا من مكانته كمهنة. فهناك إذن نوع من "التوقف" فى إنتاج سحر رسمى جديد، ولم يعد أمام مخلفاته الباقية إلا أن تقدم الثوب الذى يغلف فيه الممارسون مادتهم السحرية الشعبية التى لا زالت تدب فيها الحياة.

وقد بذلت جهود كثيرة لصبغ أفكار السحر الشعبى وخبراته بطريقة التفكير المعـــروفة فـــى السحر الرسمى، مما نتج عنه مؤخرًا حشد ضخم جدًا من الكتب. والمحفوظـــات طبعًا – التى تحتوى فى جوهرها على تصورات وخبرات سحرية شعبية، ولكنها مغلفة بمناهج وخبرات سحرية رسمية، وهى فى الوقت نفسه وسيلة – تجارية نفسية – لتأكيدها وإبراز مدى فاعليتها (1).

وتلعـــب بعض دور النشر المصرية دورًا كبيرًا فى هذا الصدد، فهى تحقق تجارة رابحة للغاية، إذ لا تحتاج إلى أكثر من طبع بعض فصول من كتاب أو عدة

---

(1) من أمثلة المخطوطات والكتب السحرية ذات المضمون الشعبى والشكل الرسمى نذكر بعض الأمثلة:

– البونى وابن الحاج، مخطوطة: "مجموعة فوائد من كتاب شمس المعارف الكبرى وكتاب ابن الحاج وغيره". وهى منسولة لهذه الأسماء فقط ولكنها إنتاج شعبى متأخر.

كتب سحرية. وقد يحدث أحيانًا أن يعيد بعض الشيوخ كتابة هذه الفصول [1]. ولو أن هـذه ليست هى القاعدة السائدة. كما يعاد اليوم طبع مؤلفات بأكملها، كشمس المعارف الكبرى للبونى مثلاً [2].

ويـرى محمد الجوهرى بناء على ما تقدم أن الواقع الذى سنتعامل معه – إزاء مـا حـدث من توقف فى إنتاج سحر رسمى جديد – هو سحر شعبى متشح بغلاف السحر الرسمى [3].

5 - سحر التنبؤ وسحر العلاج

يذكر "وليام هاولز" أن أهم قسمين أو نوعين من أنواع السحر فى كل أنحاء العالم هما السحر الخاص بالتنبؤ بالغيب، والسحر الخاص بالتداوى والعلاج.

ويـرد "هاولز" تلك الأهمية إلى أن المرض والشك هما دائمًا أشد وأقسى أسباب القلق الشخصى والاجتماعى، وهذا نفسه هو السبب فى وجود المشتغلين بقـراءة الكـف وورق اللعب، والعرافين والمنجمين وأمثالهم بيننا. كما أنه هو السبب فى أن الناس لا يزالون يقبلون كل أنواع طب الركة أو طب العجائز على الرغم من الطب الحديث بكل معلوماته الصحيحة الشاملة.

والواقع أن الاستعانة بما يمكن تسميته بطب الركة أو الطب الشعبى فى علاج الأمـراض – وبخاصة المستعصية والمزمنة – أمر شائع فى كثير من المجتمعات والـثقافات على اختلاف درجات تقدمها، ويعد مكملاً للطب الحديث ووسائل العلاج العملية بحيث يستخدم المريض الاثنين معًا، ويرد شفاءه إليهما معًا أيضًا.

---

(1) النموذج المثالى على هذا الكتاب "منبع أصول الحكمة" المنسوب للبونى، القاهرة 1956، وقد اتضح أن الكتاب بشكله الحالى ليس من تأليف البونى. انظر محمد الجوهرى، المصدر نفسه، ص 355.

(2) لا زالت طباعته تتوالى حتى عام 1969.

(3) انظر محمد الجوهرى، السحر الرسمى والسحر الشعبى، المصدر السابق، ص 9 – 12.

6 - السحر النظرى والسحر العملى :

إذا حللنا مبادئ الفكر التى يقوم عليها السحر، ونظرنا إليه على أنه نسق للقانون الطبيعى، أي تقرير للقواعد التى يتحكم فيها تتابع الأحداث فى العالم كله، فإنه يمكن تسميته حينذاك بالسحر النظرى. أما إذا نظرنا إليه على أنه مجموعة من القواعد والتعاليم التى يتبعها الناس فى تحديد أهدافهم فإنه يمكن حينئذ تسميته بالسحر العملى [1].

7- سحر الإنتاج، والوقاية ، والهدم

يذهب بعض الباحثين الأنثروبولوجيين إلى تصنيف السحر إلى ثلاثة أنواع رئيسية: سحر إنتاجى، وسحر وقائى، وسحر تحطيمى أو هدمى، فالسحر الإنتاجى بما له من أهمية طقسية، يهتم فى المقام الأول بالإتيان بنتائج إيجابية وفيرة، كأن يأتى بمحصول أوفر أو حصيلة أكبر من صيد السمك .. إلخ وهذا النوع من السحر قد يساعد فى تنظيم الجانب التقنى من النشاط، كما أنه يعمل على حث العاملين لبذل جهد أغزر، كما يعطيهم ثقة أكبر فى أن جهودهم المبذولة سوف تضمن لهم جزاء عظيمًا.

أما السحر الوقائى وهو السحر الذى يستهدف إبعاد الخطر وسوء الحظ أو المرض، فإنه قد يعطى المشاركين فيهن الثقة الضرورية للنجاح أو للطمأنينة مما يعمل بلا شك على الحصول على طاقة نفسية عظيمة. وتعد بعض الجهود السحرية المبذولة جهودًا سلبية. فأولئك الذين يعتمدون على السحر الإنتاجى يرفضون استثمار حب الاستطلاع العلمى لديهم، كما أنهم يعرضون عن بذل الجهد فى سبيل تحقيق قدر أكبر من التطور التكنولوجى.

أما النوع الثالث وهو السحر التحطيمى أو الهدمى فإنه يسمى بالإنجليزية

---

(1) "وليام هاولز" مات وراء التاريخ، ترجمة أحمد أبو زيد، ص 335.

sorcery أى الشعوذة، فى مقابل witchcraft الذى يعتقد أنه ينبع من هبة خاصة أو اســتعداد معيــن لــدى الفرد. وهو كثيرًا ما يكون مصدرًا للإشراف أو التحكم الاجــتماعى، وذلــك لأن أولــئك الممســكين بزمام السلطة بالمجتمع يخشون من استخدام قوة هذا النوع من السحر ضدهم. كما أنه من جهة أخرى قد يصير وسيلة تنفيســية، وذلك لأنه يسمح لأى شخص بأن يحطم عدوه فى نطاق خياله، ومن ثم فإنه يتحاشى استخدام العنف بيديه. لهذا فإن السحر قد احتل مكانة هامة فى غالبية المجــتمعات البدائــية، وقــد ظل محتفظًا بدرجة معينة من التأثير على الرغم من التحديات التى تصادفه اليوم فى ظل الحضارة الإنسانية المادية [1].

ثانيًا : تصنيفات السحر عند علماء المسلمين

1- تحدث أبو بكر الرازى المفسر المشهور عن تصنيفات السحر وأنواعه، فذكر منه سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية، وسحر يستعين أصحابه بالأرواح الأرضية، ويقصد بها الجن، وسحر التخيلات والأخذ بالعيون، لأن المشعبذ الحاذق يظهر عمل شىء يشغل أذهان الناظرين به، ويأخذ عيونهم إليه، حتى إذا استغرقهم الشغل بذلك الشىء والتحديق نحوه، عمل شيئًا آخر بسرعة شديدة فيبقى ذلك العمل خفــيًا، لتفاوت الشيئين: اشتغالهم بالأمر الأول، وسرعة الإتيان بهذا العمل الثانى "وحينــئذ يظهر لهم شىء آخر غير ما انتظروه، فيتعجبون منه جدًا، ولو أنه سكت ولــم يــتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد أن يعمله، ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجه، لفطن الناظرون لكل ما يفعله، فهذا هو المراد من قولهم أن المشعبذ يأخذ بالعيون لأنه بالحقيقة يأخذ بالعيون إلى غير الجهة التى يحــتال فــيها، وكلما كان أخذه للعيون والخواطر، وجذبه لها إلى سوى مقصوده أقوى، كان أحذق فى عمله.

(1) Encyclopedia Britannica, Vol. 14. 1965, p. 573.

وكلما كانت الأحوال التى تفيد حس البصر بها نوعًا من أنواع الخلل أشد، كان هذا العمل أحسن، مثل أن يجلس المشعبذ فى موضع مضىء جدًا، فإن الضوء الشديد يفـيد البصر كلالاً واختلالاً، وكذا الظلمة الشديدة، وكذلك الألوان المشرقة القوية تفيد البصر كلالاً واختلالاً، والألوان المظلمة قلما تقف القوة الباصرة على أحوالها" (1).

ويضيف الإمام الرازى إلى تصنيفات السحر ما يسميه سحر الأعمال العجيبة الـتى تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية الخاصة، وهناك سحر الاسـتعانة بخـواص الأدوية، كاستعمال بعض الأدوية المزيلة للعقل، أو التى تسبب تبلد الذهن، وهناك سحر "تعليق القلب" بأن يوهم الساحر مسحوره بأنه يعرف "الاسم الأعظـم" فيعتقد المسحور الضعيف العقل بذلك ويتعلق قلبه به، فيتحكم فيه الساحر، ويوجهه إلى ما يشاء، وهناك سحر السعى النميمية والوقيعة بوجوه لطيفة خفيفة.

2- وهناك من علماء المسلمين من يصنف السحر إلى أصناف ثلاثة، فنجد الإمام الأصفهانى يذكر أقسام ثلاثة للسحر فى كتابه "مفردات القرآن" وهى:

أولاً: الخداع والتخيلات.

ثانيًا: استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه.

ثالثًا: ما كان بقوة تغير الصور والطبائع، ولا حقيقة لذلك عند المحققين.

3- أما المفسر الجليل ابن كثير فيجعل أصناف السحر ثمانية وهى:

(أ) سـحر الكذابين الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة السيارة، ويعتقدون أنها مدبرة العالم، وأنها تأتى بالخير والشر.

(ب) سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية، لأن الوهم هو الذى يؤثر فى الإنسان، فيجعله يعتقد أنه يمكنه أن يمشى على الجسر الموضوع على وجه الأرض، ولا يمكـنه المشـى عليه إذا كان ممدودًا على نهر أو نحوه، والنفوس خلقت

(1) انظر أحمد الشرباصى، حديث السحر فى القرآن، المصدر السابق، ص 15.

مطيعة للأوهام.

(ج) سحر الاستعانة بالأرواح الأرضية، وهم الجن، ومنهم كفار ومؤمنون، واتصال النفوس الناطقة بهم أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية، لما بينها من المناسبة والقرب، وهذا النوع هو المسمى بالعزائم وعمل التسخير.

(د) سحر الشعبذة والأخذ بالعيون، وإذهال الناظرين، مع الاعتماد على السرعة الشديدة، ومن هذا النوع ما ذكره القرآن فى قوله: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾. وقوله: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾.

(هـ) سحر الأعمال العجيبة القائمة على استخدام خواص المواد واستغلال تركيب الآلات الخاصة بنسب هندسية خاصة، ومن هذا القبيل ما ذكره المفسرون فى قصة سحرة فرعون، حيث عمدوا إلى حبالهم وعصيهم، فحشوها زئبقاً، وجعلوا من أسفلها حرارة خاصة فصارت تتلوى بسبب ما فيها من ذلك الزئبق، فيخيل إلى الرائى أنها تسعى وتتحرك باختيارها.

(و) سحر الاستعانة بخواص الأدوية فى الأطعمة والدهون الخاصة.

(ز) سحر تعليق القلب، حيث يدعى الساحر المخادع أن الجن يطيعونه وينقادون له فى أكثر الأمور عن طريق معرفة (الاسم الأعظم) فإذا اتفق أن السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز. تعلق قلبه بذلك وحصل فى قلبه نوع من الرعب والمخافة، فإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة، فيتمكن الساحر حينئذ أن يفعل ما يشاء.

(حـ) سحر السعاية والنميمة، عن طريق التحريش بين الناس، ويتوقف هذا النوع على مدى ذكاء القائم به [1].

---

(1) انظر أحمد الشرباصى، حديث السحر فى القرآن، المصدر السابقن ص 15 ، 16.

4- وقد صنف علماء المسلمين أمثال ابن العربى الفقيه المالكى، والبونى صاحب "شمس العارف الكبرى، السحر إلى صنفين: حقيقى وغير حقيقى ويسميه بعضهم بالسيما. وأصله "شيم به". وقيل أنه اسم الله تعالى بالعبرانية فعربوه بالسيميا، ويسمى السحر غير الحقيقى أيضًا، بالأخذ بالعيون.

وقد أتى سحرة فرعون بمجموع القسمين، وقدموا أولاً السحر غير الحقيقى. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾.

ثم أردفوه بالحقيقى وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ﴾.

فلما اشتد أمر السحر، وخفيت أسبابه، وتزاحمت به الظنون، اختلفت طرقه إلى مذاهب شتى فأحد هذه المذاهب ما يقال له طريقة تصفية النفس وتعليق الوهم، وهى طريقة أهل الهند، لأنهم يعتقدون أن تلك الآثار السحرية إنما تصدر عن النفس الناطقة. ويلازمون الرياضات الشاقة حتى تصفو نفوسهم وتتجرد من جميع الشواغل البدنية بحسب الطاقة البشرية.

وقد بنى هذا المذهب على ثبوت التأثير لتوجيه النفس وتعليق الوهم ويدل على ذلك عشرة أوجه [1].

الوجه الأول

الرامى بالسهم أو بغيره. إذا أراد أن يرمى إلى غرض معين، فإنه لا يمكنه ذلك إلا إذا جمع المهم وتحرى الإصابة. وأيضًا من أراد أن يستقصى النظر إلى شىء معين، بموضوع معين، فلابد له من صرف جميع الشعاع وتوجيهه بالكلية نحو ذلك الموضع بدليل أنه لو بقى مشتغلاً بالنظر إلى شىء آخر تعذر عليه الإصابة فى الأول، والنظر المستقصى إلى ذلك الوضع فى الثانية.

(1) مصطفى فهمى الحكيم، أسرار الجن، المصدر السابق، ص 124.

الوجه الثانى

الاعتقاد الراسخ فى النفس، وقوة الإرادة والعزيمة.

الوجه الثالث

إن العقل والنقل متطابقان على أن العين حق وما ذاك إلا تأثير نفسانى.

الوجه الرابع

إن الإنسان يسير بكل سهولة على الأرض لتخيله السلامة، فإذا كانت هذه الأرض جسرًا على هاوية، تخيل السقوط، لأن الوهم إذا اشتد جعل الشىء الموهوم موجودًا.

الوجه الخامس

القوى العقلية.

الوجه السادس

التجربة والقياس. وهما يشاهدان بأن التصورات قد تكون مبدأ لحدوث بعض الكيفيات فى الأبدان، فإن الغضب الشديد مثلاً قد يفيد السخونة جدًا.

الوجه السابع

إجماع الحكماء على نهى المرغوب عن النظر إلى الأشياء ذات اللون الأحمر، والمصروع عن النظر إلى القوى اللامعة. وما ذاك إلا لأن النفوس مطيعة للأوهام.

الوجه الثامن

ما حكاه ابن سينا عن أرسطو من أن الدجاجة إذا تشبهت بالديك فى

الصـــياح، والخصام، وتوهمت الذكورية، نبتت على ساقها شوكة مثل الديك وهذا يدل على أن الأحوال الجسمانية تابعة للأحوال النفسانية.

الوجه التاسع

ذكـــر ابـــن ســـينا كذلك عن أن التفاوت بين الأشخاص الإنسانية فى الخلق والصورة أكثر منها بين سائر الحيوان. فقال إن تخيلات الإنسان وأفكاره أكثر مما لسائر الحيوان، والأشكال تتغير بحسب التصورات.

الوجه العاشر

اخـــتلاف شـــكل الإنســـان بحســـب اختلاف تصوراته النفسانية، فإن شكله وصورته فى حالة غضبه مثلاً يخالفان شكله عند الفرح والسرور والخوف، وغير ذلك.

ومن هذه الوجوه العشرة يثبت التأثير الوهمى.

أما القوة النفسية التى يقتدر بها على الإتيان بالخوارق فتنقسم إلى قمسين:

1- فطرية :

وهـــى التى تحصل للإنسان من غير اكتساب ولا نظر إلى طالع، بل لهيبة أصـــيلة فـــى النفس فقد يجوز أن يودع الله تعالى فى نفس مخصوصة قدرة وقوة وهمـــة غـــير موجودة فى غيرها من النفوس كما أودع الإحراق فى ماهية النار، والتـــبريد فى ماهية الماء، وغير ذلك وهذا إذا قلنا أن النفوس مختلفة بالماهية كما هو الحق.

أمـــا إن قلنا إن النفوس متحدة بالماهية فلا شك أنها مع ذلك الاتحاد مختلفة

بسبب الآلات البدنية، وبسبب الأعراض النفسانية. فلا يبعد أيضًا أن يخص الله تعالى بعض النفوس بمزاج خاص يكون آلة لنفسه فى القدرة على الإتيان بالأفعال الخارقة للعادة أو يخصها بعرض مخصوص يكون أكثر لنفسه ومعدًا لها على التمكن من الإتيان بتلك الخوارق.

وقد تكون أيضًا للنفس قوة المزاج، لأن الأمزجة مختلفة جدًا من جهة القرب إلى الاعتدال الحقيقى والبعد عنه، فيجوز أن يخص الله بعض الناس بمزاج غريب على نهج عجيب قل أن يتفق لأحد من الناس فيقوى بسبب ذلك المزاج على الإتيان بما يعجز عنه غيره.

ومن هذه الاحتمالات يجوز أن تكون القوة فى بعض النفوس فطرية.

2- مكتسبة :

وهى القسم الثانى من القوة النفسية، إما أن تكون مكتسبة أو قريبة من الفطرية، وهى التى يدل عليها أصل الإنسان.

ولهذا نجد أن شخصًا لا يتعب نفسه فى تحصيل قوانين هذا العلم، ورعاية شروطه فيحصل له المطلوب المقصود ولا يخطئ فيه أصلاً. ومن الناس من يتعب نفسه فى تحصيل تلك القوانين ومراعاة شروطها، وبعد ذلك لا يحصل له من منافعه إلا شيء قليل جدًا، ومنهم من يكون وسطًا بين النوعين.

(ب) السحر غير الحقيقى

السحر غير الحقيقى يأتى بالطرق المكتسبة، والاكتساب يحصل بمراعاة ثلاثة أنواع، فمتى اختل واحد منها فلا تحصل تلك القوة أصلا.

فالنوع الأول، هو **رفض الملاذ الدنيوية**، وترك الالتفات إلى طلبها بالكلية، فإنه إذا تركها الشخص زالت عن قلبه همومها وإشغالها من الفرح بوجود شيء، أو الحزن بفقده، ويصفو قلبه، وتقوى همته، ويخلو سره من كل ما سوى

المطلوب، فحينئذ يقدر على التفكير فيما يريده ويحصل على مقصوده.

والنوع الثانى، **تنقية البدن من فضول الأخلاط الرديئة**، لأن تنقية القلب من الأفكار الرديئة متوقفة على تنقية الأخلاط.

النوع الثالث، **مراعاة حالة الغذاء، كمية**، وكيفية. فأما وجه المراعاة فى الكمية فهو التقليل منها، لأن تصرف الطبيعة فى الغذاء شغل عظيم مانع للنفس عن تمام الاشتغال بما عداه من الأفعال بدليل أن الإنسان قل ما يقوى على الحس والحركة بعد الإكثار من الغذاء فضلاً عن التفكير والتذكر. وما ذاك إلا لأن النفس لا يمكنها الجمع بين تدبير الغذاء وتدبير الحس والحركة، ولذلك تعرض النفس عن تدبير الحس والحركة لتقوى على هضم الغذاء. فإذا كان اشتغالها بهضم الغذاء يمنعها من تدبير الحس والحركة مع شدة ألف النفس بهما، فما ظننا بالفكر والتطلع إلى هذا العالم المستور وهو مما لم نألفه" [1].

فالإنسان فى هذه الحالة ينبغى أن يجعل طعامه فى أول الأمر مثل ما جرت به عادته بأكله ثم ينقص منه فى كل ليلة بالتدريج جزءًا فجزءًا إلى أن ينتهى إلى القدر الذى لابد منه فى حفظ الرمق.

ومن آفات كثرة الأكل، فساد الدماغ، لأن من أكل كثيرًا شرب كثيرًا، وإذا شرب كثيرًا، صعد البخار الردئ إلى دماغه فيفسد دماغه وفكره، فكل ما يضر بالدماغ يجب الاحتراز منه، وكذلك ما يضر القلب.

أما مراعاة حال الطعام فيلاحظ عدم أكل ما فيه روح بل يكون طعامه من الحبوب بدهن الزيت إن وجد وإلا فالسبرج أو غيره من الأدهان المأكولة، وكذلك يمتنع تمامًا عن أكل الدجاج والحمام ففيها فساد للدماغ.

وقال المطلعون من العلماء الروحانيين: فإذا داوم إنسان على هذا النظام مع

---

(1) المصدر نفسه، ص 124 – 132.

مداومته على الصوم أربعين يومًا صارت نفسه صافية، وروحه نقية، ويحيط بغوامض العلوم، ويقدر على تمريض الأجسام العليلة.

أما أولئك الذين يدعون السحر الآن ويقولون بأنهم قادرون على فعله، والحصول على فوائده، فهم يخدعون بسطاء الناس لعدم إيمانهم بالحق، وبأن الله وحده هو عالم الغيب. (1)

5- ويرى سيد عبدالله حسين (2)، وهو من الباحثين الذين بحثوا فى ظاهرتى الجن والسحر، واعتمد فى ذلك على أدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وكتب علماء المسلمين، أن للسحر أصنافًا كثيرة أشهرها أربعة: (3)

(أ) سحر الكلدانيين، وهم عبدة الكواكب يعتقدون أنها هى المدبرة لهذا العالم ومنه يصدر الخير والشر والسعادة والنحس. وقد بعث الله فيهم إبراهيم عليه السلام مبطلاً لمقالتهم ورادًا عليهم مذهبهم.

وطريقة سحرهم أنهم يرصدون الكواكب فى منازلها فلها طبائع نحس وسعود، فإذا اقترن زحل بالقمر مثلاً فى وقت كذا يحدث كذا ولهم عزائم يتلونها ولهم رياضات خاصة يمارسونها فيحصل ما يريدون بأمر الله.

(ب) سحر تسلط الروح، وهو من أهل النفوس القوية، وذلك لأن النفس إذا كانت مستعلية على البدن شديدة الانجذاب إلى عالم السموات كانت كأنها روح من أرواح السموات فتكون لها القوة المؤثرة فى مواد هذا العالم المادية، وذلك مصداق الحديث القدسى: "يا عبدى أطعنى تكن ربانيًا تقول للشىء كن فيكون".

أما إذا كانت الروح ضعيفة شديدة التعلق بهذه الملذات البدنية فلا تتصرف إلا فى البدن، فإذا أراد صاحبها أن تؤثر فى بدن آخر اتخذ تمثال ذلك الغير

(1) المصدر نفسه، ص 134.
(2) من علماء الأزهر، وحاصل على ليسانس الحقوق.
(3) سيد عبدالله حسين، الجن: فى ذكر جميع أحوال الجن، ص 87.

ووضـــعه عـــند الحس وانشغل الحس به فيتبعه الخيال إليه. وأقبلت النفس الناطقة عليه فتقوى التأثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية، وذلك كان لابد لمزاول هذه الأعمـــال أن ينقطع عن المألوف والمشتهيات وأن يقلل الغذاء وينقطع عن مخالطة الخلق.

وهذا القدر من القوة النفسانية المستقل بالتأثير إذا انضم إليه النوع الأول من السحر وهو الاستعانة بالكواكب وتأثيرها، كان له أعظم التأثير.

فـــإذا صفت النفوس من الأبدان جاز لها أن تنضم الأرواح المماثلة لها التى خرجـــت من أجسامها فتتعاضد النفوس الكثيرة على ذلك الفعل فيحدث، وأيضًا إذا صـــفت هذه النفوس الناطقة عن الأكدار البدنية صارت قابلة للأنوار من الأرواح المساوية والنفوس الفلكية فتقوى على أمور خارقة للعادة.

(ج) السحر باستخدام الأرواح الأرضية (الجن) والاستعانة بها وهى أرواح خيرة، وأرواح شريرة، فالخيرة مؤمنو الجن، والشريرة كفار الجن والشياطين.

وهذه الأرواح الأرضية قادرة عالمة مدركة للجزئيات، واتصال الأرواح بها أســـهل مـــن اتصـــالها بالأرواح السماوية، لكن القوة الحاصلة بالاتصال الأرضى أضـــعف مـــن القـــوة الحاصـــلة بالاتصال السماوى، ويحصل الاتصال بالأرواح الأرضية بالرقى، والدخن (البخور) والتجريد وهى العزائم وتسخير الجن.

(د) السحر بالتخيلات والأخذ بالعيون وهو مبنى على ما يأتى:

1- أغلاط البصر وهى كثيرة.

2- القـــوة الباصرة إنما تقف على المحسوس وقوفًا تامًا إذا أدركت المحسوس فى زمان له مقدارها.

3- إن النفس إذا كانت مشغولة بشىء فقد يحضر عن الحس شىء آخر ولا يشعر

به الحس أبدًا (1).

ويـرى الباحـث أنـنا إذا عرفنا أنواع السحر أمكننا أن نفهم أثره فيتعلق السحر بالإنسان إما من جهة نظره ﴿ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ ﴾ وإمـا مـن جهـة جسـمه ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦ ﴾، وإمـا من جهة تعطيل بعض أعضائه فيمنعه عن الحركة وعن أن يكون طبيعيًا كما خلقه الله.

ربمـا أن تأثـير السحر خفى يمكن أن يقع فى أى وقت وفى أى عضو فى جسم الإنسان بلا مقدمة ولا رؤيا. لهذا كان تأثير السحر على الإنسان من حيث هو جسـم بـلا فـرق بين جسم شخص عادى أو نبى أو رسول. فالسحر يؤثر على الرسـول فى جسمه لا فى تشريعه، ولا فى رسالته لأن الله عصمه فى رسالته من الإنس والجن فلا يقدر أحد أيًا كانت قوته أن يؤثر عليه فى هذه الناحية. وقد روى البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قد سحر وأثر السحر فيه ولذلك فإن السحر فى نظرهما حقيقة واقعة لا مجال لإنكارها [2].

ففـى السحر إذن - فى تصنيفات علماء المسلمين - معنى الخداع والخفاء، والاسـتمالة والـتمويه بالكذب، وهو إما حيلة أو شعوذة، وإما صناعة علمية خفية يعـرفها بعـض الـناس، وإمـا تأثير نفس إنسانية فى نفس أخرى، يقول تفسير المـنار [3]: "وقـد اعتاد الذين اتخذوا التأثيرات النفسية صناعة ووسيلة للمعاش أن يسـتعينوا بكـلام مبهم وأسماء غريبة اشتهر عند الناس أنها من أسماء الشياطين وملـوك الجان، وأنهم يحضرون إذا دعوا بها، ويكونون مسخرين للداعى، ولمثل هـذا الكـلام تأثـير فـى إثارة الوهم عرف بالتجربة، وسببه اعتقادهم الواهم أن الشياطين يستجيبون لقارئه ويطيعون أمره، ومنهم من يعتقد أن فيه خاصية، وإنما

(1) سيد عبدالله حسين، المصدر السابق، ص 88، 89.
(2) المصدر نفسه، ص 91.
(3) تفسير المنار هو تفسير عصرى يمثل مدرسة الأستاذ الإمام محمد عبده.

تلــك العقــيدة الفاسدة تفعل فى النفس الواهمة مما يغنى منتحل السحر عن توجيه همـــته وتأثير إرادته، وهذا هو السبب فى اعتقاد الدهماء أن السحر عمل يستعان عليه بالشياطين وأرواح الكواكب [1].

(1) انظر أحمد الشرباصى، المصدر السابق، ص 517.

الفصل الرابع

السحر والدين

تمهيد

الواقع أن الدين والسحر يتشكلان أساسًا من مقومين يشتركان فيهما على حد سواء: أما المقوم الأول فهو **الاعتقاد فى كائن أو كائنات علوية غيبية لها اتصالات على نحو آخر بالإنسان سواء بطريق مباشر** كأن تكون متجسدة فى شكل إنسانى أو فى هيئة حيوانية، أو فى بعض الجوامد كالكواكب أو العناصر أو كانت **اتصالاتها بالإنسان بطريق غير مباشر**، أى عن طريق بعض المقربين منها كالأنبياء أو الملائكة. **وأما المقوم الثانى فى كل من الدين والسحر فهو الطقوس التى تمارس بشكل جمعى أو بشكل فردى**، وسنتناول فى هذا الفصل التفرقة بين الدين والسحر عند علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا، ثم موقف الديانات السماوية اليهودية والنصرانية والإسلامية من السحر.

ويميز ابن خلدون بين الدين والسحر، من حيث طبيعة رجل الدين من ناحية، وطبيعة الساحر من ناحية أخرى، وذلك بقوله "ولنقدم هنا مقدم يتبين بها حقيقة السحر، وذلك أن النفوس البشرية وإن كانت واحدة بالنوع فهى مختلفة بالخواص وهى أصناف كل صنف مختص بخاصية واحدة بالنوع لا توجد فى الصنف الآخر. وصارت تلك الخواص فطرة وجبلة لصنفها. فنفوس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لها خاصية تستعد بها للمعرفة الربانية ومخاطبة الملائكة عليهم السلام عن الله سبحانه وتعالى كما مر وما يتسع فى ذلك من التأثير فى الأكوان واستجلاب روحانية الكواكب للتصرف فيها والتأثير بقوة نفسانية أو شيطانية. فأما تأثير الأنبياء فمدد إلهى وخاصية ربانية ونفوس الكهنة لها خاصية الاطلاع على المغيبات بقوى شيطانية. وهكذا كل صنف مختص بخاصية لا توجد فى الآخر. [1]

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص 197.

وهناك من يدرجون السحر فى إطار الفكر الدينى، على أساس أن المعتقدات الدينية تتمشى وتنسجم مع كل نمط من أنماط التفكير يمكن تصوره فالسحر بمقتضى هذه النظرة يعد طيفاً من أطياف الاعتقاد الدينى. وحيث إن العقل البشرى قادر على أن يستوعب كل نوع من أنواع الاعتقاد طالما أنه يستجيب لإحدى الرغبات القوية، فإن من الممكن أن نتوقع أن بعض الناس قد يلجئون إلى الممارسات السحرية على أمل أن تتحقق رغباتهم أو مرادهم. [1]

نظرية السحر والدين عند « فريزر »

وتعد نظرية السحر والدين أهم ما أسهم به "فريزر" فى الدراسات الأنثروبولوجية التطورية. وربما كان أطرف ما فى هذه النظرية محاولة الربط والتقريب بين السحر والعلم اللذين يقفون موقف التعارض مع الدين، ولكنهما يقومان على أسس ومبادئ منطقية واحدة تعتمد على تداعى المعانى أو ترابط الأفكار، وإن كانت عملية التداعى فى السحر تتم بطريقة خاطئة. فالسحر صورة من صور تطبيق. أو على الأصح إساءة تطبيق. مبادئ تداعى وترابط المعانى، ولذا يطلق عليه فى كتابات كل من "تايلور" و"فريزر" اسم العلم الكاذب أو "شبه العلم".

ولقد أقام "فريزر" تمييزه بين السحر والدين على أساس أن الدين يشترط الاعتقاد فى الكائنات الروحية أو الإلهية والأرباب، بينما يتألف السحر من الأعمال والممارسات والشعائر التى تتصل بالكائنات الأخرى.

ويختلف رأى "فريزر" مع رأى معظم علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا فى القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن فى أن السحر أسبق فى الزمن من الدين. ولقد كان الرحالة والمبشرون والعلماء الأوائل على العموم يفترضون أن الرجل البدائى لا يعرف الدين الذى يرتبط فى نظرهم بالأشكال الأكثر تقدماً من الحضارة. وحتى

(1) نجيب يوسف بدوى، السحر والتنجيم، ص 209.

"تـــايلور" Tylor نفســـه، على الرغم من أنه لم ينكر وجود الدين كل النكران فى الأشـــكال البدائـــية للحياة الاجتماعية، فإنه كان يرى أن فكرة الله لم تظهر إلا فى مرحلة متأخرة من تاريخ الإنسانية بعد تطور طويل فى التفكير الحيوى أو الأنيمى animism، الـــذى كان يرى الحياة والروح منتشرين بصورة أو بأخرى فى كل الموجودات وجميع الكائنات [1].

وقـــد بلـــغ مـــن شـــيوع هذه الفكرة وسيطرتها على الأذهان أن ضاعت الأصوات التى أرادت التدليل على أن فكرة الله كانت موجودة فى ضمير البشرية ومنذ أقدم العصور، وأن الرجل البدائى فى كل المجتمعات المتأخرة المعروفة لنا عنده فكرة الدين.

فالرأى السائد إذن بين هؤلاء العلماء هو أن السحر مهد لظهور الدين، وأن معظـــم الممارسات والطقوس التى يمارسها البدائيون والتى تتصل بعالم الغيبيات وبالكائـــنات الإعجازية أو الخارقة للطبيعة وهى ممارسات وطقوس سحرية، ولم يشذ "فريزر" عن ذلك الرأى أو يخرج عليه. [2].

ومهمـــا اختلفـــت النظريات التى تدور حول التفرقة بين السحر والدين فى الكـــتابات الأنثروبولوجية، ومهما تعددت الآراء المتضاربة التى يحاول أصحابها الالتزام بها فى محاولتهم التمييز بين الاثنين، فإن معظم الآراء تكاد تتفق على عدد من الأسس الهامة: أولها أن السحر له القدرة على "إجبار" عالم ما فوق الطبيعة أو عالم الغيبيات على تحقيق مطالبه، وأن الممارسات السحرية لا يمكن أن تفشل فى تحقـــيق النتائج المرجوة إلا نتيجة ارتكاب أحد الأخطاء أثناء ممارسة تلك الطقوس أو نتـــيجة لتدخل سحر آخر مضاد يكون أقوى مفعولاً وذلك بعكس الدين الذى لا يحقـــق. فى رأى أنصار فريزر على الأقل. النتائج المطلوبة فى كل الأحوال نظرًا

(1) انظر نجيب يوسف بدوى، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(2) انظر جيمس فريزر، الغصن الذهبى، دراسة فى السحر والدين، ترجمة د. أحمد أبو زيد وآخرين، ص 48، 49.

لأنـــه يقتصر على التضرع والابتهال والسؤال دون القيام بأى عمل إيجابى لتحقيق مطالبه.

ومن ناحية أخرى فإن الممارسات السحرية لا يمكن القيام بها على مستوى المجتمع كله، أو الجانب الأكبر منه، كما هى الحال بالنسبة للدين، بل إنها كثيرًا ما تمارس فى الخفاء، وقد لا يكون لها أى مظهر اجتماعى على الإطلاق.

ومـــن أهـــم الاخـــتلافات بين السحر والدين أن السحر يعتمد على عبارات وتعـــاويذ، وصيغ كثيرًا ما تكون غير مفهومة حتى للأشخاص الذين يستخدمونها، وذلك بعكس الدين الذى يستخدم اللغة العادية السائدة فى المجتمع.

وأخـــيرًا فإن السحرة يؤلفون جماعة منعزلة عن رجال الدين كما أن نظرة المجـــتمع إليهم تختلف اختلافًا كبيرًا عن نظرته إلى رجال الدين، إذ يعتبرهم أقل منهم مكانة وأدنى فى المرتبة حتى وإن كان بعضهم يسخر سحره لصالح الجماعة كلها. ذلك كله بالإضافة إلى أن رجل الدين يحتاج فى العادة إلى فترة إعداد طويلة قبل أن يباشر وظيفته، وهى وظيفة يعترف بها المجتمع نفسه ويقرها، وذلك بعكس الحال بالنسبة للسحر، أو على الأقل بعض أنواعه وبخاصة السحر الأسود Black Magic أو السحر الضار.

ويعـــرف "ماريـــت" السحر بأنه الأخت السيئة السمعة للدين. والمشكلة بين السحر والدين لا تتبدى فى الحكم على كل منهما بأنه غيبى أم لا، بل فى الوقوف علـــى أن كـــلا منهما يمثل طرف النقيض بالنسبة للآخر. ويذهب "فريزر" إلى أن السحر تكنولوجى فى طبيعته وهو أيضًا آلى فى تطبيقاته، وهو يجبر الطبيعة على الخضـــوع لمـــرامى المرء، أما الدين فإنه سلوك روحى، وهو يستعين قبالة كون مشـــخص بكل أنواع السلوك الذى يستهدف خير الإنسان وتحقيق العلاقات الطيبة بين الناس بعضهم بعضًا [1].

---

(1) انظر: Encyclopedia of the Social Sciences, Vol 9, 1963, p. 39

ولكن على الرغم من هذه الأسس فكثيرًا ما يفشل العلماء فى التمييز بين ما هو سحر، وما هو دين. وكثير جدًا من الأمثلة التى يوردها "فريزر" للسحر فى كتابه "الغصن الذهبى" يمكن بسهولة أن تؤخذ على أنها شعائر دينية. ويبدو أن فريزر نفسه أحس بذلك إذ يسير فى أكثر من موضع من كتابه إلى أن بعض العناصر الدينية قد تجد طريقها إلى الممارسات السحرية، ولكن ذلك لا يحدث فى رأيه إلا فى المراحل الأكثر تقدمًا فى تاريخ الحضارة.

ومهما يكن من أمر هذه الاختلافات فإن الرأى السائد بين علماء الانثروبولوجيا المحدثين الذين قاموا بدراسات وأبحاث حقلية بين الشعوب المتخلفة والتقليدية هو أن كلاً من السحر والدين يقتضى نوعًا مختلفًا من السلوك الاجتماعى رغم أنهما يتعلقان بعالم الغيبيات ويستعينان بالكائنات الروحية أو بالقوى الخفية الخارقة للطبيعة لتحقيق الطمأنينة والهدوء وراحة البال والتوفيق.

ويقف العلماء المحدثون من دراسة السحر والدين والعلم موقفًا يختلف كل الاختلاف عن موقف "فريزر" ومعاصريه من علماء القرن التاسع عشر. فهم لا ينظرون إليها على أنها مراحل أو حالات مختلفة ومتمايزة يمر بها المجتمع الإنسانى فى تطوره، واحدة بعد أخرى عبر الزمن، وإنما يعتبرونها ثلاثة أنماط من النشاط العقلى، أو ثلاث وجهات نظر إلى الكون وأحداث الطبيعة وأنها توجد جنبًا إلى جنب فى المجتمع الواحد فى وقت واحد، ويؤثر بعضها فى بعض كما يؤثر بأشكال ودرجات مختلفة فى السلوك الإنسانى.

ومما لا شك فيه. سواء أكان السحر حقيقيًا، أم زيفًا من الزيف، أن الرسالات السماوية وهى اليهودية والمسيحية والإسلام قد شجبت السحر والسحرة، واستحلت دماءهم، وعدُّوا خطرًا على الناس سواء فى الدنيا أو الآخرة (1).

(1) المصدر نفسه، ص 49 : 52.

موقف اليهودية والمسيحية من السحر

أجمــع أكــثر المفســرين على أن اليهود، سواء من كان منهم فى زمن سليمان ﷺ أو فى زمان محمد عليه الصلاة والسلام، كانوا من السحرة الذين أتقــنوا هذا الفن. وقد ذهب هؤلاء السحرة من اليهود إلى أن سليمان إنما أوجد هذا الملك العريض والجاه العظيم بسبب السحر فبه سخر الإنس والجن والريح التى تجرى بأمره [1].

وقــد كانت هناك أيضًا صلة وثيقة بين السحر المصرى والسحر اليهودى، ويدل على ذلك أن النبى موسى كان من الإسرائيليين الذين شبوا فى بلاط فرعون وبــرزوا فى فنون السحر. وقصة موسى مع سحرة فرعون شائعة إذ ألقى سحرة فرعون حبالاً وعصيًا فإذا هى تتحول إلى حيات يركب بعضها فوق بعض ثم ألقى موســى عصاه فإذا هى ثعبان مبين ابتلع جميع ما ألقى السحرة من حبال وعصى، ثــم إن موسى عندما خرج من مصر إلى فلسطين هو وجنده، شق البحر بعصائه، وهذا دليل مادى على أهمية السحر فى حياة الجماعات القديمة. [2]

وقــد شــدد الكتاب المقدس ضد السحرة وتهددهم ومن يثقون فيهم بالعقاب الشــديد (ملاخى 3:5) (ورؤيا 22 : 15) وأمر الله بمنعهم بتاتا (تثنية 18 : 10، 12) كما منع العرافون من الإقامة فى أرض العبرانيين (خروج 22 : 18).

غــير أن شــعب إسرائيل تهاون فى حفظ هذه الوصية الإلهية. فبدأ الشعب يلجــأ إلى السحرة عند الحاجة، فلجأ الملك شاول إلى عرافة عين دور بعد مفارقة روح الرب له (صموئيل 28 : 3، 20). [3]

---

(1) أحمد الشنتناوى، المصدر السابق، ص 43.

(2) صموئيل باسيليوس، السحر ظاهرة اجتماعية عند الشعوب المتخلفة، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد 26، 1969، العدد الأول والثانى، ص 69.

(3) قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى، ط2.

وقد أوضح الكتاب المقدس أن أعمال السحرة مرفوضة أمام الله، ويطلب الله من الناس ألا يأكلوا بالدم ولا يتفاءلوا ولا يعفوا (لا 19 : 26) ولهذا يعد القيام بهذه الأعمال خطية.

ويوضح الكتاب المقدس شدة استياء الله من السحرة ومن يتعاملون معهم، فيقول فى سفر ملاخى ".. واقترب إليكم للحكم وأكون شاهدًا سريعًا على السحرة، وعلى الفاسقين، وعلى الحالفين زورا .." (ملاخى 3 : 5) ويصل غضب الله من السحرة إلى أقصى درجة عندما يطالب بموت السحرة "لا تدع ساحرة تعيش" (خروج 22 : 18) وذكر فى سفر الرؤيا أن خارجًا يكون الكلاب والسحرة والزناة والقتلة .. (رؤيا 22 : 15) وهنا نجد الكتاب المقدس يساوى بين السحرة والزناة والقتلة.

وقد جاءت نصوص الكتاب المقدس منذ العهد القديم تحرم السحر والعرافة والعيافة، فقد جاء فى سفر التثنية مثلاً "لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته فى النار، ولا من يعرف عرافة ولا متفائل ولا ساحر ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جانا أو تابعه ولا من يستشير الموتى لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب. وبسبب هذه الأرجاس الرب إلهك طاردهم من أمامك. تكون كاملاً لدى الرب إلهك. إن هؤلاء الأمم الذين تخلفهم يسمعون للعائفين والعرافين، وأما أنت فلم يسمح لك الرب إلهك هكذا" (تثنية 18: 10، 14).

وقد بين الكتاب المقدس أن مثل هذه الأعمال نوع من النجاسة "لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع فتتنجسوا بهم" (لاوى 19 : 31).

أما عن مصير السحرة فهو يتفق مع طبيعة أعمالهم:

فى الأرض: يكرههم الناس. رغم أنهم يخشونهم. ولا يلجأون إليهم إلا لاعتقادهم بأن فى يدهم سلطانًا. ويجب التنبيه إلى نقطة هامة وهى أن بعض الناس يخافون السحرة لدرجة أنهم يخشون مجرد التحدث عنهم، أو الاعتراض على

أعمالهم، لهذا يبتعدون عن أية محاولة لفحص تلك الأعمال لمعرفة ما إذا كانت من الله أم من الشيطان.

والكـــتاب المقـــدس يدعو لفحص الأرواح، وامتحان ما هو من الله وما هو ليس من الله. وذلك لأن الذئاب الخاطفة تلبس أحيانًا أثواب الحملان [1].

ويعيش القائمون بهذه الأعمال مرفوضين من الله حتى يتوبوا ويرجعوا عنها. وقـــد كانـــت نهايـــة حياة الكثير منهم نهاية مؤسفة تتفق مع طبيعة البعيدين عن الله والمتعاونيـــن مع الشياطين. فبعضهم مات مقتولاً بيد بعض الناس الذين أضيروا من أعمالهم، والبعض الآخر صرعته الشياطين أو أفقدته النطق لأنه رفض لها طلبًا.

وفـــى الســـماء: أوضح الكتاب أنهم مرفوضون لأن الإنسان لا يستطيع أن يشرب كأس الرب وكأس الشيطان، ولا يقدر أن يشترك فى مائدة الرب وفى مائدة الشياطين (1 كو: 1: 21) كما ذكر يوحنا الرائى أن السحرة سيكونون خارجًا مع الزناة والقتلة وعبدة الأوثان وكل من يحب ويصنع كذبا (رؤيا 22 : 15) وسيكون نصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت، وهذا هو الموت الثانى (رؤيا 21 : 8).

السحر فى الإسلام

يقال سحره أى صرفه عن وجهه وخدعه. ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الأعراض "وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين". وقوله فى سورة المؤمنون: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ أى فكيف تصرفون عن الحق وتخدعون؟

(1) انظر نبيل صبحى حنا، السحر، دراسة مسيحية للسحر والسحرة والمتعاملين معهم فى ضوء الكتاب المقدس، مراجعة وتقديم الأنبا غريغوريوس أسقف للدراسات العليا والثقافية القبطية والبحث العلمى، ص 19.

وأصل السحر هو صرف الشيء عن وجهه أى صرفه عن حقيقته إلى غيرها وكأن الساحر لما أرى الناس الباطل فى صورة الحق، وخيل الشيء على غير حقيقته، فقد سحر الشيء عن وجهه أى صرفه.

وقد ورد ذكر "السحر" فى القرآن الكريم كثيرًا، فتكرر ذكر السحر والسحرة 60 مرة ورد منها لفظ السحر 23 مرة، وتكرر ذكر الساحر 12 مرة فى مثل قوله الكريم: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾[1]. ومنها لفظ السحرة الذى تكرر 8 مرات فى مثل النص الشريف: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[2]. وتكرر لفظ مسحورًا 3 مرات فى مثل النص الكريم: ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾[3].

ولفظ المسحرين مرتين فى مثل قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾[4]. ومرة واحدة بكل من ألفاظ:

سحروا - لتسحرنا - تسحرون - بسحرك - بسحره - بسحرهما - سحرهم - ساحران - الساحرون - سحار - مسحرون [5].

ويقرر القرآن الكريم كثيرًا أن السحر خداع وتخيل، ومن ذلك قول الله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أى تخييل لا حقيقة، وخداع للبصر والحواس.

ومن الناس من إذا رأى الآيات التى يوجه الله النظر إليها أو يرسلها للأنبياء

---

(1) المصدر نفسه، ص 50، سورة يونس، آية 79.
(2) سورة الشعراء، آية 38.
(3) سورة الإسراء، آية 101.
(4) سورة الشعراء، آية 153.
(5) انظر عبدالرزاق نوفل، التاروت فى سحر هاروت وماروت.

والرسل قالوا عنها أنها سحر وذلك فى النص الشريف: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۝١٤ وَقَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[1].

بل إنه حتى إذا أتى أمر الله واقتربت الساعة وظهرت أدلتها كانشقاق القمر.. فإن هناك من سيعرضون عن هذه الآيات ظناً منهم أنها من عمل السحر وفى ذلك تقول آيات قرآن الخالق عز وجل: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾[2].

والمسحور إنما يخضع لما وقع عليه من سحر مهما كانت الظواهر المحيطة به، والأدلة المقنعة له، فيقول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝١٥﴾[3].

والسحر طبقات .. والسحر درجات .. ولذلك كان فرعون يبحث عن السحرة العلماء ويقول الله عز من قائل: ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٣٦ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ۝٣٧﴾[4].

ولقد ذكر القرآن الكريم موقفين من مواقف السحر، أولهما يتعلق بالسحر فى عهد سليمان، ويتعلق بقصة هارون وماروت، والموقف الآخر يتعلق بسحرة فرعون فى قصة موسى عليه السلام.

الموقف الأول جاء فى شأنه قول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ

(1) سورة الصافات، آية 14، 15.
(2) سورة القمر، آية 1، 2.
(3) سورة الحجر، آية 14، 15.
(4) سورة الشعراء، آية 36، 37.

وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (1)

يخبر الله تعالى بأن سيئات اليهود أنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وأعرضوا عنه، واتبعوا السحر واتبعوا كتابًا فيه صنعة (آصف) كاتب النبى سليمان، واتبعوا سحر هاروت وماروت، - وكانا يعلمان الناس السحر اختبارًا وابتلاءً -، ووصفوا سليمان بأنه ساحر وليس نبيًا، فكذبهم الله فى ذلك، وأبان أن الشياطين هم الذين افتروا على سليمان وموهوا على الناس بالتلبيس والخداع فكانوا من الكافرين.

وكان هاروت وماروت يقولان للناس: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ وكانا يعلمان الناس السحر تعليم من يحذر منه لا تعليم من يدعو إليه. ويقولان للناس: لا تفعلوا كذا وكذا ولا تحتالوا بكذا، لتفرقوا بين المرء وزوجه.

ويرى الإمام (محمد عبده) أن قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ لا مانع أن يكون المراد منه تلك الطرق الخبيثة التى تصرف الزوج عن زوجته، والزوجة عن زوجها، ولا يبعد أن يكون مثل هذه الطرق مما يفعله الناس ويطلبون له الأساتذة، ونحن نرى أن كتبًا ألفت ودروسًا ألقيت لتعليم أساليب التفريق بين الناس، لمن يريد أن يكون من عمال السياسة فى بعض الحكومات.

وقد يكون ذكر المرء وزوجه من قبيل التمثيل، وإظهار الأمر فى أقبح صورة: أى بلغ من أمر ما يتعلمونه من ضروب الحيل وطرق الفساد أن يتمكنوا به من التفريق بين المرء وزوجه، وسياق الآية لا يأباه، وذكر الشياطين لا يمنعنا

(1) سورة البقرة، آية 102.

من ذلك: بعد أن سمى الله خبثاء الإنس المنافقين بالشياطين قال: "وإذا خلوا إلى شياطينهم" "وقال شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض".

وينفى القرآن الكريم أن يقع شىء فى هذا الكون إلا بإذن الله فيقول فى الآية السابقة: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

والموقف الثانى الذى عرضه القرآن عن السحر هو موقف سحرة فرعون مع موسى عليه السلام، وقد تحدث القرآن عن هذا الموقف فى سورة الأعراف ويونس، وطه، والشعراء، والقصص، وغيرها، وبحسبنا أن نذكر الآيات التى وردت فى سورة الأعراف عن هذا الموقف فهى تقول:

« وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرًا إن كنا نحن الغالبين، قال نعم وإنكم لمن المقربين، قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين، قال القوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم، وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هى تلقف ما يأفكون، فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ».

وقوله "استرهبوهم" أي حاولوا إرهاب الناس، وإلقاء الخوف فى قلوبهم، بما فعلوه من تخييل، وبما موهوا عليهم، حتى خيل إلى الناس أن عصيهم وحبالهم تسعى، وإنما الأمر فى الحقيقة تلبيس واحتيال ..

ولعل من أدق ما يصور موقف القرآن الحكيم من السحر والسحرة، ما جاء فى سورة طه على لسان موسى وهو ينصح السحرة: « **قال لهم موسى لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى**». وقول القرآن بعد ذلك: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ وقوله فى سورة يونس عن السحرة مع موسى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾[1].

(1) انظر أحمد الشرباصى، المصدر السابق، ص 15، 20، 21.

السحر وحكمه عند علماء الإسلام ومفكريه

تناول علماء الإسلام موضوع السحر والسحرة من زوايا مختلفة. ويمثل "الغزالى" قمة التفكير عند علماء المسلمين فى الإيمان المطلق بالسحر والاعتقاد به على الرغم من أنه علم مذموم، ويرى أن هناك فى الكون أمورًا غريبة من قبيل السحر وأن هناك فى (الأعداد) خواص عجيبة مجربة، كتلك الخواص التى تستعمل فى تجربة معالجة الحامل التى عسر عليها الطلق، ويشير إلى ذلك المربع الذى يعرف بمربع (بدوح) وهو شكل فيه تسعة بيوت - أو خانات - يرقم فيها أرقام مخصوصة بحيث يكون مجموع ما فى جدول واحد خمسة عشر، سواء قرأته بالطول أو العرض أو على التأريب. وقد تناول الغزالى هذا الموضوع وهو يتحدث عن (سر النبوة) فى كتابه "المنقذ من الضلال" (1).

وليس عجيبًا أن يتكلم الغزالى عن السحر وهو فى معرض الحديث عن النبوة، فإن للنبى معجزات يبرهن بها على صدق رسالته. والمعجزات أعمال خوارق للعادة والطبيعة، فما هو الفرق بينها وبين السحر. ومن هنا كان تناول الغزالى للقضية.

على أن "ابن خلدون" قد تناول موضوع السحر بتفصيل وتدقيق أكثر حينما تكلم عن (السحر) فى المقدمة "لأنه لما كانت المعجزة بإمداد من روح الله فإنه لا يعارضها شىء من السحر فإن سحر فرعون وسحرته لم يستطع أن يقف أمام العصا التى تلقف ما يأفكون وذهب سحرهم واضمحل كأن لم يكن" (2).

والسحر حقيقة واقعة، فقد قال "ابن خلدون" فى مقدمته: « **واعلم أن وجود السحر لا مرية فيه بين العقلاء** (3)» وأن علوم السحر والطلسمات كانت فى أهل بابل

---

(1) الغزالى، المنقذ من الضلال، ص 52.
(2) ابن خلدون، المصدر السابق، ص 205.
(3) المصدر نفسه، ص 498.

من السريانيين والكلدانيين وفى أهل مصر من القبط وغيرهم وكان لهم فيها التآليف والآثار ولم يترجم لنا من كتبهم فيها إلا القليل مثل الفلاحة النبطية من أوضاع أهل بابل فأخذ الناس منها هذا العلم وتفننوا فيه ووضعت بعد ذلك الأوضاع مثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طمطم الهندى فى صور الدرج والكواكب وغيرها ثم ظهر بالمشرق جابر بن حيان كبير السحرة فى هذه الملة فتصفح كتب القوم واستخرج الصناعة وغاص فى زبدتها واستخرجها ووضع فيها غيرها من التآليف وأكثر الكلام فيها وفى صناعة السيمياء لأنها من توابعها لأن إحالة الأجسام النوعية من صورة إلى أخرى إنما يكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العملية فهو من قبيل السحر .. ثم جاء مسلمة بن أحمد المجريطى إمام أهل الأندلس فى التعاليم والسحريات فلخص جميع تلك الكتب وهذبها وجمع طرقها فى كتابه الذى سماه غاية الحكيم ولم يكتب أحد فى هذا العلم بعده" [1].

ويرى "ابن خلدون"، مع اعترافه بوجود السحر، أنه كفر، وذكر سبب تكفير الساحر فقال: « **ثم هذه الخاصية تكون فى الساحر بالقوة شأن القوى البشرية كلها وإنما تخرج إلى الفعل بالرياضة ورياضة السحر كلها إنما تكون بالتوجه إلى الأفلاك والكواكب والعوالم العلوية والشياطين بأنواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل فهى لذلك وجهة إلى غير الله وسجود له والوجهة إلى غير الله كفر فلهذا كان السحر كفرًا** ».

ويرى ابن خلدون " **أن الشريعة لم تفرق بين السحر والطلسمات وجعلته كله بابًا واحدًا محظورا لأن الأفعال إنما إباحها لنا الشارع منها ما يهمنا فى ديننا الذى فيه صلاح آخرتنا أو فى معاشنا الذى فيه صلاح دنيانا وما لا يهمنا فى شىء منهما فإن كان فيه ضررًا أو نوع ضرر كالسحر والطلسمات ... فتفسد العقيدة الإيمانية برد الأمور إلى غير الله فيكون حينئذ ذلك الفعل محظورا على نسبته فى الضرر** " [2].

وقد ذكر ابن خلدون فى مقدمته وقائع من السحر شاهدها وأخرى سمعها،

(1) المصدر نفسه، ص 497.
(2) انظر المصدر نفسه، ص 503.

فكان يقول: «ورأينا بالعيان من يصور صورة الشخص المسحور بخواص أشياء مقابلة لما نواه وحاوله موجودة بالمسحور، وأمثال تلك المعانى من أسماء وصفات التأليف والتفريق ثم يتكلم على تلك الصورة التى أقامها الشخص المسحور عينا أو معنى .. وشاهدنا أيضًا من المنتحلين للسحر وعمله من يشير إلى كساء أو جلد ويتكلم عليه فى سره فإذا هو مقطوع متخرق ويشير إلى بطون الغنم كذلك فى مراعيها بالبعج فإذا أمعاؤها ساقطة من بطونها إلى الأرض وسمعنا أن بأرض الهند لهذا العهد من يشير إلى إنسان فيتحتت قلبه ويقع ميتا.. وكذلك سمعنا أن بأرض السودان وأرض الترك من يسحر السحاب فيمطر الأرض المخصوصة. وكذلك رأينا من عمل الطلسمات عجائب فى الأعداد المتحابة وهى رك رف د أحد العددين مائتان وعشرون والآخرون مائتان وأربعة وثمانون ومعنى المتحابة أن أجزاء كل واحد التى فيه من نصف وثلث وربع وسدس وخمس وأمثالها، إذا جمع كان متساويًا للعدد الآخر صاحبه فتسمى لأجل ذلك المتحابة ونقل أصحاب الطلسمات أن لتلك الأعداد أثرًا فى الألفة بين المتحابين واجتماعهما [1].

وفى إيضاح الدلالة فى هموم الرسالة لشيخ الإسلام "أبى العباس ابن تيمية" المتوفى سنة 728، أن الإنسان إذا فسدت نفسه ومزاجه يشتهى ما يضره ويلتذ به، بل يعشق ذلك عشقًا يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله، كالشياطين الذين يشتهون الشر ويتلذذون به ويطلبونه ويحرصون عليه، وإن كان موجبًا لعذابهم وعذاب من يغوونه من الإنس، فهؤلاء السحرة إذا تقربوا إلى الشياطين بعزائمهم وأقسامهم وكتبهم المشتملة على ما يحبون من الشر والكفر والشرك، صار ذلك كالرشوة لهم، فيقضون بعض أغراضهم كمن يعطى غيره مالاً ليقتل له من يريد قتله أو يعينه على فاحشة، ومنهم من يكتب فى روحانياته كلام الله بالنجاسة، ومنهم من يقلب كلامه تعالى عز وجل. فإذا قالوا أو كتبوا ما تحبه الشياطين وترضاه منهم أعانوهم على بعض أغراضهم، كتغوير ماء أو حمل فى هواء أو إتيان بمال إلى غير ذلك

---

(1) المصدر نفسه، ص 499، 55.

مما تفعله الشياطين على أيدى هؤلاء السحرة، قال: وأعرف فى كل نوع من هذه الأنواع من الأمور المعينة ومن وقعت له ممن أعرفه ما يطول حكايته. وعلى كل حال فخوارق العادات إن خصت بما يظهر على يد النفوس البشرية بلا سبب أصلاً فالسحر ليس منها، وإن لم تقيد بذلك دخل فيها السحر، سواء كان معه قسم أو قرين من الجن أو روح أخرى تتسلط على تلك الروح التى ظهر على يدها ذلك الخارق، كما فى التحضير والتنويم المغناطيسى (1).

ويرى فريق من السلف أن السحر لا أصل له، ويرى البعض أنه وسوسة وأمراض، ويرى بعض آخر أنه حق وله حقيقة، يخلق الله عنده ما يشاء، ومنه ما يكون خفة اليدين ومنه ما يكون كلامًا محفوظًا، ورقى من أسماء الله تعالى، وقد يكون من عهود الشياطين، ومنه ما يكون أدوية وأدخنة وغير ذلك.

ومذهب أهل السنة أن السحر ثابت وله حقيقة، ومذهب المعتزلة بخلاف ذلك، وهو أن السحر لا حقيقة له، بل هو إيهام لكون الشىء على غير ما هو به، واستدلوا بقول القرآن: "يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى" حيث لم يقل تسعى حقيقة، بل قال: "يخيل إليه" وبقوله: "سحروا أعين الناس واسترهبوهم".

ويميل "تفسير المنار" – وهو تفسير عصرى عقلى يمثل مدرسة الأستاذ "الإمام محمد عبده" – إلى تكذيب السحر، وأنه شىء منتحل، يستخدمه أصحابه ليفتنوا العامة، ويضلوهم عن طلب الأشياء بأسبابها الظاهرة ومناهجها المشروعة، وهؤلاء الدجالون مازالوا يتلون أقسامًا وعزائم، ويخطون خطوطًا وطلسمات ويسمون ذلك خاتم سليمان وعهود سليمان ويزعمون أنها تحفظ حاملها من اعتداء الجن ومس العفاريت.

وترى هذه المدرسة العقلية فى تفسير القرآن الكريم أن السحر أعمال غريبة

---

(1) محمد حسنين مخلوف، المطالب القدسية فى أحكام الروح وآثارها الكونية، ص 202، 204.

من التلبيس والحيل تخفى حقيقتها على الجماهير لجهلهم بأسبابها فمتى عرف سبب شيء منها بطل إطلاق اسم السحر عليه.

ويستوى فى هذا أنواع السحر الثلاثة التالية:

(أ) ما يعمل بالأسباب الطبيعية من خواص المادة المعروفة للعالم بها، المجهولة عند المسحورين، كاستعمال الزئبق فى تحريك الحبال والعصى التى روى أن سحرة فرعون قد استخدموها فى سحرهم.

(ب) ما يقوم على الشعوذة القائمة على البراعة وخفة الدين فى إخفاء بعض الأشياء وإظهار البعض الآخر.

(ج) ما يقوم على تأثير النفوس ذوات الإرادة القوية فى النفوس الضعيفة صاحبة الأمزجة العصبية القابلة للأوهام والانفعالات [1].

وكلما تكلمنا عن حقيقة السحر، لابد أن نتحدث أيضًا عن حكم السحر فى الدين الإسلامى.

حكم السحر فى الإسلام

يقول "الإمام القرطبى" فى تفسيره: « **من السحر ما يكون كفرًا من فاعله، مثل ما يدعون من تغيير صور الناس وإخراجهم فى هيئة بهيمة ، وقطع مسافة شهر فى ليلة ، والطيران فى الهواء فكل من فعل هذا ليوهم الناس أنه محق فذلك كفر منه** ».

وجمهور العلماء يرى قتل الساحر لأنه كالمدعى للنبوة، وكافر بالأنبياء.

يرى "الإمام مالك" والأئمة "ابن حنبل" و"الشافعى" و"أبو حنيفة" وغيرهم، « **أن المسلم إذا سحر بنفسه ، بكلام يكون كفرًا يقتل ولا يستتاب ولا تقبل توبته ، لأن الله**

(1) انظر أحمد الشرباصى، المصدر السابق، 17.

تعالى سمى السحر كفرًا كما يقول عن الملكين المعلمين للسحر: « وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة ».

وروى قتل الساحر عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة، وأبى موسى، وقيس بن السعد وغيرهم. واستدلوا على ذلك بحديث - ضعفوه - يقول: « **حد الساحر ضربه بالسيف** »[1].

ويقول ابن المنذر: « **وإذا أقر الرجل أنه سحر بكلام يكون كفرًا وجب قتله إن لم يتب، وكذلك لو ثبتت به عليه بينة، ووصف البينة كلامًا يكون كفرًا** ».

« **وإن كان الكلام الذى ذكر أنه سحر به ليس بكفر لم يجز قتله. فإن كان أحدث فى المسحور جناية توجب القصاص اقتص منه إن كان عمد ذلك، وإن كان مما لا قصاص فيه ففيه دية ذلك** »[2].

ويروى أنه كان عند "الوليد بن عقبة" ساحر يلعب بين يديه، فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيرد إليه رأسه، فقال الناس: سبحان الله، يحيى الموتى. ورآه رجل من صالحى المهاجرين فلما كان الغد جاء الساحر مشتملاً على سيفه، وأخذ يلعب لعبه ذلك، فرفع المهاجر سيفه، وضرب به عنق الساحر، وقال عنه: (إن كان صادقًا فليحى نفسه). وتلا قول الله تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ؟﴾.

وحين نتحدث عن السحر فى الإسلام، يرد سؤال ذو أهمية فى هذا المجال، هل صحيح ما يزعم بعض المفسرين أن لبيد بن الأعصم اليهودى سحر رسول الله ﷺ، وأن الله جلّ جلاله شفاه من هذا السحر؟

---

(1) أخرجه الترمذى بسند غير قوى، وغيره أخرجه مرسلاً.
(2) أحمد الشرباصى، المصدر السابق، ص 18.

إنهم يوردون هذه القصة عند قول القرآن الكريم في سورة الفلق: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ وبعض المحققين يطعنون فى ذلك الخبر، ويرون أن تمكن ذلك الشخص من سحر الرسول لا يليق بمكانة الرسول وهو المعصوم المؤيد من ربه سبحانه، وعلى رأس هؤلاء المنكرين لقصة سحر الرسول الأستاذ "محمد عبده"، وله فى ذلك الموضوع بحث يفيض بالحرارة والغيرة على مكانة الرسول عليه الصلاة والسلام ومما جاء فيه:

« قد رووا ها هنا أحاديث فى أن النبى ﷺ سحره لبيد بن الأعصم، وأثر سحره فيه، حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشىء وهو لا يفعله أو يأتى شيئًا وهو لا يأتيه، وأن الله أنبأه بذلك، وأخرجت مواد السحر من بئر، وعوفى ﷺ مما كان نزل به من ذلك، ونزلت هذه السورة (سورة الفلق).

ولا يخفى أن تأثير السحر فى نفسه عليه الصلاة والسلام، حتى يصل به الأمر إلى أن يظن أنه يفعل شيئًا وهو لا يفعله، ليس من قبيل تأثير الأمراض فى الأبدان، ولا من قبيل عروض السهو والنسيان فى بعض الأمور العادية، بل هو ماس بالعقل آخذ بالروح، وهو مما يصدق المشركين فيه « إن تتبعون إلا رجلاً مسحورًا ».

وليس المسحور عندهم إلا من خولط فى عقله، وخيل إليه أن شيئًا يقع وهو لا يقع، فيخيل إليه أنه يوحى ولا يوحى إليه.

وقد قال كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما هى النبوة، ولا ما يجب لها: إن الخبر بتأثير السحر فى النفس الشريفة قد صح، فيلزم الاعتقاد به، وعدم التصديق به من بدع المبتدعين لأنه ضرب من إنكار السحر، وقد جاء القرآن بصحة السحر.

هنا ننظر كيف ينقلب الدين الصحيح والحق الصريح فى نظر المقلد بدعة

يحتج بالقرآن على ثبوت السحر، ويعرض عن القرآن فى نفيه السحر عنه ﷺ، وعده من افتراء المشركين عليه، ويؤول فى هذه ولا يؤول فى تلك، مع أن ذلك الذى قصده المشركون ظاهر، لأنهم كانوا يقولون: إن الشيطان يلابسه عليه السلام وملابسة الشيطان تعرف بالسحر عندهم وضرب من ضروبه وهو بعينه أثر السحر الذى نسب إلى لبيد، فإنه قد خالط عقله وإدراكه فى زعمهم.

والذى يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به، وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم ﷺ، فهو الذى يجب الاعتقاد بما يثبته، وعدم الاعتقاد بما ينفيه، وقد جاء بنفى السحر عنه عليه السلام، حيث القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه، ووبخهم على زعمهم هذا، فإذن هو ليس بمسحور قطعًا.

وأما الحديث - على فرض صحته فهو آحاد، والآحاد لا يؤخذ بها فى باب العقائد، وعصمة النبى من تأثير السحر فى عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ فى نفيها عنه إلا باليقين، ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون.

على أن الحديث الذى يصل إلينا من طريق الآحاد إنما يحصل الظن عند من صح عنده، أما من له الدلالة على أنه غير صحيح، فلا تقوم به عليه حجة، وعلى أى حال فلنا أن نفوض الأمر فى الحديث ولا نحكمه فى عقيدتنا ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل فإنه إذا خولط النبى فى عقله - كما زعموا - جاز عليه أن يظن أنه بلغ شيئًا وهو لم يبلغه، أو أن شيئًا نزل عليه وهو لم ينزل عليه. والأمر هنا ظاهرة لا تحتاج إلى بيان.

ثم إن نفى السحر عن الرسول عليه الصلاة والسلام، لا يستلزم نفى السحر مطلقًا، فربما جاز أن يصيب السحر غيره بالجنون نفسه. ولكن من المحال أن يصيبه، لأن الله عصمه منه. (1)

(1) أحمد الشرباصى، المصدر نفسه، ص 19، 20.

حكم الإسلام فى علاج المسحور من السحر

إذا كان السحر حقيقة عند من يقول من الأئمة بوجوده فما الحكم فى علاج المسحور من السحر؟

أجاز بعض العلماء أن يقوم الإنسان بعلاج المسحور عن طريق ما يسمونه "النشرة"، وهى ضرب من الرقية يعالج به من كان يظن أن به مسًا من الجن. ويقرر الإمام ابن كثير فى تفسيره للقرآن العظيم أن انفع ما يستعمل لإذهاب السحر هو ما أنزل الله تبارك وتعالى على رسوله فى إذهاب ذلك، وهما المعوذتان: أى سورة الفلق: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾. وسورة الناس: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾.

ويذكر الحديث النبوى الشريف: [**لم يتعوذ المتعوذ بمثلهما**]، وكذلك قراءة آية الكرسى فإنها طاردة للشيطان.

بين السحر والمعجزة فى الإسلام

وفى نهاية هذا الفصل عن السحر فى القرآن، نورد رأى مفسرى القرآن الكريم فى التفرقة بين السحر والمعجزة فيما يلى:

1- السحر يمكن أن يقع من الساحر ومن غيره، والمعجزة مقصورة على الرسل عليهم الصلاة والسلام.

2- المعجزة لا يمكن الله أحدًا أن يأتى بمثلها أو يعارضها، بخلاف السحر.

3- السحر لا يكون معه ادعاء للنبوة، والمعجزة تكون مقترنة بادعاء الرسول أنه رسول من عند الله.

4- المعجزة حق يجريه الله على يدى رسول، والسحر تمويه وخداع غالبًا [1].

(1) أحمد الشرباصى، المصدر نفسه، المكان نفسه.

الفصل الخامس

السحر كظاهرة اجتماعية

تمهيد

السـحر ظاهـرة تتسم بالعمومـية والشـمول، ويمكن ملاحظتها فى كل المجـتمعات قديمها وحديثها. والسحر أقدم أثر خلفه الإنسان، فقد كان موجودًا فى كـل زمان ومكان، بل لا يزال لـه حتى اليوم أنصار وأشياع، برغم سيادة العلوم المادية والإيمان بكل ما هو محسوس. فالسحر إذن ظاهرة اجتماعية فى المجتمعين البدائى والحديث على السواء، وإن كان السحر يلعب فى المجتمعات الأولى أدوارًا أخطر من مثيلاتها فى المجتمعات الحديثة.

وسـنتناول فى هذا الفصل تفصيلاً للسحر كظاهرة اجتماعية ونحلل ظاهرة السـحر من وجهة نظر علوم الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس، ثم نبين الصلة بين السحر كظاهرة اجتماعية وبين العادات الاجتماعية، وكذلك صلة ظاهرة السحر بالتنشئة الاجتماعية، ثم نفصل الوظيفة الاجتماعية لظاهرة السحر، ثم نختتم هذا الفصل بدراسة تحليلية تتبعية لهذه الظاهرة فى سوسيولوجيا المجتمع المصرى.

والسـحر نمـوذج مـن نماذج التفكير والعمل والإحساس ساد المجتمعات القديمـة، ووجـد الأفـراد ضـرورة اتباعه لارتباطه بأمورهم الحياتية، وقضاء حاجاتهم، بل ولارتباطه بهم بعد الموت.

أمـا الإنسان الحديث والمعاصر، فإنه وإن كان قد بلغ شأنًا كبيرًا فى العلم والحضـارة وإرجـاع المعلولات إلى عللها المباشرة وتفسير الظواهر الاجتماعية تفسيرًا علميًا إلا أنه لا يزال يتطلع إلى معرفة المجهول، ويسعى إلى طلب العون مـنه كلما اشتد به الأمر، وضاقت فى وجهه سبل الحياة وأعيته الحيل المادية فى حل مشاكله.

ويختلف الأفراد فى المجتمع الحديث من حيث نظرتهم إلى القوى الخفية غير

المـــنظورة، فمـــنهم من كانت القوة الدينية متأصلة فى نفوسهم قوية على سواها من العواطـــف فـــيلجأون إلـــى القوة الخفية غير المنظورة، فمنهم من كانت القوة الدينية متأصـــلة فـــى نفوســـهم قويـــة على سواها من العواطف فيلجأون إلى القوة الإلهية يضـــرعون إليها ويسترضونها بالصلوات والطقوس الدينية، وبالصوم، والابتهالات وغير ذلك من الشعائر الدينية ابتغاء مرضاة الله، وتحقيقًا لما يتطلعون إليه من أمور.

وهـــناك فئة أخرى، وإن اعتقدت فى القوة الإلهية إلا أنها تتطلع أيضًا إلى معونـــة تلك القوى الخفية يسترضونها بمختلف الطقوس والأعمال السحرية، علهم يجـــدون فـــيها تحقيقًا لحاجاتهم، وحلاً لمشكلاتهم، فقد وجدوا بين الناس من يدعى القـــدرة علـــى الاتصال بهذه القوى الخفية والاستعانة بها لتحقيق رغباتهم وقضاء حاجاتهم.

والسحر وليد العجز والخوف اللذين كان يشعر بهما الإنسان، والصعوبات الـــتى كانـــت تواجهه، وعدم وجود نظام اجتماعى منتج يستطيع تخفيف حدتها. وهـــو مـــن اختراع أفراد كانوا ينزعون إلى التحرر من ربقة الجماعة لأنه يهيئ حلاً لمشكلات الحياة عن طريق تزويد الفرد بقوة شخصية تغنيه عن التعاون مع الجماعة فى حل تلك المشكلات.

وقـــد كان الناس فى العصور الأولى، قليلى العدد، وكان نظامهم الاجتماعى بدائـــيًا، ونـــتج عـــن ذلـــك أنهـــم كانوا فرديين، وكانوا يبحثون عن حلول فردية لمشكلاتهم. ولم يدرك الإنسان أن تحسين حاله لا يأتى من الزيادة السحرية فى قوة الفرد، قدر ما يأتى بكثرة المخترعات، إلا بعد أن وضح الدليل المستمد من تاريخ المجتمع خلال عصور طويلة.

وإنها لفكرة اجتماعية تلك التى تقول أن الإنسان بمساعدته للغير يساعد نفسه كثـــيرًا. وهى تنشأ بعد أن ينتظم الناس فى مجتمع مدة طويلة، وتقوم على مشاهدة أن المســـاهمة فـــى العمل والإنتاج والاختراع أمور مريحة للفرد، لأنه فى مقابل جهود الفردية يفيد من عمل الآلاف من الغير واختراعاتهم.

والإنسان البدائى الذى كان يعيش منعزلاً عن الغير لم يدرك هذه الفكرة، إذ كانت تنقصه الخبرة الاجتماعية، والنظرة التاريخية التى يستطيع بها الوصول إليها.

ولم يكن الإنسان - آنذاك - فى مركز يسمح له بمعرفة بديل للسحر، وبذلك أصبحت ظاهرة السحر - وهى وليدة التباين بين شدة خوف الإنسان البدائى وتفاهة أساليبه الفنية - موطدة الأركان فى أقدم التقاليد.

وظلت ظاهرة السحر مصرة، ولا تزال تصر، على إثبات وجودها، حتى بعد أن ظهر لها بديل مبنى على العقل.

ويمكن القول بوجه عام - أن سلطان السحر يضعف كلما زادت ثمار الأساليب الفنية وضوحًا، إلا أن ممارسته تزداد فى أى عصر إذا ما كانت الصعوبات التى تواجه الإنسان فى سبيل الحياة وتنظيمها تسير بخطى أسرع من اكتشاف الحلول المناسبة لها، كما هو الحال فى وقتنا الحاضر [1].

والسبب فى استمرار ظاهرة السحر كظاهرة اجتماعية، على الرغم من ازدهار حضارتنا المبنية على نزعة تجريبية تعقلية دقيقة، إنما يرجع إلى عدة عوامل مهمة تستمد غذاءها من جذور متغلغلة فى صميم قلوبنا، منعزلة تمامًا عن تلك التى يتحكم فيها العقل والمنطق، وهذا العزل هو السبب فى وجود تناقض ظاهر بين نوعين مختلفين من التفكير يسيران جنبًا إلى جنب فى العصر نفسه، بل فى الذهن نفسه. ذلك أن الإنسان واجه على مر التاريخ نوعين مختلفين من الظروف، أحدهما قابل للتكهن والاستقراء، كالأجواء ومواسم الزراعة والفيضان، وتأثير أنواع الطعام والشراب، وكل العوامل الخارجة كجروح السيوف والرماح والفؤوس. وثانيهما لم ير له سببًا بادئ ذى بدء، كالرعد والقحط، والأوبئة والسكتة

(1) انظر ج.ج كراون، صلة العلم بالمجتمع، ترجمة حسن خطاب، مراجعة محمد مرسى أحمد، ص 32، 33.

القلبـــية، ونوبـــات الصرع، والزلازل - فلم يسعه إخضاعها لقانون، وافترض لها أســـبابًا خفية. فواجه النوع الأول بالوسائل التى أملتها عليه خبرته واستنتجها عقله المـــنطقى، ثم أخضع تلك الوسائل إلى التصحيح بالملاحظة والتجبة، وأضاف إليها الملاحظات على مر الزمن، وزادها دقة فى الوصف وتعمقًا فى التحليل.

أمـــا الثانية فظلت عالمًا مغلقًا مبنيًّا على الخبرة التصوفية لا على البرهان التجريـــبى أو المنطقى، وعالجها بما كانت توحيه إليه عقائده وأحاسيسه، فتقدمت أولى الوسيلتين، وكونت العلم، بينما تجمدت الثانية وأصبحت ما نسميه بالسحر. (1)

وقـــد ساعد على رسوخ ظاهرة السحر كظاهرة اجتماعية، أسباب أخرى لا تقـــل أهمية عن الأولى، وهى تتصل بشخصية الساحر، وطبيعة الإنسان، وبالفوائد والثمار التى كان يجنيها المجتمع منها.

أمـــا الســـاحر فكان يمتاز دائمًا بقسط كبير من الحذق الاجتماعى، والدهاء السياســـى، والمهـــارة فى انتهاز الفرص للقيام بأعماله، كأن يسند فترة القحط إلى غضـــب الآلهة، ويفرض ما يفرضه على الشعب لإرضائها، ثم لا يقوم بالطقوس التى يزعم إسقاط المطر بها عندما يجد أن حالة الجو تنبئ به.

وفـــيما يخـــص طبيعة الإنسان فإنها تتوق دائمًا إلى الشىء الغريب، وتحب الـــتوغل فـــيما وراء الطبـــيعة، وتؤثـــر عند النظر فى قضية ما أن تأخذ بعوامل روحانـــية مغفلـــة الأسباب المادية، وتتمسك بحالات فردية أتى السحر فيها بنتائج مـــردها إلى الصدفة، وتنسى آلاف الحالات التى منى فيها بالإخفاق. هذا بالإضافة إلى حاجة الإنسان الدائمة إلى عون من فوق، والإيمان بتوفر هذا العون هو أساس الأديـــان، كما أن الشك فيه أدى إلى فلسفة اليأس والتشاؤم التى تجمعت أخيرًا فى المدرسة الوجودية.

---

(1) انظر بول غليونجى، طب وسحر، المصدر السابق، ص 18، 19.

وهـذا الإيمـان بالسحر أكسب ظاهرة السحر قوة اجتماعية قصوى، إذ إن المؤمـن به يعتقد أنه يمكنه، إما بنفسه أو بالالتجاء إلى وسيط، هو الساحر، فرض إرادتـه على تلك القوى المخيفة التى تحوم حوله، الأمر الذى من شأنه إزالة قلقه، وتحقيق اتزان فى حياته العاطفية ... إلخ.

وكمـا تقـاس ظاهرة السحر بدوافعها، فهى أيضًا تقاس بثمارها. وقد مثل السـحر فـى العالم القديم قوانيننا ولوائحنا الحالية، مع فارق هام هو أن السحر قد اعتمد فى سن قوانينه للطعام، والشراب والنشاط الزراعى، ومواسم القنص، وتربية الأولاد، علـى الخـوف مـن الأرواح، بينما ترتكن فى قوانيننا اليوم إلى الوعى الاجتماعى.

ولا شـك فى أن بعض الفروض والتحريمات كانت مبنية – فى الماضى – على الخبرة والتجربة فى كثير من الأحيان، ولكنها فى حالات أخرى كان ضررها أكبر بكثير من نفعها. وربما رجع هذا إلى فارق هام بين السحر وهو جامد لا يقبل التعبير، وبين العلم الذى تتغير أسسه كلما قام البرهان على خطئها [1].

ظاهرة السحر والعلوم الاجتماعية

ظاهـرة السحر ميدان مشترك بين ثلاثة علوم وثيقة الصلة بعضها بالبعض الآخـر، هـى الأنثروبولوجـيا، وعلـم الاجتماع، وعلم النفس. وفى هذا الجزء سـنتعرض لأهـم أفكـار ومفاهيم العلماء فى هذه المحاولات الثلاث عن السحر، ودوافع الاعتقاد فيه، وممارسته. كما نتناول العلاقة بين تطور التفكير لدى الطفل، وبيـن تطور التفكير الإنسانى، وعلاقة هذين النوعين من التطور الفكرى بالسحر والاعتقاد فيه وممارسته.

ويذهب "فريزر" وهو من أوائل من درس السحر من علماء الأنثرولولوجيا،

(1) المصدر نفسه، ص 20، 21.

وكتــب فــيه مؤلفــه الشهير "الغصن الذهبى: دراسة فى السحر والدين"، إلى أن الإنســانية قــد مــرت خلال ثلاث مراحل تطورية: المرحلة الأولى هى المرحلة الســحرية، والمــرحلة الثانــية هى المرحلة الدينية، وأخيرًا المرحلة الثالثة، وهى المرحلة العلمية.

ففــى المــرحلة الأولى نجد أن الإنسان كان على جانب كبير من الحدس، وكــان يظن أن بالإمكان أن يتحكم فى قوى الطبيعة من حوله بتسخير قوى خفية لتحقيق مآربه. وبعد أن مرت الإنسانية فى خبرات معاكسة كثيرة، وبعد أن استبان لها عجز الوسائل السحرية عن تحقيق رغباتها، فإنها أخذت تعترف بالعجز، وبأن هناك مشيئة أخرى خارجية لها الأولوية على المشيئة البشرية، وأن من الواجب أن يحــنى الإنسان رأسه لصاحب تلك المشيئة، أو لأصحاب تلك المشيئة، أى للإله أو الآلهة. فإذا ما رغب الإله أو الآلهة فى تحقيق الرغبة أو الأمنية الإنسانية، تحققت ســعادة الإنســان. أما إذا لم تتوافر الرغبة الإلهية، فما على الإنسان إلا أن يتقبل قدره، وألا يسخط أو يتبرم. وفى هذه المرحلة نجد ازدواجًا فى المشيئة، فهناك أولاً الرغبات أو المشيئات الإنسانية. ثم هناك الرغبات أو المشيئات الإلهية. وطالما أن الإنســان فــى هــذه المرحلة قد أقر بعجزه، وأقر فى الوقت نفسه بعظمة المشيئة الإلهية، فلابد له أن يعطى الأولوية لتلك المشيئة الأخيرة، وأن يقدم فروض الطاعة للإله، أو الآلهة، وأن يتقرب إليه بالقرابين، التى قد تصل فى بعض الأحيان إلى أن تكون من أبنائه.

ويذهــب "فريــزر" إلــى أن المســيطرين على فنون السحر، فى المرحلة الســحرية، أناس تمكنوا من فنونه وأصول ممارسته. أما فى المرحلة الدينية فكان الكهــنة هــم المســئولون عن الطقوس والشعائر الدينية. ولم يكن السحر أو الدين يمارسان تلقائيًا، أو حسب أهواء الناس أو اجتهاداتهم، وإنما من غير السحرة، ومن غــير رجال الدين إلا أن يسلم القياد فى الشئون السحرية والشئون الدينية، للسحرة ورجال الدين على التوالى.

أما المرحلة الأخيرة فى تصنيف فريزر الثلاثى، فهى المرحلة العلمية وهى المرحلة التى تمثل تحقيق أحلام البشرية التى ساورت خيالها فى المرحلة الأولى، أى المرحلة السحرية. ولكن "فريزر" يبدى تشاؤمه إزاء ما يمكن توقعه خلال هذه المرحلة، ذلك أنه يرى أن القدرة البشرية محدودة مهما تعاظمت، وأن الإنسان لا يستطيع فعل الكثير إزاء الكون وظواهره، وأن كل ما يستطيع عمله هو القضاء على نفسه وإفساد الكون من حوله والواقع أن هذا الكلام ليس غريبًا على الأسماع فى الوقت الحاضر، فالكثير من علماء الفيزياء يبدون مخاوفهم من الطموح الإنسانى فى مجال العلم، ويرون أن التقدم العلمى فى جملته مؤد إلى دمار الإنسانية وليس إلى ازدهارها [1].

ويذكرنا تصنيف "فريزر" لمراحل تطور البشرية بالموقف الذى اتخذه "هربرت سبنسر" فى تفسيره لتطور الحضارة. فقد جعل مبدأ التكيف adaptation المحور الرئيسى الذى تدور حوله الأنشطة البشرية منذ ظهور الذكاء الإنسانى على وجه الأرض، إلى آخر مرحلة تطورية وصلت إليها البشرية. ومما لا شك فيه أن "سبنسر" كان متأثرًا بنظرية التطور، شأنه فى ذلك شأن "فريزر" وغيره ممن تأثروا بنظرية التطور.

والمجتمع البدائى فى نظر "سبنسر" كتلة غير متمايزة، وبتعبير "فرويدى" فإن الفرد فى ذلك المجتمع البدائى لا يستطيع أن يميز نفسه (كأنا) مستقلة عن (النحن)، فثمة (نحن) بغير أن يكون هناك (أنوات) قائمة بذاتها، شاعرة بتمايزها.

ويعتقد "سبنسر" أن المرحلة الأولى من مراحل التطور البشرى نشأت عندما اختلط البشر بعضهم ببعض، وكونوا تكتلا لمجابهة البنية الطبيعية، فلم يكن من الممكن أن يعيش إنسان بمفرده، ذلك أن الضغط البيئى، أو بعبارة أدق، التهديد البيئى من جانب الطبيعة، كان الكفيل الوحيد والقوى لاستمرار هذا الخليط البشرى

---

(1) انظر: Abraham Kardiner & Preble: They Studied Man. P. 89

فـــى انســـجام. فالمـــبدأ الناجع بالفعل هو ذلك المبدأ الذى أكده "سبنسر" وهو مبدأ التكيف.

ويعقد "سبنسر" مقارنة متوازنة بين تطور البشرية، وبين تطور الطفل الفرد. فـــالطفل بمـــثابة تلخيص للحضارة البشرية. فهو يندفع فى تصرفاته عن نوازع لا يســـتطيع التحكم فيها. وهو يعيش فى خيال جامح، ويعتقد فى خياله بإمكان التغلب على الكون من حوله. وقد يذهب فى ذلك مذاهب أقرب ما تكون إلى السحر الذى يمارس لدى القبائل البدائية [1].

والواقع أن "ليفى بريل" يعد من أكثر علماء الاجتماع اجتهادًا فى الكشف عن التفكـــير الســـحرى، وبخاصـــة عند البدائيين، ويذهب إلى أن العقلية البدائية تمثل مـــرحلة مـــا قبل التفكير المنطقى، وهو نوع من التفكير مقابل للفكر المنطقى عند الإنسان الحديث، الذى يعتمد على ربط الأسباب بنتائجها بوضوح وثقة واطمئنان، حتى أنه قد صار فى مقدوره أن يتنبأ بالنتائج حتى قبل أن يبدأ فى وضع الأسباب موضع العمل والتنفيذ.

والواقـــع أن "بياجيه" قد أجرى تجارب مستفيضة لمعرفة المراحل التى يمر بها تفكير الطفل. وقد انتهى إلى أننا نستطيع أن نميز عدة مراحل متباينة فى تطور عقـــل الطفل. فعقل الطفل يتسم بالتهرب من الواقع واللجوء إلى الخيال autism، كمـــا أنـــه يخضع للرغبات الحسية المباشرة. وبعد ذلك تأتى مرحلة يكون الطفل خلالهـــا (ذاتـــى المركز) أي أنه يركز فكره حول نفسه، ويكون فى تلك المرحلة معـــتقدًا أنه قد وقف على الأفكار السليمة وأنه ليس بحاجة إلى برهان على صحة خبراته. وتكون أفكاره فى هذه المرحلة أفكار أنيمية animistic، أى أنه يعتقد بأن كـــل شىء حتى الجوامد لها روح وبخاصة لأنه يشاهدها تتحرك والشمس والقمر والسحب والهواء .. إلخ.

---

(1) انظر المصدر نفسه، ص 45، 46.

وتعارض "سوزان أيزاكس" "بياجيه" فى التقسيم سالف الذكر، فهى تعتقد أن الإنســـان فى جميع مراحل حياته يمكن أن يكون خياليًا، وأن التفكير السحرى ليس سمة لعقلية الطفل دون عقلية الناضج.

ومما لا شك فيه أن "فرويد" قد استطاع أن يطبق استنتاجاته السيكلوجية فى مجال الأنثروبولوجيا، وبخاصة لدى تعرضه للطوطم والتابو، وذلك فى كتابه الذى يتضمن هذين اللفظين معًا، الطوطم والتابو (Totem and Taboo) والذى نشر عـــام 1912 لأول مرة. وفى هذا الكتاب قارن "فرويد" بين الميكانيزمات العصابية كما تظهر بالتحليل النفسى، وبين بعض النظم الاجتماعية القبلية، وبخاصة ما تعلق منها بالمحرمات، والطوطمية، والسحر.

وبمقتضـــى هذه النظرة الفرويدية يكون السحر بمثابة مرض نفسى يصيب بعض الأشخاص، أو بعض المجتمعات. وأنه بمثابة ردة إلى الفكر البدائى، أو هو ردة إلى مرحلة طفلية. فيكون بذلك عرضًا نكوصيًا. (1)

أما "هوبرت ريد" فيعتقد أن الأنشطة الفنية البدائية تتمشى مع الأنشطة الفنية المبكرة جدًا لدى الطفل (2).

والســـؤال الـــذى يتبادر إلى الذهن الآن هو: هل الشخص الذى لم ينشأ فى مجتمع بدائى على الإطلاق، يمكن أن يجمع فى داخله أيضًا مقومات ذلك البدائى. الإجابـــة عـــند "فـــرويد" **وكثير من علماء التحليل النفسى هى بالإيجاب. وهم يذهـــبون إلى أن القشرة الحضارية التى تغلف حياتنا إنما هى فى الواقع قشرة رقـــيقة للغايـــة، بحيث أن المواقف الخطيرة يمكن أن نقتلعها من حياتنا بحيث**

---

(1) انظر:

S.Freud. Totem and Taboo. Chapter. III

-J.C. Flugel. A.Hundred Years of Psychology, p. 348-349.

(2) هربرت ريد، تربية الذوق الفنى، ترجمة يوسف ميخائيل أسعد، ص 50.

نرتد فى الحال إلى ما كنا عليه - أو بتعبير أصدق - إلى ما كان عليه أسلافنا البعيدون.

ففى المجاعات والحروب والكوارث الطبيعية تنتزع تلك القشرة الحضارية، ويعــود الإنســان إلــى ما كان عليه من بدائية بحيث لا نجد فرقًا جوهريًا بين ما يظهره من سلوك، وبين ألوان السلوك التى نعرفها عن القبائل البدائية.

وإننا نجد بين طيات سلوك المتحضرين، حتى بالنسبة لأولئك الذين لم تنزع عنهم قشرة الحضارة بشكل ظاهر، ما ينم عن تلك البدائية وبخاصة ما تعلق منها بالسحر.

فكثير من المتحضرين يضعون حدوة الحصان القديمة على مداخل بيوتهم أو ترتدى زوجاتهم "كفا" مصنوعة من الذهب، أو عينا زرقاء موشحة بالذهب أو الفضة، بحيث تكون فى مواجهة من يقع بصره عليهن. والباعث على ارتداء تلك الكف، أو العين، أو وضع الحدوة على باب الشقة، أو باب الجراج، أو فى مقدمة السيارة أو مؤخرتها، أو فى غير ذلك من أماكن ليس باعثًا جماليًا، بل هو باعث سحرى. فالشخص الذى يعمد إلى ذلك إنما يخشى فى أعماق نفسه من أن يصاب هو أو ذويه، أو ما يعتز به بنظرة حسد، أو بلون آخر من ألوان السحر.

والواقع أن كثيرًا من المثقفين يعمدون إلى إنكار وجود أى اعتقاد لديهم فى الســحر خوفًا من أن يتهموا بالجهل أو التخلف، ولكن إذا نحن تتبعنا سلوك الواحد مــنهم، وقمــنا بتحلــيل ألوان سلوكه، لوجدنا أن قطاعًا كبيرًا من سلوكه مشوب بالسحر أو بالخوف من السحر. مثل ذلك التذرع بالكتمان، واعتبار كثير من أمور الحياة العادية سرًا من الأسرار التى يجب الحفاظ على سريتها، وعدم إذاعتها خوفًا من النحس، أو من وقوع كوارث تذهب بروعة تلك الأشياء.

وبالنســبة للــزواج فــإن كثيرًا من الناس يفسرون الشجار الذى ينشب بين الزوجيــن بوجــود سحر (عمل) قد حيك ضدهما، ويقول البعض - فى جلساتهم الخاصــة - أن الســبب فى عدم الإنسال لمدة طويلة كان مرجعه "عملاً" قد عمل، ولكن بعد (فك) ذلك العمل سرعان ما حملت الزوجة.

ويقول البعض أن من ألوان السحر الذائعة، بقرى الصعيد والوجه البحرى، يضـــع كلمـــات يكتـــبها العدو على كف يده ثم يصافح العريس ليلة الزفاف، فيجد المسكين نفسه غير قادر على ممارسة الجنس مع عروسه، ويظل الحال على ذلك الـــنحو، إلى أن يقيض الله لـــه من يفك السحر المعمول، أو تنتهى الحياة الزوجية بالانفصام (1).

ظاهرة السحر والعادات الاجتماعية أو الطرق الشعبية

العادة الاجتماعية، كما يعرفها "جلن وجلن" (Gillin and Gillin) هى كل أســلوب مــتكرر يكتسب اجتماعيًّا، ويتعلم اجتماعيًّا، ويمارس اجتماعيًّا ويتوارث اجتماعيًّا (2)، ويطلق البعض على العادات الاجتماعية مصطلح الطرق الشعبية.

ومــن ممــيزات العادات الاجتماعية أو الطرق الشعبية فى جميع الثقافات بصفة عامة، وفى الثقافات المتخلفة، والقطاعات المنعزلة أو التى تنتشر فيها الأمية بصـــفة خاصة، إنها تتصل بعناصر سحرية وخرافية، كالاعتقاد بأن أرواح أجدادنا وأســلافنا تغضـــب أشـد الغضب إذا نحن حاولنا أن نغير أو نقطع عاداتهم التى أورثونا إياها، وفى ذلك تقول العامة فى مصر: " **قطع العوايد فال**"، **أى فال سيئ ونذير شؤم محقق.**

وكثير من الناس فى مصر، وبخاصة العامة والسذج يخافون من المبيت فى مـــنزل مهجـــور، أو مكـــان منعزل خشية أن تصيبهم الأرواح المحبوسة. كذلك يحرصـــون أشد الحرص على ألا ينام الطفل فى حجرة وحده أو فى مكان مظلم، وإلا أضر به "إخوانه" من الجان.

---

(1) انظر يوسف ميخائيل أسعد، المصدر السابق، 223، 226.

(2) Gillin and Gillin, Cultural Sociology, p. 153.

وتدلنا "موسوعة الخرافات" [1] التى جمعها "إدون" "ومونا رادفورد" أن مثل هــذه العــادات تشيع فى ثقافات مختلفة ومتعددة. فقد كانت موجودة عند كثير من الأقوام والشعوب، ولوحظت عند الإغريق، وفى الدانمارك، وفى اسكتلندا القديمة.

ولا يزال كثير من المصريين، ولا سيما الريفيين يمارسون إجراءات سحرية خرافــية معيــنة عندما تتأهب المرأة عندهم لعملية الولادة، إذ يرفعون الأغطية عن الأوانــى، ويفكون العقد المربوطة، ويفتحون النوافذ لتسهيل عملية الولادة، كما أنهم يستعينون، لتسهيل هذه العملية، بمفتاح باب ضريح أحد الأولياء ويضعونه على ظهر المرأة لتيسير الوضع المتعسر، كما نذكر من العادات المنتشرة فى مصر فى مناسبة "ســبوع" المولود استخدام الأحجبة والتمائم (للأم والطفل)، وإشعال الشمع، وإطلاق البخور أو العطور، ورش الملح، أو خليط من الملح وبعض الحبوب كالأرز والعدس والفول، لطرد الأرواح الشريرة أو إبطال السحر.

والاعتقاد بقداسة بعض الأماكن، أو الاعتقاد بقوتها السحرية الخفية الخارقة، اعــتقاد منتشر فى كثير من الثقافات، وهو معروف لنا جميعًا فى ثقافتنا المصرية. فهــناك بعــض الســيدات اللاتى يأتين من القرى القريبة من القاهرة، ومن بعض المــناطق الشعبية فى القاهرة نفسها، لزيارة جامع "الجيوشى" بالمقطم، ثم يستلقين على ظهورهم فى بهو منحدر الأرضية قريب من الضريح، ويتدحرجن إلى أسفل الــبهو، وهن يعتقدن أن زيارة هذا المكان بالذات وممارسة هذا "الطقس" ألا وهو التدحرج، يذهب عنهن العقم الذى يعكر صفو حياتهن. [2]

وحقــيقة الأمر أنه لا يكاد يوجد مجتمع فى العصر الحالى يخلو من التفكير السحرى، ومن أنماط السلوك المتصل بالتفكير الخرافى، برغم ما يبدو فى هذا من تناقض مع ظروف العصر، وما وصلت إليه العلوم والحضارة من تقدم.

---

(1)Edwin and Mona Radford, Encyclopaedia of Superstitions. Introduction. PXIII.

(2) انظر فوزية دياب، المصدر السابق، ص 142، 125.

ويمكــن تفسير الخرافات والإجراءات السحرية السائدة فى المجتمع الحديث بــأحد أمريــن: أولهما أن تكون الخرافات مخلفات من الماضى البعيد، ومن نتائج خبرات الإنسان، فى عصور كانت خبراته فيها محدودة، وإمكانياته فى البحث عن المعرفة قاصرة وعاجزة، ثم انتقلت تلك المعتقدات الخرافية والسحرية من جيل إلى جــيل عبر العصور عن طريق التنشئة الاجتماعية، حتى أصبحت جزءًا لا يتجزأ من التراث الثقافى للمجتمع.

والأمر الثانى أن بعض هذه الخرافات من صنع العقلية الخرافية التى ورثها الإنســان عــن الأجــيال القديمة، والتى قد يطبقها على ما يصادفه من مشكلات معاصرة، إذا أعوزته الطرق التى تفضلها.

فالعــادات الاجتماعــية أو الطرق الشعبية المتصلة بظاهرة السحر هى إذن عادات تقليدية، قديمة متأصلة، راسخة فى الثقافة، يأخذها الخلف عن السلف، والتى تــبقى وتســتمر برغم فناء الأفراد الذين يكونونها، فالإنسان يولد فيجد عادات قد وجــدت قــبله، وقد تتغير بعض الشىء فى حياته، ولكنه عندما يموت تستمر هذه العادات فى بقائها عن طريق الأجيال اللاحقة له.

وكــل الشــعوب، المتديــنة منها والمتأخرة، تتصل بالماضى لتسترشد به وتهــتدى بهديــه عن طريق هذه العادات التقليدية التى من بينها العادات المتصلة بظاهــرة السحر فهى تعد من بين "وسائل الحياة المختلفة التى توصل إليها الإنسان عــبر الــتاريخ، إنها وسائل إرشاد توجه سلوك الناس فى المجتمع [1]. فهى تقدم حلــولاً لكثير من مشاكل الإنسان اليومية، وتقدم لنا الجواب عن كثير من الأسئلة المتصلة بكثير من المناسبات والأحداث الجارية فى حياتنا [2].

---

(1) انظر: Kluckhohn and Kelly, "The Concept of Culture", In R. Linton (ed)
(2) انظر فوزية دياب، المصدر السابق، ص 152.

ظاهرة السحر والتنشئة الاجتماعية

رأينا مما ذكرنا آنفًا عن ظاهرة السحر والعادات الاجتماعية أو الطرق الشعبية، أن التنشئة الاجتماعية هى دعامة أساسية من دعامات بقاء ظاهرة السحر فى عالمنا المعاصر عامة، وفى مجتمعنا المصرى خاصة، فعن طريق التنشئة الاجتماعية انتقلت هذه الظاهرة من جيل إلى جيل حتى أصبحت جزءًا لا يتجزأ من تراثنا الثقافى.

وتوارث العادات التقليدية المتعلقة بالسحر من جيل إلى جيل يضفى عليها احترامًا وقدسية يزيدان من تثبيتها ورسوخها واستقرارها. وكلما تقادم عليها الزمن واستقرت بالتوارث، أصبحت أقوى فى سيطرتها وإلزامها لأفراد الجماعة، إذ يتكون عندهم الاعتقاد بأن هذه العادات هى السلوك الصائب السليم الذى تم اختباره بمحك التجريب والخبرة العملية، وبعد أن ثبتت صلاحيته بالممارسة الفعلية للأسلاف والأجداد، ولذا يجب أن يتمسكوا بها.

ويتبين لنا ذلك عندما نسأل أفراد جماعة ما (وخاصة فى الجماعات البدائية المنعزلة عن تيار الحضارة أو الجماعات الريفية النائية والمنعزلة عن المدن): لماذا يسلكون سلوكًا تقليديًا معينًا؟ فإنهم يجيبون بأن "ذلك ما وجدنا عليه أباءنا" أو "لأن أجدادنا كانوا به متمسكين" بل إنهم كثيرًا ما يذهبون إلى أبعد من هذا فيفصحون عن أن مخالفة العادات تجلب الشؤم والنحس والضرر على المخالف من الجماعة [1]. ويتبلور هذا الاعتقاد فى قول العامة عندنا خاصة فى الريف المنعزل وحيث تنتشر الأمية: "قطع العوايد فال" وكذلك "قطع الورايد ولا قطع العوايد" [2].

والطفولة عند الإنسان هى زمن التثقيف (أى التنشئة الاجتماعية)، فالحضين ينبثق من تيار بنى جنسه، ويقذف به مولده فى خضم عالم من صنع يد الإنسان،

(1) انظر فوزية دياب، المصدر نفسه، ص 153.
(2) نقلاً عن أحمد تيمور، الأمثال العامية، طبعة ثانية، ص 405.

مـــزدحم بزاد ثقافة عصرية، وما يتعلق بها من أمور الحياة ومطالبها القسرية. إن من المشكلات المستديمة فى الثقافة إحداث تكيف أمثل لهذا العالم المعقد" [1].

والتنشـــئة الاجتماعـــية هـــى عملية تحويل الفرد من كائن عضوى حيوانى الســـلوك إلـــى شخص آدمى بشرى التصرف فى محيط أفراد آخرين من البشر، يـــتفاعلون بعضهم من بعض، ويتعاملون على أسس مشتركة من القيم التى تبلور أســـلوبهم وطرائقهم فى الحياة. ويقوم بهذه العملية فى بداية حياة الفرد منذ ولادته مجموعة الأسرة.

وليســـت أهمية الأسرة بالنسبة للفرد تتركز حول مده بما يحفظ لـــه الحياة فحســـب، بـــل إنها تتعدى ذلك إلى عملية شَخْصَنَته وجعله آدميًا متوافقًا مع أفراد المجموعات والجماعات، التى يندمج فيها ويكون عضوًا من أعضائها ويحدث ذلك عـــن طـــريق نقل الثقافة السائدة فى هذه المجموعات إليه، وكذلك بواسطة ضبط سلوكه بوسائل شتى.

بعـــبارة أخرى فإن الأسرة هى التى تزود الفرد بالرصيد الأول من أساليب السلوك الاجتماعية. وبذلك تزوده بالضوء الذى يرشده فى تصرفاته وسائر ظروف حياته. فكل فرد يسير فى حياته من مرحلة إلى مرحلة، وينتقل من دور إلى دور، ومن مركز إلى آخر حاملاً معه رصيده الأول من العادات والقيم وأساليب السلوك الاجتماعية، ليهتدى به فى مقابلة المواقف الجديدة التى تواجهه فى سياق تفاعله مع مجـــتمعه الـــذى يعيش فيه. وليس من المبالغة فى شىء أن نقول إنه من النادر أن يواجـــه الفـــرد فى مستقبل حياته بموقف جديد كل الجدة يتطلب منه تكوين أنماط ســـلوكية جديـــدة كـــل الجدة. أو اتجاهات ليس لها أية علاقة بماضيه فى أسرته، وبخاصة فى المرحلة الباكرة من حياته [2].

---

(1) نقلاً عن "آرنولد جزل" وآخرين، الحضين والطفل فى ثقافة اليوم" ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، ص 261.

(2) انظر فوزية دياب، نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة، ص 123.

ومن الطبيعى أنه إذا كانت الأسرة تعتقد اعتقادًا قويًا فى بعض الإجراءات والممارسات السحرية، وتحل مشكلات الحياة التى تعترضها بالالتجاء إلى السحر والأعمال، والتحويطات التى يقوم بها المشتغلون بالسحر، أو إذا كان أفرادها وبخاصة الأم يلجأون إلى تخويف أطفالهم وضبط سلوكهم عن طريق مؤثرات سحرية وخرافية مثل التهديد بالمارد، والعفريت، والأشباح، والأرواح الشريرة كما يرددون أمام الأطفال تعبيرات تعلن عن رعبهم الشديد وذعرهم العنيف من شر الحسد، وبأس العين التى تهدد حياتهم وحياة أطفالهم وتلاحقهم فى كل مكان وكل وقت، ولذلك نسمعهم يقولون على مسمع من أطفالهم محذرين "العين تفلق الحجر نصين"، و"العين يا تتلف يا تقصف" فإن الأطفال ينشأون متشربين بهذه الأفكار والمعتقدات فى السحر، وما يتعلق به من أفكار "كالعين" و"الحسد"، و"القر"، و"النفس"، و"العكس".

والأسر التى تفعل ذلك، لا تقف عند حد التعبير اللفظى عن خوفها من العمل، و"العين"، والحسد، والقر، بل إنها تتبع ذلك بإجراءات تؤيد مخاوفها، لذلك فإن أفرادها الكبار يلجأون إلى الأحجبة، والتمائم، والتعاويذ، والبخور لوقاية أنفسهم، ووقاية أطفالهم على وجه الخصوص، وتحصينهم، وحفظهم من هذا الشر. وجدير بالذكر أن استعمال الأحجبة والتمائم والتعاويذ والبخور لا يقتصر فى نظر تلك الأسر على مجرد وقاية الطفل وتحصينه من الحسد والأرواح الشريرة، بل يتعداه أيضًا إلى علاجه وتخليصه مما يكون قد حاق به فعلاً من شر أو فساد، أو مرض.

"وجدير بالذكر، أنه كثيرًا ما يكون لهذه الإجراءات الوقائية والعلاجية بالسحر، والبخور والرقى وغيرها، من خطورة على حياة الأفراد، وبخاصة الأطفال. ففى الوقت الذى تتوهم الأمهات أنهن قد نجحن بهذه الإجراءات فى وقاية أولادهن، أو فى علاجهم من المرض، يكون المرض قد استفحل، وتمكن منهم، وتغلغل فى أجسامهم، وتضاعفت خطورته تضاعفًا قد يودى بالحياة. ولهذا يرى البعض أن وفيات الأطفال الصغار فى الريف المصرى "إنما ترجع فى بعض

الأحيان إلى عدم إدراك وسائل العلاج السليم فى حالات المرض الطارئ" [1].

والواقـع أننـا نجد أن الفرد الذى نشأ فى مثل الأسر سابقة الذكر، وحصل علـى قـدر عـال من التعليم، يلجأ عندما يقع تحت وطأة الظروف القاسية، مثل المعانـاة مـن مرض عضال تعجز أساليب العلم عن علاجه، إلى الاستعانة بهذه الأسـاليب السحرية والخرافية، لأنه رغم تعلمه الراقى، فإنه قد تعرض فى تربيته الأولـى للمؤثرات السحرية والخرافية. فالتنشئة الاجتماعية هنا دورها أخطر من دور التعليم. ومن هنا أوليناها اهتمامًا خاصًا فى علاقتها بظاهرة السحر.

وتخـتلف تنشئة الأسر السالفة الذكر لأبنائها عن أسر توصل لأبنائها قيمًا، وأفكـارًا، وعـادات مختلفة، فهى تربيهم متشربين بالإيمان بقدرة الله، التى تفوق قدرات البشر، كما أنها تربيهم على التفكير العلمى والإيمان بالعلم، وبحل مشكلاتهم بالطرق والأساليب المنطقية السليمة، وربط الأسباب بالمسببات، وتطبيب المرض بالطب لا بالبخور.

ولابد أن نقول أن الأسرة لا تعيش فى فراغ بل تعيش فى محيط معين نطلق عليه المجتمع، ولابد أن يؤثر المجتمع بدوره فى الأفراد كما يؤثرون هم أيضًا فيه.

والحقيقة أنه حين يتغير الواقع الاجتماعى للأفراد، فإن أفكارهم تتغير إلى حـد كبـير حتى وإن تم ذلك ببطء .. ولا شك أن انتشار التعليم ونشر الخدمات الطبـية عالـية الكفاءة، وانتشار تعليم الدين بشكل واضح ومبسط وبخاصة فى الريف لمصرى [2]، من شأنه أن يعمل على زوال ظاهرة السحر تدريجيًا.

---

(1) محمد طلعت عيسى، دراسات فى الاجتماع الريفى، ص 16.

(2) كثيرًا ما يلجأ المشتغلون بالسحر فى مصر ريفها وحضرها إلى خلط السحر بالدين ليضمنوا سهولة التأثير على الناس، ولكى ينجحوا فى ترويج بضاعتهم، وبالتالى يصيبون من وراء ذلك الكسب الكثير. فالدين عند المصريين وبخاصة الريفيين من الأمور الجوهرية، والدوافع الأساسية ذات القيمة العليا فى أعمالهم وحياتهم. وقد استغل المشتغلون بالسحر هذه الحقيقة فدرجوا على تلوين أعمالهم السحرية باللون الدينى، لذلك لا نجد حجابًا، أو عملاً، أو سحرًا يخلو من الآيات القرآنية. المؤلفة.

الوظيفة الاجتماعية لظاهرة السحر

لظاهـــرة الســـحر وظيفة اجتماعية هامة فى حياة الإنسان، نستطيع تقسيمها بصفة عامة إلى وظائف فرعية كما يلى:

1- تفســـير الظواهـــر الغامضة، والغريبة فى الكون، لبعث الطمأنينة فى نفس الإنسان.

وقـــد يســـتهدف التفســـير فضلاً عن ذلك، مساعدة الإنسان للتهيؤ لمواجهة أحداث أو ظواهر مقبلة.

ومـــن أمثلة العادات المتصلة بنواحِى سحرية وخرافية، والتى تؤدى وظيفة تفسير الظواهر الغريبة تلك العادات المنتشرة فى الريف المصرى، وفى كثِير من المـــناطق الحضـــرية المـــتخلفة، وهى تفسير جفاف اللبن عند الأم الوالدة حديثًا" بالكبســـة" و"الكبْسَـــة" فـــى نظر السذج، وكثير من العوام تحدث من دخول إحدى السيدات (على الأم المرضع) ومعها أشياء معروفة لمن يعتقدون فى "الكبسة". مثل الـــباذنجان أو اللحم أو السمك، أو تكون متحلية بحلى من الذهب أو الماس. ولذلك تـــراعى أســـرة الوالدة المرضع منتهى الدقة والحذر فى تحريم دخول أي شخص يكون معه مثل هذه الأشياء المسبب "للكبسة".

ونذكـــر من هذا النوع أيضًا العادات المنتشرة فى كثير من بقاع مصر، ريفها وحضرها، والتى تفسر الأمراض أو بعض الحوادث المؤلمة أو الإخفاق فى الحياة، أو فـــى بعض المشروعات والأمور، بأن الشخص قد أصابته عين أو حسده حاسد، ولذا يلجـــئون إلى عمل "عروسة" من الورق تصور لهم الشخص الحاسد، ويثقبون موضع عينها بالإبرة، ثم يحرقونها فى النار مع مخلوط من الملح والشبة والفسوخ، إبطالاً لأثر العيـــن ودرءًا للحسد. وقد يتبع هذا الإجراء بإجراء آخر، يلزم الشخص المحسود، أن يلـــبس حجابًا فيه رأس هدهد محنطة أو جزء من ذيل كلب، أو بعض أسنان ذئب، أو عقرب مجفف، أو حرباء مجففة أو بعض قطع النقود الصغيرة مع قليل من الملح [1].

(1) فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، ص 127.

2- تحقـيق حاجـة يرغبها الإنسان ويتمنى تحقيقها، ولا يستطيع الوصول إليها مباشرة، باتباع ما تجمع لديه من معرفة، أو ما تعلمه فى سياق خبرات حياته من مهارات. وهنا يلجأ الإنسان إلى السحر لتحقيق مآربه. فقد يعمد الإنسان البدائى إلى السحر لجلب الخير كإسقاط المطر مثلاً، أو قد يعمد إلى مراسيم غامضـة، أو إلـى الشعوذة، واستخدام الأحجبة والتعاويذ كى يأتى المولود ذكـرًا، أو كـى تحمل المرأة العاقر مثلاً، أو لعلاج الأمراض المزمنة، أو المستعصية على اعتبار أن مرجعها الجن أو الشياطين.

والواقـع أن الإنسـان المتعلم ذاته قد يلجأ إلى السحر تحت وطأة الظروف القاسـية التى تعطل قدراته على التفكير السليم. وقد يحدث مثلاً عندما يعانى الفرد من مرض عضال أليم، وتعجز أساليب العلم عن التغلب عليه. عندئذٍ قد يرتد الفرد بتفكـيره إلـى عقلية الطفل أو الرجل البدائى، ويقبل التفكير الخرافى المتمثل فى السحر، بل ويعلق عليه أمله. ويبرز هذا بوضوح فى الحالات التى يكون فيها الفرد قـد تعـرض فـى مـراحل تربيته الأولى للمؤثرات الخرافية التهديد بالعفاريت، والأشباح، والأرواح الشريرة .

بعـبارة أخرى يمكن القول أن السبب الرئيسى فى استمرار ظاهرة السحر كظاهـرة اجتماعية، هو عجز الإنسان وضعفه إزاء حاجاته الأساسية، أو مشكلاته المستعصـية وعـدم القدرة على التفكير المنطقى السليم. فالمرأة التى تشعر بالقلق لعـدم الإنسـال عمومـًا، أو لعدم إنسال الصبية بالذات، وتخشى نتيجة لذلك على حياتها الزوجية من التصدع، فإنها قد تلجأ إلى السحر لتحقيق بغيتها، وبخاصة إذا كانت تجهل الحقائق العلمية الخاصة بالحمل والتناسل.

3- تجنـب الضرر ودفع الخطر وقد كانت حياة الإنسان الأول مليئة بالأخطار الواقعـية، ولكنه كان عاجزًا عن أن يفكر فيها تفكيرًا موضوعيًا منظمًا، فقد كانـت خـبراته محدودة، وكانت مخاوفه كثيرة ومتنوعة، ولم تكن ظروف حياته تتيح له القدر الكافى من الاستقرار أو الهدوء اللازمين لتتبع الظواهر

التى يهمه فهمها، وفهم العلاقات التى تحتويها.

ولهــذه الأســباب كــان الإنســان البدائى عاجزًا عن إدراك العلاقات بين الظواهــر، فمــا بالــنا بــالوحدة الكلية للكون، ومن ثم غلبت على تفكيره النظرة الأنيميــية. وأصبح تفسيره للأشياء والظواهر المحيطة به تقوم على أساس (الحركة التلقائــية) الــتى تضمن وجود قوى خاصة بكل شىء، أو كل مظهر من مظاهر الكــون، تسيره، وتفسره. فامتلأت حياته العقلية وتصوراته بالقوى غير المنظورة وأصــبح السحر جزءًا لا يتجزأ من حياته. وأصبحت المفاهيم والمراسيم السحرية بالتدريج جزءًا لا يتجزأ من التراث الإنسانى.

وقد انتقلت تلك المفاهيم والمراسيم السحرية من جيل إلى جيل، ومن عصر إلى عصر عبر التاريخ، وهى ما زالت للآن تعيش بيننا فى أفكار ووجدان وسلوك كثيرين ممن يعيشون بيننا حتى فى أكثر المجتمعات رقيًا.

لقــد كــان الإنســان البدائى يخشى الأعاصير، والسيول، والبرق، والرعد والصواعق ويخشى كثيرًا من المظاهر المرضية التى يتعرض لها هو، أو يتعرض لهــا مــن يحيطون به، وفسر كل هذا تفسيرًا غيبيًا، أو تفسيرًا تختلط فيه الحقيقة القائمــة على الخبرة الواقعية المباشرة بالمعانى الغيبية والسحر. فعانى من التشاؤم ومــن مخــاوف وهمية كثيرة لا يملك لها دفعًا، ولا يستطيع أن يواجهها مواجهة واقعية، فتوسم فى بعض الأشياء من بيئته وفى بعض الممارسات حافظًا لــه ومن أمــثلة ذلــك "الخــرز الأزرق"، و"خمســة وخميســة"، "والأحجبة"، و"التعاويذ"، و"البخور"، و"التعازيم".

والواقــع أن الخوف الشديد، والتوجس المستمر من أهم أسباب بقاء ظاهرة السحر كظاهرة اجتماعية، وبخاصة إذا اجتمع مع الخوف الشديد، الجهل، والشعور بالضعف والعجز عن العمل الإيجابى [1].

(1) انظر نجيب اسكندر ورشدى فام، التفكير الخرافى، المصدر السابق، ص 45، 46.

وهكذا نرى أن ظاهرة السحر تؤدى أدوارًا اجتماعية وظيفية فى كل نواحى الحياة، فهى تستخدم فى علاج الأمراض، والاحتفالات Ceremonial Magic [1]، كما تستخدم أيضًا كأداة لتحقيق ما يطمح إليه الفرد وهو ما يطلق عليه اصطلاح "The magic of private ambition"، يستعين به الفلاح على زيادة إنتاجية أراضيه، والعامل والأجير للحصول على أجر أكبر، والمتقاضى لكسب قضية، والفتاة لكسب قلب الرجل، والمحب لنيل رضا محبوبته، والسارق والمجرم لإخفاء جريمته وباختصار يستخدم السحر هنا لتحقيق الرغبات الخيرة، والشريرة على السواء، تلك الرغبات التى لا يتسنى للأفراد إشباعها، أو تحقيقها بالاعتماد على جهودهم الخاصة.

ومن وظائف ظاهرة السحر، وظيفة الدفاع، وهى ما تعرف باصطلاح defensive sorcery ، ضد المعتدين، ولحماية الممتلكات الخاصة، وهو استخدام وظيفى قانونى، ومن وسائل الضبط الاجتماعى.

وتؤدى ظاهرة السحر وظيفة أخرى أخلاقية وهى الانتقام من الأعداء والتنكيل بهم.

وهكذا نرى أن السحر يمثل ظاهرة اجتماعية لها جميع خصائص الظاهرة الاجتماعية، كما أن لها وظائف اجتماعية فى شتى نواحى الحياة، الحيوية منها، والاجتماعية، والسيكلوجية بل إنها تعد أداة وظيفية من أدوات الضبط الاجتماعى.

السحر فى سوسيولوجيا المجتمع المصرى الحديث

يذكر "دى شابيرول" سنة 1798 فى "وصف مصر" أن المصريين المسلمين

(1) كالاحتفال بسبوع الطفل فى ريف مصر، وبعض المناطق الحضرية منها، وفيه تستخدم الأحجبة والتمائم "للأم والطفل" ويطلق البخور، ويرش الملح، وخليط من الملح وبعض الحبوب كالأرز والعدس والفول لطرد الأرواح الشريرة وإبطال السحر. "المؤلفة".

"يقدسون عديدًا من الأولياء الموتى، وهم لا يعظمونهم إلا لكى ينالوا منهم الصحة لأنفسهم أو الخصوبة لزوجاتهم العقيمات، ويرون فى أوليائهم كذلك القدرة على إبطال مفعول الحسد والسحر المؤذى، ذلك الجهل والتعصب يحملانهم على أن ينسبوا لمجرد نظرة سريعة من العين الكثير من التأثير الضار على صحة المرء بل على حياتهم كلها. وجدير بالذكر أن اليهود وهم ليسوا أقل تعصبًا ولا تطيرًا من العرب يقدسون أحبارهم للغرض نفسه".

ويقوم المصريون بممارسة أخرى مضحكة، تعود إلى ضعف نظامهم الروحى، فيحرص المسلم منهم بعد أن يقص شعر رأسه أو لحيته على ألا يرمى بها فى الهواء، بل يطويها بعناية داخل ورقة ثم يضعها بحرص فى أحد الشقوق، ويتبع الشعب كله على وجه التقريب هذه العادة العجيبة [1].

أما "إدوارد وليم لين" فيعرف السحر تعريفًا وظيفيًا فى كتابه "المجتمع العربى فى العصور الوسطى"، إذ يقول: "يستخدم البعض السحر فى اكتشاف الكنوز المدفونة، أو فى بعض الأغراض الكيميائية، أو لمعرفة أحداث المستقبل، أو لعلاج العقم، أو لشفاء بعض الأمراض، أو لمنع تأثير العين الشريرة، أو للقضاء على عدو، أو لتحقيق الرغبات".

ويذهب (لين) إلى أن هناك وصفين للسحر، فيصفه بعض المفكرين المتحررين بأنه "شىء روحى"، وأنه حقيقة واقعة، بينما يصفه بعض المؤمنين بأنه غش وخداع.

أما السحر الروحى، الذى يسميه البعض بالسحر الربانى أو الروحانى، فيعتمد على بعض أسماء الله أو آيات من القرآن. وعلى قدرة الملائكة والجن،

---

(1) دى شابيرول، وصف مصر، دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين، ترجمة زهير الشايب، مكتبة الخانجى، ص 44، وجدير بالذكر أن دى شابيرول لم يدرك أهمية ممارسة حفظ الشعر بعناية بعد قصه، لذلك عدها ممارسة مضحكة، والحقيقة أنها ممارسة هامة تتعلق باعتقاد المصريين فى السحر، والخوف من العمل عن طريق الأثر. "المؤلفة".

وهـــذا الـــنوع مـــن الســـحر نوعان: عُلوى وسفلى، أو بعبارة أخرى (رحمانى) و(شيطانى).

1- أمـــا السحر العلوى الرحمانى، فينظر إليه على أنه علم سام رفيع يقوم على دراســـة خير الناس ويستخدم فى الأغراض الطيبة وتقوم دراسة هذا الفرع مـــن الســـحر على معرفة "اسم الله العظيم" وهذه المعرفة لا تتحقق إلا لخير عـــباد الله. فقـــد استطاع سليمان بواسطة (اسم الله العظيم) أن يسيطر على الجن والطير والريح، فقد استطاع وزيره آثاف أن ينقل عرش ملكة سبأ من فلسطين إلى يدى سليمان فى لحظة واحدة. ولكن هذا الحادث كان معجزه فقد يسبب نطق رجل لهذا الاسم موته. وهناك أسماء أخرى للرسول، والملائكة، والجـــن الخيريـــن، وتستخدم فى هذا النوع من السحر. وهكذا بواسطة هذه الأســـماء، وبعـــض الدعاء، وبعض الكلمات، وبعض آيات القرآن، وبعض الأرقام والرسوم، تتكون الكتابات السحرية التى تستخدم لأغراض الخير.

2- أما السحر السفلى الشيطانى فهو علم يعتمد على قوة الشيطان ونفوذ أشرار الجـــن. ويســـتخدم فى هذا النوع من السحر بعض الكلمات التى تستخدم فى تســـخير خـــيار الجن والتى نهى الرسول والمسلمون الصالحون الناس عن استخدامها فى الأغراض السيئة" (1).

ويذهب (لين) إلى أن عامة الناس تعد السحر من العلوم الروحانية فعلاً بينما لا يـــرى الـــبعض ذلـــك. ويرى البعض أن السحر يجب أن يقتصر استخدامه فى الأغراض الطيبة وألا يستعان إلا بأخيار الجن ويتم السحر بواسطة تحضير الجان ويستخدم فى ذلك عدة وسائل منها الماء أو التراب. ويعتقد البعض أنه يمكن للبشر بواســـطة السحر أن يتخذوا صور الوحوش أو الطيور. كما يعتقد البعض أن العين

(1) إدوارد وليم لين، المجتمع العربى فى العصور الوسطى، ترجمة على حسن الخربوطلى، ص 66، 68.

الشريرة الحسودة لها فعل السحر. وذهب البعض إلى أن هذه العين قد تسبب أحيانًا المرض أو الموت [1].

وتعتبر (الكهانة) فرعًا من فروع السحر الرحمانى، وإن كان من المسلمين من لا يؤمنون بمثل هذه الكهانة. وهناك حديث للرسول جاء فيه أن بعض تنبؤات المستقبل أحيانًا تكون صادقة. ويقال إن الكهان يسخرون الشياطين ويسيطرون عليهم بواسطة السحر، والأسماء العظمى، وحروق البخور ومن أهم ما يقول به السحرة اكتشاف الكنوز المخبأة، ويستخدمون فى ذلك ما يسمى (ضرب المندل) ويقوم به الشياطين، ويقبل عامة المسلمين على هذا النوع من السحر.

وهناك أنواع من الكهانة التى لا يمكننا أن نعتبرها من السحر الروحى بل تتخذ مكانًا وسطًا بين هذا النوع، وبين السحر الطبيعى ومعظم أنواع الكهانة هذه يطلق عليها اسم (علم النجوم) ويتفرغ كثير من المسلمين فى الوقت الحاضر لدراستها ويعتمد عليهم كثير من الناس حينما يشرعون فى بناء بيت أو القيام برحلة. وقد اعتبر الرسول هذا العلم فرعًا من فروع السحر. وهناك فرع آخر من فروع الكهانة يسمى (ضرب الرمل)، ويعتمد على بعض علامات ترسم على الرمل أو على الورق. أما علم (الزجر) فهو فرع ثالث من فروع الكهانة، ويعتمد على مشاعر بعض الطيور أو الغزلان أو بعض الوحوش. فإذا وقف حيوان أو مرّ على يمين أحدهم اعتبر ذلك فألا حسنًا، ويطلق على ذلك اسم (السانح)، أما (الفال) فالقرآن يقره ويعترف به. أما علم (تفسير المنامات) أو تفسير الأحلام فهو أحد فروع علم الكهانة قال الرسول: إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة "كما قال ﷺ: [**الرؤيا من الله والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلمًا يكرهه فليبصق عن يساره، ويستعذ بالله منه فلن يضره**]. ويحترم معظم المسلمين هذا الحديث النبوى، ويعتقد الكثير أن

(1) انظر المصدر نفسه، ص 79.

الأحلام توضح بعض أجزاء التاريخ أو العلوم، ويعتقدون أن الحلم بشيء أبيض أو أخضر أو ماء يدعو إلى التفاؤل، بينما يدعو اللون الأسود أو الأحمر أو رؤية النيران إلى التشاؤم.

وهناك أيام يتفاءل منها الناس، وأيام أخرى يتشاءمون منها فهم يتفاءلون من يومى الخميس والجمعة، وخاصة اليوم الأخير، ويعتقدون أن هناك سبعة أيام مشئومة فى كل شهر، ففى اليوم الثالث قتل قابيل أخاه هابيل، وفى اليوم الخامس طرد الله آدم من الجنة، وفيه غضب الله على قوم يونس، وفيه أيضًا ألقى بيوسف فى البئر، وفى اليوم الثالث عشر انتزع الله ثروة يعقوب ومملكة سليمان، وفيه قتل اليهود بعض الأنبياء، وفى اليوم السادس عشر دفن الله قوم لوط، وحول ثلثمائة مسيحى إلى خنازير وبعض اليهود إلى قرود، وفى ذلك اليوم غدر اليهود بزكريا. وفى اليوم الواحد والثلاثين ولد فرعون، كما غرق فى ذلك اليوم أيضًا، وفيه أصيب قومه بالطاعون. وفى اليوم الرابع والعشرين قتل نمرود سبعين امرأة، وألقى إبراهيم الخليل فى النيران، وفيه ذبح جمل صالح، وفى اليوم الخامس والعشرين أرسل الله تعالى ريحًا على قوم هود.

أما السحر الطبيعى أو (السيميا) فينظر إليه المسلمون المتعلمون على أنه لون من ألوان الفن والخداع والشعوذة. ولكن يمكن القول أنه نوع من أنواع السحر، إذ يقال إن له تأثيرًا ظاهريًا إذ إنه يؤثر فى الشعور والخيال بطريقة تشبه تأثير الأفيون، ويعتقد البعض أن الأفيون وبعض العقاقير تؤدى إلى التأثير على النفوس وتستخدم هذه المواد كلها فى ذلك النوع الذى سميناه "ضرب المندل" والذى سبق لنا الحديث عنه وتعتبر هذه الأعمال جميعًا من السحر الطبيعى. ويعتقد أن إطلاق البخور وسيلة من وسائل تسخير الشياطين وتعتبر الكيمياء فرع من فروع السحر الطبيعى ويتوفر كثير من المسلمين فى الوقت الحاضر على دراستها. وأبرز السحرة المصريين الذين نالوا شهرة كبيرة فى مصر فى خلال المائة سنة

الأخيرة هو الشيخ أحمد الصادومى الذى ذاع صيته منذ ستين عامًا مضت" [1].

ويضـــيف "وليم لين" فى كتابه المصريون المحدثون "شمائلهم وعاداتهم" الذى صـــدر ســـنة 1836 أن الســـحر العلـــوى أو الرحمانى، علم يعتمد على عون الله وملائكـــته والجـــن الصـــالحين، وعلـــى أسرار شرعية أخرى، وأنه يستخدم دائمًا لأغراض طيبة، وأنه لا يدركه ويمارسه غير الصادقين الذين يتعلمون من الحديث، أو القـــراءة، أسماء هؤلاء العاملين الذين يفوقون الطبيعة البشرية وأدعية تكفل إجابة رغباتهم. وتتصل كتابة الأحجبة لغرض صالح بهذا الفرع من السحر وبالتنجيم ويعلم أسرار الأعداد. وأقصى ما يدرك فى السحر العلوى هو معرفة "الاسم الأعظم". وهذا هو أعظم أسماء الله الذى يعتقد المتعلمون أنه لا يعرفه إلا الأنبياء والرسل. ويقال إن مـــن يعـــرف هـــذا الاسم يستطيع بمجرد النطق به، أن يحيى الميت، ويميت الحى، ويـــنتقل على الفور حينما يشاء، ويأتى بأى معجزة أخرى. ويظن البعض أن أفاضل الأولـــياء يعـــرفون هذا الاسم. ويعتقدون أن السحر السفلى يقوم على عمل الشيطان وأشـــرار الجـــن، وأن أشـــرار الرجال يستعملونه لأغراض خبيثة. وإلى هذا الفرع ينتسب علم "السحر" الذى يطلقه العرب على الرقية الشريرة فقط.

ويـــدرس الكثـــيرون فـــى مصر علم النجوم أو التنجيم. ويستخدمونه على الأخص لحساب المواليد وتعيين أوقات السحر .. إلخ. ولمعرفة أى البروج يخضع لـــه الشـــخص. ويـــتم ذلك بحساب القيم العددية لحروف اسم الشخص واسم أمه. وكثـــيرًا مـــا يكون ذلك فى حالة إقدام اثنين على الزواج للتحقق من توافقهما وقد أخـــبرت أن "علـــم الرمل" يستند غالبًا على التنجيم ويزعم القائمون به أنه يكشف الماضـــى والحاضر والمستقبل بواسطة علامات يرسمونها عرضًا على الورق أو الرمل، ومن هنا سمى هذا العلم" [2].

---

(1) المصدر نفسه، ص 72، 73.

(2) إدوارد وليم لين، المصريون المحدثون، شمائلهم وعاداتهم، ص 191، 192.

ويذكر "محمد عمر" فى كتابه حاضر المصريين أو سر تأخرهم الصادر فى سـنة 1902 فى فصل بعنوان "أوهام الأغنياء" أن للأغنياء أوهام وسخافة فكر لا يقدر القلم على وصف بعضها. ومنشأ كل ذلك قلة إلمامهم بالعلم وجهلهم للحقائق، فمن الأغنياء فى هذا القطر قسم كبير يقضون جل العمر وراء تحويل النحاس إلى ذهـب. ولهم ولع كبير فى البحث فى كتب الكيميا وغيرها لأمل كاذب فى نفوسهم علـى نـيل مآربهم حتى إن بعضهم ليضيع ماله وعمره ولكن لا يضيع أمله فى صـحة معـتقده فـى تحويل النحاس إلى الذهب، والسبب فى ذلك غشاوة الجهل والغرور المنتشرة على أبصارهم وبصيرتهم.

أمـا النساء فأمورهن فى الوهم مضحكة مبكية دالة دلالة صريحة على قلة فهمهـن وإدراكهـن. فلا تزال الكثيرات منهن يعتقدن فى المرض المعروف عند الأطـباء بمرض الأعصاب وعند العوام بالأرواح المتسببة من مس الشياطين وأن لا دواء غير "تنبييت" الأثر، وعمل الزار الذى عم ضرره وانتشرت مفاسده.

يضـيعن حاجتهـن فـى منازلهن لعدم الترتيب ثم يتهمن الخدم ويسألن فلا يهتديـن لمعـرفة مـا فقدنه فيذهبن إلى دكاكين المدعين معرفة الغيب، وعواقب الأمـور، فيعرضـن حالتهن، وينقدنهم كمية من المال فيكشفه الخادع المنافق كذبا بخـط على الرمل ويسمونه المنجم وطرق بالحصى ويسمونه الحاسب. ونظر فى المـياه ويسـمونه المـنجم وطـرق بالحصى ويسمونه الحاسب. ونظر فى المياه ويسـمونه المندل. ويا للأسف أن هذه المنكرات فاشية أكثر ما تكون فى الأمصار والقـرى بمعرفة المسلمين فيا سبحان الله أين من يعلمهم ما تقرره الشريعة من ذم ذلـك، وأن البشـر محجبون عن الغيب إلا من أطلعه الله على شيء من عنده .. أليس بعد ذلك نقول:

الفـال والرجـز والكهـان كلهـم

مضـللون ودون الغيـب أقفـال

ولكـــن لا يدرى هؤلاء ذلك وقد تكذب الواحدة على الأخرى وقد تحلف أغلظ الأيمان، وأوثق الأقسام أن كل ذلك مفيد، وقد وجدت بفضله ما افتقدته، وعثرت على ما ضيعته أو شفى ما كان بها من المرض وكل ذلك تغرير وإفساد لغيرها حتى تقع فـــيما وقعـــت فيه. وهؤلاء مروجوا الأوهام والسخافة كثيرون منتشرون فى الطرق والدكاكين وأكثر ما يوجدون فى الدرب الأحمر وشارع الساحل بقرب الدائرة السنية وفـــى جهة باب الشعرية والجمالية وبولاق أى أنهم منتشرون فى كل ناحية أكثر من انتشار المدارس التى تحيى الحق وتبطل الوهم وتربى عقل الإنسان [1].

وكتبـــت الآنســـة "بلاكمان" Blackman سنة 1929 فى بحثها الاجتماعى الوصـــفى عن فلاحى مصر العليا، فصلاً مستقلاً بعنوان "مشابهات مصرية قديمة" أوردت فـــيه زهاء تسعين مثلاً من معتقدات وعادات شائعة حاليًا فى صعيد مصر النائى تشبه نظيراتها التى كانت معروفة لدى أسلافهم من المصريين القدماء وتقول فى معرض الإشارة إلى عادات الفلاحين ومعتقداتهم اليوم:

"لمـــا كان أغلب هذه العادات والمعتقدات الشديدة الأهمية والطرافة فى حد ذاتهـــا قديمـــة جـــدًا، فإن هذه الحقيقة تجعل من الضرورى المبادرة إلى دراستها وتسجيلها بكل دقة وعناية" [2].

وقـــد خصصـــت "بلاكمان" الفصل الحادى عشر من كتابها لدراسة السحر والسحرة فى مجتمع الفلاحين فى صعيد مصر، وتقول فيه فى معرض حديثها عن مكانة السحر والسحرة فى مجتمع القرية. "يلجأ الأهالى فى مصر إلى السحرة من الجنســـين لمساعدتهم فى أوقات الشدة. وبعض هؤلاء السحرة ذاع صيتهم أحيانًا، أبعـــد مـــن حـــدود القرى التى يعيشون فيها، وتصلهم دعوات مستعجلة من أفراد يعيشون فى مناطق بعيدة من البلاد، وذلك للسفر إليهم، والقيام بنجدتهم".

(1) انظر محمد عمر، حاضر المصريين أو سر تأخرهم، ص 47 : 51.
- انظر ما بعد البحث الميدانى، خريطة المشتغلين بالسحر، ص 299.
(2) انظر: S.W. Blackman, The Fellaheen of Upper Egypt

وتذكــر "بلاكمان" أنه ليس من المألوف بالنسبة للسحرة من الإناث الذهاب بعــيدًا عــن القرى التى يعشن فيها، أو أبعد من القرى المجاورة لقراهن، ولكنها تعرف بعض السحرة من الذكور، الذين يسافرون بعيدًا لمزاولة عملهم فى كثير من المديريات.

ويحترم الفلاحون المصريون السحرة، كما أنهم يخشونهم بدرجة كبيرة وهذا يــرجع بــلا شك إلى معرفة السحرة بالتعاويذ وقدرتهم على استخدامها سواء فى الأغراض الشريرة أو فى الأغراض الخيرة.

ولكــى يسترضـــى الفلاحون السحرة، فإنهم يقدمون لهم الهدايا من الحبوب والأطعمة المجهزة، وغير ذلك من السلع المرغوب فيها.

وتحدثــنا "بلاكمـــان" فى الفصل الخاص بالسحر من كتابها عن ساحرة من معارفهـــا "عليها عفريت، يسكن "تحت الأرض" ويسمى الشيخ محمد، وهذا الشيخ يتواجد دواما مع هذه المرأة، وعندما يلجأ أحد من الناس إلى هذه الساحرة لتزاول عملهـــا فإنهـــا تنادى "الشيخ" لتجذب انتباهه، فمثلاً إذا أحضر لها الأهالى شخصًا مريضًا سواء أكان طفلاً أم يافعًا، فإنهم يظنون أنها بمساعدة هذا الشيخ تستطيع أن تذكــر لهــم ما إذا كان سيعيش أم سيموت. ويلجأ الأهالى كثيرًا إلى هذه الساحرة طلبًا لعونها ويقوم الشيخ بتقديم النصح لها بالنسبة لكل حالة على حدة.

وتضـــيف "بلاكمـــان" فى حديثها عن السحر الخاص "بالكره"، أنه عندما يريد الرجل أن يجعل زوجته تكرهه ليسهل عليه القيام بطلاقها، فإنه يلجأ إلى أحد السحرة لـــيقوم باتخـــاذ الإجراءات اللازمة فى هذا الشأن ولتحقيق هذه الغاية يحضر الساحر بيضة، ثم يقوم بكتابة بعض الحروف السحرية التى يفترض أنها تكون اسم ملك القبور The King of tombs علـــى قشرتها ويشترط لنجاح هذه العملية أن تكون الدجاجة قـــد باضت هذه البيضة فى يوم الأربعاء وبعد ذلك يأخذ الساحر البيضة، ويدفنها فى أحد القبور، ويجب ألا يعرف هذا القبر، أى إنسان، لأى سبب كان.

وإذا كان الرجل الذى يرغب فى طلاق زوجته من المسيحيين، فإنه يلزم أن

توضع البيضة فى قبر أحد المسيحيين، أما إذا كان مسلمًا، فإنه يتعين على الساحر أن يضعها فى قبر أحد المسلمين.

ولابد أن تبقى البيضة دائمًا فى المكان الذى وضعها فيه الساحر. وإذا اكتشف أحد الناس ذلك المخبأ السرى للبيضة، ثم قام بنقلها من مكانها، فإن السحر يفقد مفعوله، وتحب المرأة زوجها ثانية.

أما عن السحر الخاص بالانتقام، فتقول "بلاكمان" أنه عندما يرغب أحد الرجال فى أن يأخذ بثأره من شخص آخر يعتقد أنه ألحق به ضررًا بالغًا فإنه يلجأ إلى أحد السحرة، ويطلب منه أن يصنع له شكلاً من الشمع أو من الفخار يفترض أنه يمثل الرجل الذى يريد إلحاق الأذى به. وبعد أن يصنع الساحر الشكل المطلوب من الشمع، فإنه يقوم بالقائه فى النار، وهو ينطق ببعض من الرقى، أما إذا كان الشكل المطلوب مصنوعًا من الفخار، فإن الساحر يقوم بالقائه فى الماء بدلاً من النار. وحيث إن الأشكال تتلاشى فى النار أو فى الماء، فإن الرجل المطلوب الثأر منه يموت تدريجيًا.

وتذكر "بلاكمان" أن الأهالى نادرًا ما يلجأون إلى اتخاذ مثل هذا الإجراء المتطرف، كما أنه من العسير جدًا على المرء أن يجد أحدًا من السحرة يقبل القيام بتنفيذ هذه المهمة مهما أجزل له العطاء، لأن الشخص الذى يعمل له مثل هذا السحر لا علاج له، وهو محكوم عليه بالموت نظرًا لأن الأشكال (سواء المصنوعة من الشمع أو من الفخار) لا يمكن إنقاذها من النار أو من الماء [1].

وفى سنة 1946 كتب الطبيب "محمد فخر الدين السبكى" كتاباً قيماً بعنوان "مذكرات طبيب فى الأرياف" ذكر فيه كثيرًا عن عادات الريفيين فى مصر، وبعض الظواهر الاجتماعية المنتشرة بينهم، وهو حين يتحدث عن الدجالين الموجودين فى القرية المصرية، وهم الذين يشاركون الأطباء فى مهنتهم، ويصفون

(1) انظر بلاكمان، المصدر نفسه، الفصل الحادى عشر.

الأدويـــة لكـــل داء، يذكر ضمنهم طائفة تستعمل السحر فى العلاج وطائفة أخرى تعالج بالأحجبة والبخور [1].

ويذكــر الكاتب أن أسماء الأمراض فى الأرياف تطلق عادة على أسبابها، فمـــثلاً إذا حسد شخص طفلاً وأصيب هذا الطفل بنزلة معوية، فلا يقال أن عنده (إســـهالاً)، بل يقولون أنه (محسود) أو عنده (نفس)، وإذا أصيبت امرأة بنزيف واعـــتقد أهلهـــا أن ذلـــك نتـــيجة سحر، فإنهم لا يقولون أن عندها نزيفًا بل إنه (معمول لها عمل) وهكذا ويطلق اسم الحسد، أو النفس، أو العين على عدد كبير مـــن الأمراض تكون لها ظروف خاصة تستوجب الاعتقاد بأن سببها هو الحسد، وتشـــمل أغلـــب أمـــراض الأطفـــال كالهزال، والضعف العام، والتهابات الجلد، والأمراض التى تظهر على الشخص فى ظروف خاصة.

وهناك مرض يطلقون عليه الأسياد أو العفاريت، وهذا يشمل الحالات التى تكـــون أعراضـــها غريبة وغير مفهومة، وأمثلة ذلك الأمراض العصبية، والحمى الروماتيزمية، وحالات الاستسقاء.

ويدخـــل فى باب الأسياد والعفاريت، السحر أو العمل، ومن الأمراض التى تنسب إلى السحر، النزيف عند النساء، والضعف التناسلى، عند الرجال. ولا تكاد تخلو قرية من القرى من وجود شخص يدعى العلم بالسحر ويدعى لنفسه القدرة على حل كل إشكال بقوة سحره [2].

وفى قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، الذى ألفه أحمد أمين فى سنة 1953، وردت كثيرًا من العادات والتقاليد والتعابير المتصلة بالسحر والاعتقاد فـــيه: مـــنها الأحجبة، والاستخارة، والزايرجة، وضرب الرمل، وضرب الودع، والطالع، وفتح الكتاب، وقياس الأثر والربط [3].

(1) انظر محمد فخر الدين السبكى، مذكرات طبيب فى الأرياف، ص 43.
(2) المصدر نفسه، ص 50.
(3) أحمد أمين، المصدر السابق.

وقـــد تناولت "**فوزية دياب**" فى كتابها "القيم والعادات الاجتماعية" مع بحث ميدانى لبعض العادات الاجتماعية ظاهرة السحر الذى أعيد طبعه فى مكتبة الأسرة ســنة 2003، فـــى مواضع عديدة من كتابها الشامل، وكذلك العادات الاجتماعية **المــتعلقة بهـــا وقد ذكرت على سبيل المثال أنه من الملاحظ، فى كثير من قرى الوجـــه القــبلى والــبحرى، أن الأهالى يعتقدون اعتقادًا قويًا فى بعض إجراءات ســحرية يلجـــأ إليها حساد العريس أو حساد العروس أيام زفافهما، لكى يفسدوا حياتهما الزوجية .. فعندما يفشل العريس فى الاتصال الجنسى بعروسه لأى أمر مـــن الأمـــور يفسر ذلك بأن أحد السحرة، بناء على طلب أحد منافسى العريس الذيـــن يكرهونه، قد قام بربطه .. وحينئذ يسعى العريس إلى الشخص المعروف بقدرتـــه على فك الربط، ويتوسل إليه أن يفك الربط ويحله .. ويفك الربط عادة مقابل أجر يتراوح بين عشرين قرشًا ومائتى قرش تبعًا لمقدرة الشخص المربوط ودرجة تلهفه على التخلص من مشكلته.**

وتضـــيف "المؤلفـــة" أنه لو تعمقنا فى مواقف الالتجاء إلى السحر والعمل والـــتحويطات التى يقوم بها الدجالون لوجدنا أنهم يخلطون دائمًا السحر بالدين، لكـــى يضـــمنوا سهولة التأثير على الناس، ولكى ينجحوا فى ترويج بضاعتهم، وبالتالى يصيبون من وراء ذلك الكسب الكثير.

فالدين عند الريفيين من الأمور الجوهرية والدوافع الأساسية ذات القيمة العليا فـــى أعمـــالهم، وفـــى حياتهم بصفة عامة وأى شىء يقترن به، ويصطبغ بصبغته، يكتســـب قـــيمة كبـــيرة وقدسية قوية، ويصبح ذات تأثير فعال نافذ فى النفوس، وقد اســـتغل المشـــعوذون والدجالون، هذه الحقيقة فدرجوا على تلوين أعمالهم السحرية باللون الدينى، ومزجها مزجًا بالعقائد الدينية، ولذلك لا نجد حجابًا أو عملاً أو سحرًا يكـــاد يخلـــو من الآيات القرآنية، ولذلك أيضًا نجد، أن هذه الأعمال السحرية، وتلك الأحجبة، والتحويطات، بما احتوت عليه "من كلام الله" تؤدى وظيفة هامة فى العمل علـــى راحـــة الشخص النفسية، والتغلب على عجزه وإخفافه، بما توفره له من آمال

عاجلة أو آجلة يوهم بتحقيقها، ويوحى إلهي بأنها لا محالة واقعة.

ويمكننا أن نستخلص من كل هذا أنه على الرغم من شدة الشعور الدينى عند الريفيين، وقوة إيمانهم بالعقائد الدينية، فإن كثيرًا [1] منهم على وعى ضعيف بحقيقة تعاليم الدين وكيفية تطبيقها عمليًا فى الحياة الواقعية.

ويؤيد "محمد الجوهرى" رأى "فوزية دياب" فى كتابه "علم الفولكور" الجزء الثانى: دراسة المعتقدات الشعبية الصادرة فى سنة 1980 إذ يقول فيه "ومن الطبيعى أنه كلما ازداد حظ الإنسان من الثقافة الدينية الحقيقية، تردد فى التسليم بتلك المعتقدات (ومنها السحر) [2].

وفى هذا الكتاب القيم، يعرض مؤلفه لدراسة المعتقدات والممارسة السحرية، ويصنف السحر إلى سحر رسمى وسحر شعبى، ويتناول أغراض الممارسة السحرية، ثم يحلل بعض تقارير الدراسات الميدانية على بعض المشتغلين بالسحر فى الريف المصرى، وينهى الجزء المخصص لدراسة المعتقدات والممارسة السحرية بدليل مختصر للدراسة الميدانية للسحر [3].

تحليل وخلاصة:

1- يلاحظ أن أغلب **المعتقدات السحرية** التى تعرض لها الكتاب المختلفون، الذين تناولوا ظاهرة السحر وعلاقتها بسوسيولوجيا المجتمع المصرى، **تعد إرثاً مصريًا مشتركًا تستمد جذورها من مصادر قديمة، أقدم من الدين نفسه (سواء اليهودى، أو المسيحى أو الإسلامى) وأسبق عليه فى الوجود**، وأنه إذا بدا لنا أن بعض هذه المعتقدات يتفق فى بعض جزئياته العارضة – مع

(1) فوزية دياب، المصدر السابق، ص 303.
(2) محمد الجوهرى، المصدر السابق، ص 28.
(3) انظر المصدر نفسه، ص 28.

مبادئ الدين، فإن هذا الاتفاق هو ثمرة عملية تكيف أو مواءمة متعمدة لجأت إليها العقلية الشعبية كى تضمن للمعتقد الشعبى (ذى الأصل السابق على الدين) البقاء وسط بيئة الدين الجديد ويضمن له إقرار رجال هذا الدين ولكنه فى حقيقته وجوهره ما زال تعبيرًا عن عنصر أقدم فى شخصية هذا الشعب [1].

2- يتبين من دراسة ظاهرة السحر، والمعتقدات السحرية، فى **المجتمع المصرى** أن مصر تمتاز بظاهرتين هامتين هما **القدم والاستمرار**، فالمجتمع الريفى على سبيل المثال، تابع حياته فى القرية، وعمله فى الحقل والزراعة دون انقطاع خلال فترة تقارب السبعة آلاف سنة، أى منذ بداية العصر الحجرى، إلى العصر الحديث، ولذلك فإن نظمه واستقرت وتبلورت على مر الزمن" [2].

وبالمثل فإن دراسة تاريخنا الاجتماعى والثقافى تتيح لنا أن نميز بين العناصر الثقافية الأصيلة، والعناصر الثقافية الدخيلة. وإذا كان الأمر كذلك، وكانت ظاهرة السحر، والمعتقدات السحرية فى مجتمعنا المصرى من العناصر الثقافية الباقية من المجتمع المصدرى القديم، فلابد لنا أن نقارن بين ظروف النشأة الطبيعية الأصيلة التى أوجدت الظاهرة، موضوع دراستنا، وبين الظروف القائمة الآن لوجودها وهذا ما سنتناوله فى الجزء التالى من دراستنا النظرية، ثم فى البحث الميدانى [3].

دور ظاهرة السحر فى المجتمع المصرى

أهداف الممارسة السحرية هى محور اهتمام معظم الكتابات التى تناولت ظاهرة السحر [4]، على أساس أن معرفة هذه الأهداف، يلقى الضوء الأكبر على

(1) انظر المصدر نفسه، ص 28.
(2) انظر سيد عويس، الإبداع الثقافى على الطريقة المصرية، ص 14.
(3) انظر الجزء الخاص بأهداف الممارسة السحرية، والبحث الميدانى.
(4) على سبيل المثال نجد العالم الفرنسى "أدمون دوتيه" وقد اهتم اهتمامًا شديدًا بهذا الموضوع

الـــدور الـــذى تلعبه ظاهرة السحر فى المجتمع، والأهمية التى ينسبها الناس إلى المعتقد السحرى فى حياتهم اليومية.

وسنتناول فى هذا الجزء المتعلق بظاهرة السحر والمجتمع المصرى **أهداف الممارسة السحرية من جانب المشتغلين بالسحر من جهة، ومن جانب المترددين علـــيهم من أفراد المجتمع من جهة أخرى، وذلك من وجهة نظر تحليلية نقدية، ذلك أننا سنتناولها فى واقعها الاجتماعى، من خلال البحث الميدانى الذى قمنا به فى مدينة القاهرة، وذلك فى الجزء المخصص للبحث الميدانى من الكتاب.**

أولاً: أهداف الممارسة السحرية بالنسبة للمشتغلين بالسحر

1- السعى وراء المال:

يقـــوم بعـــض الأفراد بالاشتغال بالسحر طلبًا للمال، فهم يستغلون مواهبهم ومهـــارتهم فى الحصول على المال عن طريق إغراء بعض الأفراد بوجود قوى غـــير مـــنظورة فى حل مشكلاتهم وعن طريق إقناعهم بمدى قدرتهم هم على حل مشكلاتهم وإجابة حاجاتهم، ويشجعهم على ذلك أن هذه الأعمال تحقق دخلاً لا بأس به سواء كان دخلاً ماديًا أو عينيًا.

ويعد الحصول على المال هدفًا لكثير من السحرة منذ القدم.

2- السعى وراء المكانة :

الســـعى وراء المكانة عامل من العوامل التى تدفع بعض الأفراد للاشتغال

=

فى مؤلفه الضخم عن السحر والدين فى شمال أفريقيا. فقد أورد فيه طائفة عريضة فى الموضوعات السحرية التى جمعها فى ملاحظاته الميدانية ومن المؤلفات السحرية المنتشرة هناك وأكثرها معروف فى الشرق العربى انظر:

- Edmund Doutté: Magie et Religion dans L'Afrique du Nord, Alger, 1909. Ch.5.

بالسحر. فبعض الناس يخشون تلك الفئة ليس عن حب واحترام بقدر ما هو خوف منهم واتقاء لأذاهم. حيث يظنون أنهم سوف يتعرضون لضرر القوى الغيبية التى يسخرها هؤلاء السحرة.

3- توريث امتهان السحر :

يقـــوم البعض بالاشتغال بالسحر بالوراثة، ففى الأغلب يسلم الأب ابنه هذه المهـــنة لأن بعض الناس لديهم اعتقاد بأن هذه المقدرة يمكن توريثها من الأب إلى الابـــن، كذلك فإن الابن تكون له دراية كبيرة بالأعمال السحرية عندما يكون والده ساحرًا، ويساعد على ذلك أن كثيرًا من المشتغلين بالسحر، يحرصون على توريث أبـــنائهم هـــذه المهنة، لما تدره عليهم من أرباح وفيرة أغلب الأحيان، وما تضفيه عليهم أيضًا من مكانة مرموقة (1).

ثانيًا : أهداف الممارسة السحرية بالنسبة للمترددين على السحرة

تـــتركز أهداف الممارسة السحرية بالنسبة للمترددين على السحرة، فى إشباع حاجـــاتهم needs ســـواء كانت هذه الحاجات، مادية، أو دينية روحية بعبارة أخرى تستهدف الممارسة السحرية تحقيق رغبات الناس التقليدية المعروفة وأهمها ما يلى:

1- شفاء الأمراض :

فـــى مقدمة أهداف الممارسة السحرية يأتى موضوع شفاء الأمراض بأنواعها المختلفة. وهناك بعض الوصفات والأعمال السحرية التى تنفع علاج أى مرض وكل مرض. أما إذا أردنا التخصيص عن أسماء كل مرض على حدة، فتأتى فى المقدمة أمـــراض العيون. ثم تأتى بعدها أمراض الحمى بأنواعها. ويأتى بعد ذلك الأمراض

---

(1) انظر نبيل صبحى حنا، المصدر السابق، ص 14، 15، وانظر أيضًا الجزء الخاص ببحثنا الميدانى.

التالية: الصداع، وأمراض الأسنان، والصرع، والكسور، و"شفاء الملسوع" بسبب لدغ العقارب وعضة الثعبان وغيرهما من الزواحف السامة، وكذلك تسهيل عملية الوضع، وشفاء "الكبسة" (1) وإدرار اللبن، وإيقاف النزيف بالنسبة للمرأة.

ومن أهم أسباب تردد الناس على المشتغلين بالسحر، علاج أمراض الأطفال، وعلاج مشكلات تربية الأطفال كسوء الخلق أو الانحرافات، أو البكاء الدائم، وحماية الجنين فى بطن أمه، وعلاج الرضيع الذى لا يتمكن من الرضاعة بشكل سليم، وعلاج بكاء الطفل، وحماية الطفل من أم الصبيان (أو القرنية)، وعلاج تأخر الكلام عند الطفل، وعلاج الاضطرابات والمضاعفات التى تحدث بعد ختان الطفل (2).

ومن المترددين من يذهب لعلاج أمراض نفسية (بلغة العلم)، لكن لها فى لغة العوام قاموسًا خاصًا وأسماء شعبية خاصة فهناك "الزهقان، وضيق الصدر"، وهناك من أصابته (نفس)، أو (عين) جعلته حزينًا مكتئبًا على الدوام، وهناك من يحلم أحلامًا مخيفة دومًا، وهناك "الموسوس" و"الحامى" سريع الغضب، وهناك أيضًا المؤرق الذى لا يستطيع النوم.

ويطلب الأول من الوصفات ما تستهدف "إدخال السرور على الحزين" أما الثانى فيطلب وصفة للتخلص من الأحلام المزعجة المخيفة، ويطلب الثالث البرء من الوسواس، ويريد الرابع وصفة لإذهاب الغضب "كالمسح على رأس الغضبان لإزالة غضبه" (3).

---

(1) انظر ما قبل ص

(2) هناك طائفة لا حصر لها من الأمراض لا يتسع لها المقام هنا. وهناك وصفات تستهدف الإضافة بأمراض مختلفة. ونجد نماذج لذلك فى مواقع متفرقة من كتب السحر "الرسمى" فى مؤلفات البونى، والسيوطى، وابن الحاج وابن الميلق، "جواب من استفهم من اسم الله الأعظم"، مخطوطة "دار الكتب المصرية"، القاهرة، تحت رقم 23180، س 56ب، ص 57.

(3) انظر على سبيل المثال، شمس المعارف الكبرى، الجزء الثانى، ص 157، 189، 200.

وجديــر بالذكــر أن من المترددين من يذهب للانتقام من غريمه باستخدام وصفة تجعله يصاب بمرض معين.

2- كشف الغيب أو الإخبار بالمستقبل:

مــن أهم ما يرغب المترددين على المشتغلين بالسحر فى معرفته هو طلب الإخبار بمعلومية معينة حول المستقبل، أو الحصول على توجيه إلهى أثناء النوم. وهذا لا يوجد بالنسبة للمعتقدات السحرية عند الشعب المصرى فحسب بل لا يوجد فى المعتقدات السحرية عند كافة الشعوب (1).

ويعد هذا الهدف وهو معرفة الغيب، مطلبًا أساسيًا، لدى المترددين والدوافع إلــى معــرفة الغيــب كثيرة عندهم، فهناك دافع الخوف .. الخوف من المجهول، والخوف من ضياع النعم، أو فقدان الحب أو المال، أو الولد. وهناك دوافع العجز فحين يعجز شخص عن معرفة من سرق ماله مثلاً، أو تعجز أم عن معرفة مكان ولدها التائه فإنهما قد يلجآن إلى المشتغلين بالسحر، وبخاصة حين يفشلان فى ذلك باللجوء إلى الشرطة.

3- مسائل الحب والزواج :

مــن أبرز أهداف الممارسة السحرية، التى يذهب المترددين من أجلها إلى المشتغلين بالسحر، مسائل الحب والزواج وما يتصل بهما من هموم ومشكلات.

فتذهب البائرة التى تأخر زواجها، وتذهب من تزوجت ووجدت مشاكل فى علاقتها بزوجها، وتذهب المرأة العاقر لتتمكن من الحمل وإنسال الأطفال، ويذهب الرجل لتكون زوجته أكثر طاعة له، وتذهب الزوجة لكى يكون زوجها أكثر رحمة بهــا وشــفقة عليها. ويذكر البونى عن أحد الوصفات "من كتبه وسقاه لزوجته، لم

---

(1) انظر محمد الجوهرى، علم الفولكلور، المصدر السابق، ص 219، 320.

تفعل ما يكرهه بعد ذلك" [1].

أمـــا مـــا يتعلق بمسائل الحب، فهى كثيرة ومتنوعة، فهناك من يذهب إلى المشـــتغل بالســـحر لإيقاع فتاة معينة فى غرامه، ونجد من الفتيات أو النساء من يذهبـــن لإيقاع رجل معين فى غرامهن، وهناك من يذهب للخلاص من حب يشقيه ويتعسه.

ولا يكاد يخلو كتاب أو مخطوط من كتب السحر أو كتب المعتقدات الشعبية من الاهتمام بمسائل الحب والزواج كمحور أساسى تدور حوله الممارسة السحرية وتطلـــق مـــثل هـــذه الكتب على أنواع العواطف التى تتناولها، الحب، والوجدان، والعشـــق، والوصـــال، والتهييج [2] ... إلخ. ونجد فيها وصفات مختلفة تبعًا لنوع الطلب أو المشكلة.

ومـــن الوصـــفات التى يصفونها لارتباط الزوجين بالحب حتى الممات، أن يجمـــع كـــل مـــن الطرفين يوم الزفاف مباشرة أظافر يديه ورجليه ويخلط جميع الأظافر وعددها أربعين ببعضها، وتوضع فى لفافة يخيط عليها ومعها قطعة فضية صـــغيرة وتدفـــن فـــى المـــنزل، فيستحيل على الاثنين فراق بعضهما مهما كانت الأسباب [3] "كما تدعى الوصفة".

أمـــا مـــن يلتمس خلاصًا من حب يؤرقه ويشقيه يورد البونى الوصفة "لمن أضـــره العشـــق والمحـــبة والهيام إلى شخص وخشى الفضيحة بين الناس أو بين

---

(1) البونى، منبع أصول الحكمة، ص 89.
(2) انظر على سبيل المثال كتابى:
- عبدالفتاح الطوخى، السحر العجيب فى جلب الحبيب، مكتبة القاهرة، جزء أول.
- عبدالفتاح الطوخى، تسخير الشياطين فى وصال العاشقين، مكتبة الجمهورية العربية، القاهرة.
(3) محمد جعفر، المصدر السابق، ص 109.

أهله"(1).

ويفسر المعتقد السحرى الحب الشديد، بأنه يرجع إلى تأثير عمل سحرى معين بالمحبة، ولا يعالج هذا الحب والهيام إلا عن طريق فك العمل. ولعل ذلك هو السبب فى تردد أهل الفتاة التى تهيم حبًّا بشخص ما على المشتغل بالسحر كى يفك لها العمل المعمول لها بمحبة هذا الشخص، حرصًا على شرف الأسرة وسمعة الفتاة (2).

ويرتبط بمسائل الحب والزواج، وصفات تهدف إلى شل قدرة الرجل الجنسية (الربط) أو جعل المرأة غير قادرة على الحمل، وكذلك وصفات لتقوية الجنس عند الرجل، وتمكينه من أداء واجباته فى هذا الصدد بكفاءة عالية. وهناك وصفات لضمان إخلاص المرأة لزوجها، وكذلك إخلاص الرجل لزوجته، وكذلك وصفات تستهدف معرفة الحقيقة إذا ما شك الرجل فى عفة زوجته أو ابنته أو أى امرأة من أفراد أسرته (3).

4- الحفظ من الآثار الضارة للسحر :

يذهب معظم المترددين على المشتغلين بالسحر لأسباب تتعلق بحفظهم من الآثار الضارة للسحر، أو لإبطال مفعول أى عمل سحرى ضار يوجه إليهم إذ إنهم يعتقدون أنه ما دامت لديهم القدرة على استخدام السحر فى إيقاء الضرر بالآخرين، فلابد أن الآخرين لديهم فى الوقت نفسه، وبالدرجة نفسها القدرة على إيقاع الضرر بهم، لذلك فإنه يجب عليهم التحوط من الأعمال السحرية الضارة الموجهة إليهم.

ويذهب المترددون هنا للحصول على وصفات تستهدف شفاء الرجل المربوط، أي الذى فقد قدرته الجنسية بسبب عمل سحرى أجراه له عدوه، أو

(1) البونى. شمس المعارف، الجزء الثانى، ص 211.

(2) انظر محمد الجوهرى، علم الفلوكلور، المصدر السابق، ص 224.

(3) انظر محمد الجوهرى، علم الفولكلور، المصدر السابق، ص 224، 225.

لإخراج تأثير عين الحاسد من الجسد، كما يذهبون لعمل تحويطة (حجاب للوقاية) تحرزًا من أى عمل سحرى يقوم به أحد ضدهم [1].

5- الانتقام من الظالم :

قد يلجأ الضعيف المظلوم إلى المشتغل بالسحر الذى يعتقد أن فى استطاعته تسخير الجان فى الانتقام، فيصاب عدوه بداء عضال قد يصل إلى حد الخبل، أو ينكب فى أطفاله أو يفقد حب زوجته، أو يمرض بالعنة [2].

وهناك وصفات معينة تهدف إلى هلاك العدو بعامة، سواء كان عدوًا شخصيًّا أو سياسيًّا، ولتدمير الظالم، أو إشعال النار فى بيته. وتوجد وصفات أخرى أكثر تحديدًا تهدف إلى إصابة الظالم بالأمراض، أو تعذيبه "بإبطال نومه" أو "بتسليط الهموم والأحزان عليه".

ومن العقوبات الأخرى التى تتردد فى أشهر كتب السحر - ومنها كتاب "منبع أصول الحكمة" للبونى - ويراد توقيعها على الظالم: رجم داره، وإخراجه من داره أو من بلده، وتسليط الصداع عليه ... إلخ [3].

6- أهداف متنوعة :

ويذهب بعض المترددين على المشتغلين بالسحر لأهداف أخرى متنوعة، فالتاجر يذهب سائلاً عن وصفة لترويج التجارة، وتيسير البيع والشراء [4]. وهناك من يذهب لأهداف تتعلق بإشباع الحاجات اليومية، ومختلف شئون الحياة. فيذهب

(1) انظر المصدر نفسه، ص 216.
(2) حسن الساعاتى، علم الاجتماع القانونى، ص 195.
(3) انظر محمد الجوهرى، المصدر السابق، ص 228.
(4) انظر البونى، منبع أصول الحكمة، ص 68، 80.
وانظر البونى، شمس المعارف، ج2، ص 198.

الطالـــب طالبًا وصفة لمنع النسيان أثناء المذاكرة أو تسهيل الحفظ عن ظهر قلب، ويذهب المدين باحثًا عن وصفة لقضاء الدين. وتذهب المرأة أو الرجل للسؤال عن وصفة لرؤية الحبيب أو الصديق فى المنام حيًّا كان أو ميتًا.

وجدير بالذكر أن هناك نفر غير قليل من المترددين على المشتغلين بالسحر يذهبون بهدف أن يساعدهم هؤلاء المشتغلون فى اتخاذ القرارات الهامة فى حياتهم كاختـــيار خاطـــب معين لابنتهم، وعدم قبولهم لآخر، أو آخرين، حين يكون هناك أكـــثر مـــن مـــتقدم، أو كقرار الدخول فى عمل تجارى كبير، ومعرفة ما إذا كان سيكتب له النجاح أم لا، وكقرار السفر للعلاج أو العمل، وهل سيتوفر له التوفيق أم لا، إلى غير ذلك من القرارات الهامة والمصيرية فى حياة كل إنسان [1].

---

(1) انظر ما بعد.

2

السحر والمجتمع

البحث الميدانى

الفصل السادس

ظاهرة السحر
فى مدينة القاهرة

خطة البحث :

تشـــتمل خطـــة بحث "ظاهرة السحر فى مدينة القاهرة" على بيان الهدف منه ومجاله، ومنهجه، وخطواته المختلفة.

أولاً: هدف البحث:

الهدف من البحث هو التعرف على ظاهرة، السحر كما توجد، وتمارس، فى مدينة القاهرة، باعتبارها ظاهرة اجتماعية ذات تركيب وخصائص.

ويكشــف هــذا البحــث عــن المشتغلين بالسحر فى مدينة القاهرة ، وعن المترددين من الأفراد على هؤلاء المشتغلين. كما أنه يبين أحوال المشتغلين بالسحر، وكــذا المترددـين عليهم من الناحية المدنية، والتعليمية، والمهنية، ومدى ارتباطها بممارسة السحر من ناحية، أو التردد على المشتغلين بها من ناحية أخرى.

كمــا يــزودنا البحــث ببيانات توضح لنا أعمار المشتغلين بالسحر، وأعمار المترددين عليهم ، ونوعهم ، وديانتهم، ومناطق، نشأتهم، وإقامتهم فى القاهرة. وفيما يخــص المشتغلين شمل البحث ببيانات عن توزيعهم فى القاهرة وفق القسم الإدارى، وعن توزيعهم وفق تخصصاتهم، ووفق دخلهم، كما تحرى عن مدى شهرتهم والدافع الأساسى لاشتغالهم بهذه المهنة، ومدى اقتناعهم بفائدتها.

أمــا بالنسبة للمترددين على المشتغلين بالسحر، فقد تضمن البحث بيانات عن توزيعهــم وفق النوع ، وفئات السن، والديانة، ومستوى التعليم، والحالة الاجتماعية، ويحتوى البحث أيضًا على بيانات عن عدد مرات التردد والدوافع إليه، ومدى شعور المتردد بالفائدة من تردده.

ثانياً: مجال البحث :

ينقســم مجــال البحــث الميدانى للسحر فى مدينة القاهرة الى ثلاثة أقسام: المجال الجغرافى، والمجال البشرى، والمجال الزمنى.

(أ) المجال الجغرافى

المجال الجغرافى لهذا البحث هو **مدينة القاهرة**، وذلك لما يأتى:

1- كـــون القاهرة العاصمة من جهة، وكونها أكثر مدن الجمهورية سكانًا، ونقصد بالقاهـــرة مـــنطقة القاهـــرة الإدارية (أى الأقسام الإدارية التى تكون محافظة القاهرة).

2- تمـــيز القاهـــرة العاصمة بالنسبة للمدن الأخرى، فيما عدا مدينة الإسكندرية، بمستوى عال من الوعى ، والتعليم، والأمر الذى تظهره إحصاءات التعداد العام للسكان.

3- حصـــر البحـــث فـــى نطاق محدد يساعد على التعمق فى الدراسة، والإحاطة بموضوعها، فلو كان قد شمل مدنا أخرى أو تطرق إلى الريف لاستحال إنجازه على الباحث المفرد.

(ب) المجال البشرى

لمـــا كان السحر عملية اجتماعية تتضمن فئتين: المشتغلين به، والمترددين من أجله، لذلك كان المجال البشرى للبحث يضم أبرز المشتغلين بالسحر فى مدينة القاهـــرة (كمـــنطقة إدارية) وعددهم 139 مشتغلاً بالسحر، موزعين على الأقسام الإدارية المختلفة، وكل المترددين عليهم إبان ثلاثة أشهر فى ربيع وصيف 1978 (مارس، إبريل، مايو) من ذكور وإناث من أعمارهم مختلفة، وقد بلغ عددهم 704 مترددًا ومترددة.

(ج) المجال الزمنى

اســـتغرق البحـــث حوالى سنة، ما بين إعداده وكتابة التقرير النهائى عنه، وذلـــك فى مجالات زمنية فرعية، فقد استغرق إعداد صحائف الاستبيان للمشتغلين

والمترددين، وصياغة الأسئلة وتجريبها وتعديلها أكثر من مرة وحتى وصلت إلى صورتها النهائية الواردة فى الملحق ثلاثة أشهر بدأت فى ديسمبر 1977 أى آخر فبراير 1978 وبعدها طبقت هذه الصحائف فى شهر يونيو، ويوليو، وأغسطس ، وفـــى ســـبتمبر، وأكتوبر، ونوفمبر، وديسمبر ثم تحليل ابيانات وتفسيرها وكتابة اتقرير النهائى للبحث.

ثالثًا: منهج البحث :

منهج البحث هو **المنهج الوصفى**، ونستخدمه بقصد الكشف عن ظاهرة السحر فى مدينة عاصمية (METROPOLITAN) هى مدينة القاهرة، والتعرف على أهم خصائص من تضمهم هذه الظاهرة سواء من المشتغلين بالسحر، أو من المترددين عليهم.

أما طريقة البحث فكانت **المسح الاجتماعى** فى مدينة القاهرة، على كل من المشـــتغلين والمترددين، وكانت وسيلة جمع البيانات هى الاستبار (interview) المقيد باستبيان (SCHEDULE).

وكانت أداتا جمع البيانات والمعلومات **صحيفتا استبيان** وجهت أحدهما أى المشتغلين بالسحر والأخرى إلى المترددين عليهم.

وقد صمم هذان الاستبيانان فى هذا البحث على أساس أن تكون الأسئلة فى كـــل منهما من النوع المقفل، ويتكون الاستبيان الخاص بالمشتغلين من 21 سؤالاً تكشف عما يأتى بالنسبة لكل مشتغل.

(أ) بيانات عامة و شخصية وتشمل :

1- محل الميلاد.

2- محل الإقامة.

3- المستوى التعليمى.

4- الحالة المدنية.

5- الديانة.

(ب) بيانات عن المهنة وممارستها، وتشمل:

1- التخصص.

2- الدخل.

3- درجة الشهرة.

4- الكتب والأشياء المستخدمة فيها.

5- الهواية والاحتراف.

6- مدى اعتقاد المشتغل فى نفع مهنته.

أمـــا الاستبيان الخاص بالمترددين فيشمل 23 سؤالاً تكشف عما يلى بالنسبة لكل متردد:

1- بيانات عامة أو شخصية.

2- مستوى التعليم.

3- المهنة.

4- الدخل.

5- المصادر التى عرف عن طريقها المشتغل.

6- عدد مرات التردد.

7- مدى شعور المتردد بالفائدة من تردده.

8- التجاور المكانى بالنسبة للمتردد.

9- دوافع التردد.

الفصل السابع

المشتغلون بالسحر

مقدمـــة

يحـــتوى هذا الفصل على البيانات المتعلقة بالسحر فى مدينة القاهرة ، والذين أجرى عليهم المسح الاجتماعى، وتشمل هذه البيانات توزيع المشتغلين حسب النوع. والســـن، ومحـــل المـــيلاد، والأقسام الإدارية والديانة، وحسب المستوى التعليمى، والحالـــة الاجتماعـــية.كما تحتوى بيانات هذا الفصل على توزيع المشتغلين بحسب التخصص، والدخل ودرجة الشهرة، والكتب والوسائل المستخدمة فى المهنة، ومدى تفرغ المشتغلين لمزاولة المهنة، وأثر الوراثة والهواية فى الاشتغال بالمهنة.

أولاً: بيانات أساسية:

(أ) نوع المشتغلين

يكشـــف تحليل البيانات الخاصة بنوع المشتغلين بالسحر الذين شملهم المسح وعددهـــم 139. عن أن حوالى نصفهم 49.64 ٪ من الذكور، وأكثر من النصف بنسبة قليلة جدًا من الإناث 50.36 ٪ أى أن هناك تعادل تقريبًا، بالنسبة للمشتغلين بالسحر من الذكور والإناث وذلك كما يتضح من الجدول رقم (1).

ويـــدل هـــذا علـــى أن الاشتغال بالسحر، عمل يمكن أن يقوم به الذكر، أو الأنثى على السواء وأن التخصص حسب النوع ليس له أهمية هنا.

جدول (1)

توزيع المشتغلين حسب النوع

النوع	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
ذكر	69	٪ 49.64
أنثى	70	٪ 50.36
المجموع	139	٪ 100.00

(ب) أعمار المشتغلين :

يبيـــن تحليل البيانات الخاصة بأعمار المشتغلين بالسحر الذين شملهم المسح عـــن أن الغالبـــية العظمـــى منهم تقع أعمارهم بين 40 وأكثر من 50 سنة بنسبة 78.45٪ ويلـــى ذلك مجموعة من المشتغلين التى تتراوح أعمارهم بين 30 ، 40 ســـنة وتمـــثل 17.96 ٪ مـــن المجموع الكلى للمشتغلين. أما بالنسبة لفئات السن الصغيرة من 20 إلى 30 سنة فإن عدد المشتغلين يتناقص بشكل واضح فيصل إلى 3.59 ٪ وذلك كما يتبين من الجدول رقم (2).

ويمكـــن أن نعزو وقوع أغلبية المشتغلين فى الفئات العمرية الكبيرة إلى أن هـــذه المهنة تتطلب التمرس والخبرة. كما أن كبر السن يضفى على المشتغل بها الهيـــبة، ويغـــرى على الاعتقاد فيما يقول وتصديقه، وبخاصة أن من قيم مجتمعنا المصرى احترام كبار السن واعتبارهم "بركة" وتقدير ما يقولون وما يفعلون.

وتـــتفق هـــذه النتـــيجة ما توصل إليه محمد الجوهرى فى تقارير دراساته الميدانـــية فى محافظات الشرقية، والدقهلية، والقاهرة، وأسيوط، لبعض المشتغلين بالســـحر فـــى الريف المصرى إذ يذكر ما يلى "جدير بالملاحظة أن كافة السحرة الذيـــن قابلناهم لم يبدأوا هذه المهنة فى سن مبكرة فالقاعدة الغالبة أن يبدأ الساحر الكـــتابة فى مطلع الأربعين من العمر لأنه قبل هذه السن لا يكون قد نضج بعد فى نظـــر أهـــل وبـــنى قريته والاستثناء، الوحيد من قاعدة العمر أن "تلبس" الأرواح شخصًا معينًا وتدفعه دفعًا إلى هذه المهنة، وفى هذه الحالة لا يلعب عامل السن أى دور فى الموضوع".[1]

---

(1) محمد الجوهرى، علم الفولكلور، الجزء الثانى، المصدر السابق ص 356.

جدول (2)

توزيع المشتغلين حسب فئات السن

فئات السن	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
أقل من 20	0	0
من 20 – 30	5	3.59
من 30 – 40	25	17.96
من 40 – 50	54	38.87
أكثر من 50	55	39.58
المجموع	139	٪ 100.00

(ج) محل ميلاد المشتغلين:

من تحليل البيانات الخاصة بمحل ميلاد المشتغلين بالسحر فى القاهرة تبين أن ثلث هؤلاء، المشتغلين تقريبًا من القاهرة أصلاً بنسبة 28.00 ٪ منهم، والباقى موزعيــن على المحافظات القريبة من القاهرة بنسب أقل كثيرًا فمن القليوبية نسبة 12.22 ٪ مــن مجموعهــم، ومن الشرقية 7.91 ٪ ومن الدقهلية 5.04 ٪ ومن المنوفية 7.19 ٪ ومن الغربية 5.04 ٪.

أما نسبة القادمين من الإسكندرية فقليلة جدًا وتمثل فقط 2.15 ٪ من مجموعهم وذلــك لأن الإســكندرية مدينة عاصمية أيضًا ويمكن أن يجد المشتغلون فيها العمل والمجال لممارسة مهنتهم. (ويمكن أن يطبق على الإسكندرية بحث خاص بها).

ويلاحــظ أن هناك نسبة وإن كانت ضئيلة من المشتغلين فى مدينة القاهرة قد قدمــوا من أربعة دول ذات حضارات قديمة عريقة عرفت السحر والاشتغال به منذ القــدم، وهى السودان، واليونان، وفلسطين، وتونس، وهذه النسبة من المشتغلين على قلتها، فإنها تلقى إقبالاً شديدًا، ذلك أن العنصر السحرى سواء كان الكلمة المنطوقة أو المكــتوبة أو الســاحر نفسه. يكون أكثر فاعلية كلما كان غريبا ومنتميًا إلى خارج المجتمع، فيعتقد فى المشرق العربى أن الساحر البارع القادر يأتى عادة من المغرب، أو مــن السودان، ويعتقد فى المغرب العربى أن الساحر المقتدر يأتى عادة من بلاد الشرق العربى وهكذا، ويقول المثل المصرى فى ذلك: "**الشيخ البعيد سره باتع**"

جدول (3)

توزيع المشتغلين حسب محل الميلاد

محل الميلاد	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
القاهرة	39	28.00
الإسكندرية	3	2.15
القليوبية	17	12.23
الشرقية	11	7.91
الدقهلية	7	5.04
دمياط	0	0
بورسعيد	1	0.72
الإسماعيلية	0	0
السويس	2	1.44
المنوفية	10	7.19
الغربية	7	5.04
كفر الشيخ	1	0.72
البحيرة	0	0
أسوان	3	2.15
قنا	0	0
سوهاج	2	1.44
أسيوط	5	3.59
المنيا	4	2.88
بني سويف	2	1.44
الفيوم	5	3.59
الجيزة	3	2.15
البحر الأحمر	0	0
مرسى مطروح	1	0.72
سيناء	1	0.72
السودان	1	0.72
اليونان	4	2.88
فلسطين	1	0.72
تونس	1	0.72
لم يذكر	8	5.76
المجموع	139	٪ 100.00

(د) المشتغلون بالسحر حسب الأقسام الإدارية فى محافظة القاهرة:

يتبين من تحليل البيانات الخاصة بتوزيع المشتغلين بالسحر حسب أقسام القاهرة الإدارية أن **أكبر عدد من المشتغلين بالسحر فى مدينة القاهرة يتركزون فى قسم الشرابية (12.95) وليس هذا بمستغرب، لأن الشرابية ثانية أقسام القاهرة الإدارية تعدادا للسكان بعد المطرية** [1]. فضلاً عن أنها تضم أفرادا من مستويات اجتماعية اقتصادية مختلفة، فمنهم الموظف ورجل الأعمال، والعامل، والطالب، والتاجر، والحرفى، كل هؤلاء بهمومهم، وأمالهم، وطموحاتهم المتنوعة.

أما السيدة زينب، فهى ثانية أقسام القاهرة الإدارية حيث تركز المشتغلين بالسحر فيها (10.79) ، وهى منطقة بؤرية شعبية تتميز بوجود ضريح "السيدة زينب"، بها، والذى يقصده الألوف للتبرك، والشكوى، والاعتقاد بسرعة قضاء الحاجات.

وتعد المطرية، ثالثة أقسام القاهرة الإدارية من حيث تركز المشتغلين بالسحر فيها (9.35) وهى منطقة تقع على أطراف القاهرة، وتعد منطقة ريفى، حضرية، والمشتغلون هناك آمنون بعيدًا عن الأنظار، والذهاب إليهم رحلة لكن المترددون يتجشمون كل مشقة فى سبيل زيارتهم، ولعل المثل القائل "الشيخ البعيد سره باتع" ينطبق على ازدهار المشتغلين ورواجهم فى هذه المنطقة.

ويحتل كل من قسم شبرا، وقسم حدائق القبة، المرتبة الرابعة بالتساوى من حيث تركز المشتغلين بالسحر فى كل منهما (7.19) ، وشبرا تكاد تكون مدينة مستقلة مكتفية بذاتها، وبها مستويات اجتماعية مختلفة من الموظفين والطلبة، والتجار، ورجال الأعمال، كما أن بها عديدًا من الكنائس الشهيرة أهمها كنيسة

(1) الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء، النتائج الأولية للتعداد العام للسكان، ص 39.

"ســانت تريــزا" الــتى يقصدها المسيحيون والمسلمون على السواء للتبرك، وطلب الحاجات[1].

أما قسم حدائق القبة فيكاد يكون منطقة مستقلة شمال شرق القاهرة يتميز أيضًــا بتركيز كثير من الطلبة فيه، وبخاص المنتمين منهم لجامعة عين شمس، فضلاً عن أن أغلب سكان هذا القسم ينتمون إلى الطبقة الوسطى التى تتميز بكثرة الضغوط عليها. فأفراد هذه الطبقة يتطلعون دائمًا إلى أعلى، ويخافون الهبوط إلى مــا دونهــم مســتوى. وتميل الباحثة إلى الاعتقاد بأن لوجود جامعة عين شمس وكلــياتها المختلفة علاقة بارتفاع نسبة المشتغلين فى هذا القسم فضلاً عن الأسباب المذكــورة آنفًا، ذلك أن الطلبة كثيرًا ما يقلقون على نجاحهم ونتائجهم التى ترتبط أيضًا باشتغالهم فى الوظائف المختلفة، ثم بزواجهم، وكل ذلك يجعل بعضهم يتردد على المشتغلين بالسحر.

ويتقاســم قســم مصــر القديمــة، وقسم مصر الجديدة المرتبة الخامسة بالتســاوى من حيث تركز المشتغلين بالسحر فيهما، وتبلغ نسبتهم فى كل منهما (6.47)، ويعــد قسم مصر القديمة منطقة شعبية بؤرية على أطراف القاهرة، ذات شــهرة فى السحر خاصة، أما قسم مصر الجديدة فيعد مدينة مستقلة بذاتها، تمتاز بوجاهة سكانها، وهو أقدم محلة سكنية فى هذه المنطقة.

ويحــتل قسم الجمالية المركز السادس من حيث تركز المشتغلين بالسحر فيه إذ تبلغ نسبتهم (5.76)، ويمثل هذا القسم منطقة بؤرية شعبية، كما أن وجود ضريح "سيدنا الحسين" به يجعله غاصًا بالوافدين على هذا الضريح للتبرك، وطلب قضاء الحاجات.

---

(1) ليس بالمستغرب فى هذا الصدد أن يتبرك المسلمون بالقديسيين المسيحيين فالإسلام يعترف بالديانتين السابقتين عليه أي باليهودية والنصرانية. وذلك وفقًا للآية ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾سورة البقرة آية 285.

ويلاحظ أنه يمكن تقسيم أقسام القاهرة الإدارية جغرافيا من حيث تركز المشتغلين بالسحر فيها إلى **أربع مناطق**، أما المنطقة الأولى (جغرافيا) فهى منطقة شمال القاهرة وتضم أقسام الساحل. وروض الفرج، وشبرا والشرابية، ويتركز **المشتغلون بالسحر فى منطقة شمال القاهرة نسبة كبيرة تبلغ (24.46) من مجموعهم، وهى بذلك تحتل المرتبة الثانية** من حيث تركز المشتغلين بالسحر، بعد منطقة شمال شرق القاهرة، كما سيتضح لنا، ومرد ذلك إلى أن هذه المنطقة تضم تنوعات من الطبقات المختلفة بآمالها وطموحاتها، ومتاعبها، ومخاوفها، كما أنها تضم نسبة كبيرة من المسلمين والنصارى والعديد من الجوامع والكنائس التى أهمها كنيسة سانت تريزا والتى يقصدها المسلمون أيضًا للتبرك، وطلب قضاء الحاجات، ولهذه المنطقة المنطقة شهرة قديمة، وتقليدية بوجود بعض المشتغلين بالسحر فيها، كما أن هذه المنطقة تعد مركز اتصال ريفى حضرى ويكثر من سكانها من نطلق عليهم "الريفى حضريين".

أما المنطقة الثانية جغرافيا فى تقسيم القاهرة الإدارى (بحسب تركز المشتغلين بالسحر فيها) فهى منطقة **شمال شرق القاهرة** وتضم أقسام النزهة، والمطرية، والزيتون، ومصر الجديدة، وحدائق القبة، ومدينة نصر، والوايلى، **وتبلغ نسبة المشتغلين فى هذه المنطقة أعلى نسبة لها إذ تبلغ 31.65** من مجموع المشتغلين بالسحر فى القاهرة، ويمكن أن نعزو ذلك إلى أسباب عدة أهمها أن المشتغل بالسحر فى هذه الأماكن يكتسب قوة وعلو مكانة بتواجده المكانى فى هذه المنطقة، كما أن هذه المنطقة تعد منطقة طرفية، وهناك من يحب أن يذهب إلى مشتغل فى منطقة بعيدة حتى لا يعرف أحد أنه يتردد على المشتغلين بالسحر، والمواصلات إلى هذه المنطقة سهلة عن غيرها من المناطق هذافضلاً عن أنها تضم عديدًا من الطبقات المتنوعة بكل آمالها ومخاوفها، وطموحاتها.

وتعد منطقة **وسط القاهرة**، التى تضم الجمالية، والدرب الأحمر، وباب الشعرية، والظاهر، والأزبكية، والموسكى، وقصر النيل، وعابدين، وبولاق **رابعة**

المناطق الإدارية من حيث تركز المشتغلين بالسحر فيها إذ تبلغ نسبتهم فى هذه المنطقة 30.15 من مجموعهم فى القاهرة، وتعد هذه نسبة كبيرة تجاوز الخمس، ويتركز المشتغلون بالسحر فى هذه المنطقة لعدة أسباب منها الطبقى، والاقتصادى والدينى والعمرانى، فالطبقات فى هذه المنطقة أغلبها طبقات شعبية تمتهن التجارة كما أنها تتميز بمكانتها الدينية الكبرى إذ يجتمع فيها معلمين دينيين كبيرين هما الأزهر الشريف، وضريح "سيدنا الحسين"، كما أن هذه المنطقة تعد من المناطق القديمة عمرانيًا، وذات الشهرة من حيث وجود بعض المشتغلين بها من زمن قديم يجدون فى زوار الحسين وغيره من الأضرحة، صيدًا سهلاً مهيئًا من الناحيتين النفسية والفكرية.

أما رابع المناطق الإدارية فهى **منطقة جنوب القاهرة**، وتضم أقسام الخليفة والسيدة زينب، ومصر القديمة، والمعادى، وحلوان، والتبين، وتمثل هذه المنطقة **ثالثة مناطق القاهرة الإدارية من حيث تركز المشتغلين بالسحر فيها إذ تبلغ نسبتهم 23.74 من جملة المشتغلين فى القاهرة**، وهى نسبة كبيرة تقارب الربع، وترجع أسباب تركز المشتغلين فى هذه المنطقة إلى أن هذه المنطقة تتميز بأن سكانها خليط من الطبقات الشعبية، والطبقات المتوسطة، كما أن هناك أسبابًا دينية تتعلق بوجود أضرحة للمسلمين أهمها ضريح السيدة زينب، وكنائس وأضرحة للنصارى أهمها كنيسة مارى جرجس، ولمصر القديمة بالذات شهرة قديمة فى السحر.

جدول (4)

توزيع المشتغلين بحسب الأقسام الإدارية فى محافظة القاهرة

القسم الإدارى	عدد أفراد العينة	النسبة المئوية
الأزبكية	1	0.72
التبين	1	0.72
الجمالية	8	5.76
الخليفة	4	2.88
الدرب الأحمر	6	4.32
الزيتون	3	2.16
الساحل	4	2.88
السيدة زينب	15	10.79
الظاهر	2	1.44
المطرية	13	9.35
المعادى	1	0.72
الموسكي	1	0.72
النزهة	1	0.72
الوايلى	6	4.32
باب الشعرية	5	3.59
بولاق	2	1.44
حدائق القبة(1)	10	7.19
حلوان	3	2.16
روض الفرج	2	1.44
شبرا	10	7.19
عابدين	1	0.72
قصر النيل	2	1.44
مدينة نصر(2)	2	1.44
مصر الجديدة	9	6.47
مصر القديمة	9	6.47
الشرابية(3)	18	12.95
المجموع	139	٪ 100.00

(1) قسم حدائق القبة أخذ أجزاء من قسم الوايلى (قرار وزارى لسنة 1971).

(2) قسم مدينة نصر أخذ من قسم الوايلى (قرار وزارى لسنة 1972).

(3) قسم الشرابية أخذ من قسم شبرا (قرار وزارى لسنة 1925).

– انظـر الجهـاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء، النتائج الأولية للتعداد العام لسكان والإسكان ليلة 23/22 نوفمبر 1976.

(هـ) المشتغلون حسب الديانة:

يلاحـظ مـن تحلـيل البيانات فى الجدول رقم (5) أن الغالبية العظمى من المشـتغلين بالسـحر مـن المسـلمين وذلك نسبة 94.24 ٪ وأن المشتغلين من المسـيحيين لا تتجاوز نسبتهم 5.76 ٪ وهذه النسب تتفق مع نتائج التعداد للسكان 1976 إذ وصـلت جملة عدد المسلمين فى الجمهورية 34334328، بينما جملة المسـيحيين 2285620، أى نسبة المسلمين فى الجمهورية وصلت إلى 93.74، بيـنما بلغـت نسبة المسيحيين فى الجمهورية 6.24 من جملة عدد السكان البالغ عددهم 36626204 نسمة فى سائر أنحاء الجمهورية[1].

جدول (5)

توزيع المشتغلين حسب الديانة

الديانة	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
مسلم	131	94.24
مسيحى	8	5.76
المجموع	139	100.00 ٪

(1) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء، التعداد العام للسكان والإسكان 1976، النتائج التفصيلية، مرجع رقم 93، 15111، 1978، ص 84.

(و) المشتغلون حسب المستوى التعليمى

تكشــف بــيانات المسح عن أن حوالى ثلث المشتغلين بالسحر من الأميين وذلــك بنسبة 27.34 ٪، وأن حوالى نسبة شبه مماثلة تصل إلى 28.06 ٪ منهم يقــرأون ويكتــبون كمــا بين التحليل الإحصائى للبيانات أن نسبة منهم تصل إلى 13.67 ٪ يقــرأون فقــط. وأن هناك نسبة مماثلة تمامًا نالت تعليمًا إبتدائيًا بنسبة 13.67 ٪ أيضًــا. وأن نسبة ضئيلة قد نالت تعليمًا إعداديًا، وتبلغ 6.47 ٪ ونسبة أقل تصل إلى 4.32 ٪ نالت تعليمًا ثانويًا.

وممــا يلفــت الــنظر أن هــناك نسبة من المشتغلين وإن كانت ضئيلة من الجامعيين وتبلغ 6.47 ٪، وذلك كما يتضح من الجدول رقم (6).

وجدير بالذكر أنه لابد لنا من الربط بين تخصص المشتغل ومستوى تعليمه، فمن يقرأ الكوتشينة أو الفنجان لا يستلزم أن يكون ملمًا بالقراءة، والكتابة، وأغلبية الأميين مــن المشــتغلين بالســحر يعملون بهذه التخصصات أما كتابة الأحجبة والأعمــال فلابد أن يكون المشتغل بها ملمًا بالقراءة والكتابة، ومطلعًا على بعض كتب السحر الرسمى[1].

---

(1) انظر ما قبل الفصل الثالث.

جدول (6)

توزيع المشتغلين حسب مستوى التعليم

مستوى التعليم	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
أمى	38	27.34
يقرأ فقط	19	13.67
يقرأ ويكتب	39	28.06
ابتدائى	19	13.67
إعدادى	9	6.47
ثانوى	6	4.32
جامعى	9	6.47
فوق جامعى	0	0
المجموع	139	٪ 100.00

(ز) المشتغلون حسب الحالة الاجتماعية:

ظهر من البحث الميدانى أن الغالبية العظمى من المشتغلين بالسحر من المتزوجين بنسبة كبيرة تصل إلى 67.63 ٪ ، وأن هناك عددًا أقل بكثير من المطلقين تصل نسبتهم إلى 19.43 ٪ كما كانت نسبة العزب والأرامل من المشتغلين متماثلة تمامًا إذا بلغت فى الاثنين 6.47 ٪ كما يبين الجدول رقم (7).

ويمكن أن نفسر هذه المعطيات بأن المترددين يقبلن أكثر على المتزوجين من المشتغلين وهذا يرتبط أيضًا بالسن، والاحترام الأكثر، والثقة، كما أن الإناث من المترددات يفضلن أن تذهبن إلى مشتغل متزوج عن أن يذهبن إلى الأعزب، بل إنهن يفضلن أن يذهبن إلى مشتغلة متزوجة أكثر من تفضيلهن الذهاب إلى امرأة لم تتزوج أو إلى مطلقة أو أرملة.

جدول (7)

توزيع المشتغلين حسب الحالة الاجتماعية

الحالة الاجتماعية	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
اعزب	9	6.47
متزوج	94	67.63
مطلق	7	19.43
أرمل	29	6.47
المجموع	139	٪ 100.00

(جـ) المشتغلون حسب التخصص

يكشـــف تحلـــيل البيانات الخاصة بتخصص المشتغلين بالسحر الذين شملهم المســـح عـــن أن قرابة نصفهم بنسبة 43.16 ٪ يشتغلون بأكثر من تخصص وأن حوالـــى ربـــع المشتغلين بنسبة 25.18 ٪ متخصصون فى قراءة الفنجان كما أن هـــناك نسبة أقل تصل إلى 20.86 ٪ متخصصون فى "العمل"، وفى داخلها نسبة أقل تبلغ 9.35 ٪ متخصصة "فى العمل عن طريق الأثر" ثم توزع باقى المشتغلين على التخصصات المختلفة مثل الكف، وقراءة الكوتشينة، والمندل.

ويمكـــن أن نفسر المعطيات السابقة المبينة فىالجدول رقم (8)، بأن السبب فـــى أن معظـــم المشتغلين يعملون بقراءة الفنجان إلى أن عنصر الفكاهة وإضاعة الوقت والتسلية يدخل فيه، لذلك فإن الكثير من المثقفين يلجأون إليه دون الإحساس بأنهم يلجأون إلى السحر، أو العرافة وكشف الغيب، كما أن قراءة الفنجان تتناسب مـــع طبيعة النفس البشرية وأن الإنسان يريد دائمًا أن يعرف الكثير عن نفسه، كما أن قراءة الفنجان ظاهرة منتشرة فى الحضر أكثر منها فى الريف.

أمـــا وجـــود نسبة كبيرة من المشتغلين الذين يعملون فى أكثر من تخصص فـــيدل علـــى أن هذه التخصصات لا تحتاج إلى خبرة دقيقة ودراية إنماهى تتنوع

حسب ظروف الحالة.

ويمكـــن أيضًا أن نربط هذه التخصصات بالعرض والطلب، فالتخصصات الـــتى عليها طلب كبير كالفنجان، "والعمل" نجد أن المشتغلين بها أكثر من غيرهم فى التخصصات التى ليس عليها طلب كبير.

جدول (8)

توزيع المشتغلين حسب التخصص

التخصص	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
قراءة الفنجان	35	25.18
قراءة الكف	4	2.88
عمل	16	11.51
عمل (بالأثر)	13	9.35
كوتشينة	4	2.88
مندل	7	5.04
أكثر من تخصص	60	43.16
المجموع	139	٪ 100.00

(ط) المشتغلون حسب مصادر الدخل الشهرى:

تدل بيانات الدخل الشهرى لمشتغلين بالسحر أن قرابة النصف تقريبًا بنسبة 43.17 ٪ مـــنهم يعـــتمدون على دخل خارجى بجانب دخلهم من المهنة وهذا قد يكون معاشًا أو دخلاً من أملاك أو مساعدة من أقارب.

كمـــا تفصـــح البيانات عن أن نسبة تصل إلى حوالى الربع يعتمدون على أجـــرهم مـــن الاشتغال بالسحر، وهؤلاء تصل نسبتهم إلى 21.58 ٪ بينما يعتمد 12.23 ٪ من مجموعهم على مرتبهم إلى جانب دخلهم من المهنة، وذلك كما يتبين من الجدول رقم (9).

وقد تبين من سؤال المشتغلين أن ما يأخذونه من أجر من المترددين يتراوح بين 25 قرشاً إلى خمسة جنيهات، وأن أقل أجر أخذوه هو خمسة قروش وترتبط النتائج هنا مع نتائج جدول رقم (13) الذى بين التفاوت بين ما يأخذه بعض المشتغلين من الأغنياء وما يأخذونه من الفقراء.

جدول (9)

توزيع المشتغلين حسب مصادر الدخل

الدخل	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
مرتب	17	12.23
أجر	30	21.58
دخل خارجي	60	43.17
غير مبين	32	23.02
المجموع	139	٪ 100.00

(ى) المشتغلون حسب درجة الشهرة:

عند تصنيف درجة شهرة المشتغلين بالسحر، إلى مستويات بحسب رأى الناس بعامة، والمترددين بخاصة عنهم، تبين أن قرابة نصفهم من المشهورين بنسبة 43.88 ٪ ، وأن نسبة أقل منهم تصل إلى 30.94 ٪ من نصف المشهورين، أما المشهورين جدًا منهم فكانت نسبتهم لا تتجاوز 17.27 ٪ ، والباقى نسبة ضئيلة من المغمورين الذين لم يصبهم حظ من الشهرة وتبلغ هذه النسبة 7.91 ٪ كما تبين من الجدول رقم (10).

ويلاحظ أن المشهورين جدًا من المشتغلين بالسحر يكون أجرهم مرتفعًا ولذلك فإن عدد المترددين الذين يذهبون إليهم يكون أقل بكثير، من العدد الذى يذهب إلى المشهورين أو نصف المشهورين أو المغمورين. وجدير بالذكر أن درجة الشهرة هنا نسبية وأننا توصلنا إليها من وجهة نظر المترددين من ناحية ، ومن وجهة نظر الناس بعامة من جهة أخرى.

جدول (10)

توزيع المشتغلين حسب درجة الشهرة

درجة الشهرة	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
مشهور جدًا	24	17.27
مشهور	61	43.88
نصف مشهور	43	30.94
مغمور	11	7.91
المجموع	139	100.00 ٪

(ك) المشتغلون بحسب الكتب المستخدمة فى المهنة:

تـدل البـيانات علـى أن غالبية المشتغلين بالسحر يستخدمون القرآن فى مهنـتهم، وذلـك بنسـبة 50.36 ٪، بينما يستخدم الإنجيل نسبة ضئيلة لا تتجاوز 4.32 ٪ ، أما التوراة فلا يستخدمها أحد.

ويسـتخدم كتـب السـحر عدد لا بأس به من المشتغلين تصل نسبتهم إلى 34.46 ٪ ، بيـنما توجـد نسـبة أخرى لا تستخدم كتبًا على الإطلاق فى المهنة ونسبتهم 20.86 ٪ وذلك كما يتضح من الجدول رقم (11).

ويلاحـظ أن هـذه النتائج تتفق مع نتائج الجدول رقم (5) الخاص بتوزيع المشـتغلين حسب الديانة ، فأغلبية المشتغلين من المسلمين ولذلك فإنهم يستخدمون القرآن.

ونلاحـظ أن كثيرًا من المشتغلين بالسحر فى مدينة القاهرة يلجأون الىخلط السـحر بالديـن ليضـمنوا سـهولة التأثير على الناس، ولكى ينجحوا فى ترويج بضاعتهم، وكسب المال الوفير. فالدين عند المصريين وبخاصة الريفيين ومن هم مـن أصـل ريفى من الأمور الجوهرية، والدوافع الأساسية ذات القيمة العالية فى أعمالهم وحياتهم.

وقد استغل المشتغلون بالسحر هذه الحقيقة فدرجوا على تلوين أعمالهم السحرية باللون الدينى، لذلك لا نجد حجابًا، أو عملاً، أو سحرًا، يخلو من الآيات القرآنية.

كما أن استخدام الكتب فى المهنة سواء أكانت كتبًا مقدسة أم كتبًا متخصصة فى السحر، يستلزم إلمام المتخصص بالقراءة والكتابة.

وتتنوع الكتب المستخدمة فى المهنة (غير الكتب المقدسة) بين كتب طالع، وكتب حساب النجوم، وكتب مشهورة مثل كتاب شمس المعارف الكبرى، وكتاب تذكرة داود، وكتاب الديربى، وكلها تندرج فى عداد كتب السحر الرسمى.[1]

جدول (11)

توزيع المشتغلين حسب التخصص

الكتب المستخدمة فى المهنة	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
قرآن	70	50.36
إنجيل	6	4.32
توراة	0	0
كتب سحر	34	24.46
لا يستخدم الكتب	29	20.86
الجموع	139	٪ 100.00

(ل) المشتغلون حسب الوسائل المستخدمة فى المهنة:

تكشف البيانات الخاصة بالوسائل التى يستخدمها المشتغلون بالسحر عن أن أكثر من نصفهم بمنسبة 56.83 ٪ يستخدمون أشياء متنوعة كالشعر والعظم، والودع، والفخار (للكره) والبخور، والدم، وأثر الإنسان (جزء من ثيابه، أو خصلات من شعره، أو أظافره، أو دمه)، والأحجبة.

(1) انظر محمد الجوهرى، السحر الرسمى، والسحر الشعبى، المصدر السابق ، ص 7 – 9.

وهـــناك نسبة من المشتغلين تصل إلى 18.71 ٪ تستخدم الطيور كالحمام وأبـــى قردان والغراب (للكره)، ومنهم نسبة أخرى أقل، وتبلغ 10.1 ٪ تستخدم الحيوانات. كما أن هناك نسبة من المشتغلين لا تستخدم أيا من هذه الوسائل وتبلغ 14.39 ٪ وذلك كما يتبين فى الجدول رقم (12).

ويلاحـــظ أن بعـــض المشتغلين يستعيضون عن طلب النقود، بطلب أشياء أخرى تؤكل كالحيوانات والطيور، وذلك بحجة استخدامها فى عملهم.

جدول (12)

توزيع المشتغلين حسب الوسائل المستخدمة فى المهنة

الوسائل المستخدمة فى المهنة	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
حيوانات	14	10.7
طيور	26	18.71
أشياء أخرى متنوعة	79	56.20
لا يستخدم	20	14.39
الجموع	139	٪ 100.00

(م) المشتغلون بحسب تنوع مطالبهم من الفقراء والأغنياء:

تفصـــح البـــيانات الخاصـــة بالمشـــتغلين بالسحر عن أن نسبة كبيرة منهم تجـــاوزت النصـــف بقلـــيل وتـــبلغ 53.96 ٪ تأخذ أجرًا ثابتًا محددًا من الفقراء، والأغنياء على حد سواء، (بل إن بعضهم يشبه نفسه بالطبيب فى هذا الصدد).

كما نلاحظ أن هناك نسبة تكاد تبلغ النصف، لا تأخذ الأجر نفسه من الفقير والغنى، وتصل هذه النسبة إلى 46.04 ٪ كما يتضح من الجدول رقم (13). فهذه النسبة من المشتغلين تفرق بين ما تطلبه من الفقراء وما تطلبه من الأغنياء والفرق هنا قد يصل إلى العشرات بل المئات وأحيانًا الألوف من الجنيهات.

وجديـــر بالذكر أن هؤلاء يعتقدون أنهم أكثر إنسانية حيث أنهم يطلبون من كل على قدر إمكانياته، وهم لا يرهقون الفقراء بمطالبهم.

جدول (13)

توزيع المشتغلين حسب تنوع مطالبهم من الفقراء والأغنياء

تنوع المطالب من الفقراء والأغنياء	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
كلهم زى بعض	75	53.96
الغنى حاجة والفقير حاجة	64	46.04
المجموع	139	٪ 100.00

(ن) مدى تفرغ المشتغلين لمزاولة المهنة:

تكشـــف البـــيانات عن أن نسبة كبيرة من المشتغلين بالسحر تتجاوز نصف عددهـــم وتبلغ 56.83 ٪ من مجموعهم، يتفرغون للعمل بالسحر وأن نسبة أخرى تقـــارب النصف، وتصل إلى 43.17 ٪ يجمعون بين اشتغالهم بالسحر واشتغالهم بمهن أخرى وذلك كما يتضح من الجدول رقم (14).

وبســـؤال المشتغلين فى مهن أخرى إلى جانب السحر ، تبين أن بينهم ستة مـــن رجـــال الديـــن، واثنيـــن من أئمة المساجد، وأربعة من المقرئين وثلاثة من الوعـــاظ، كمـــا أن من بينهم مدرس بمدرسة ابتدائية أزهرية، وعالم فلك، وخريج جامعة اتجه إلى التصوف، وهذه النتيجة تتفق مع ما ذهب إليه باحثون آخرون من أن رجـــال الديـــن، والأولـــياء، والصوفية، هم فى بعض الأحيان من أهم طوائف المشتغلين بالسحر.[1]

(1) انظر: محمد الجوهرى، علم الفولكلور، الجزء الثانى، ص 215.

جدول (14)

توزيع المشتغلين حسب تنوع مطالبهم من الفقراء والأغنياء

مدى تنوع المشتغل لمزاولة مهنة	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
شغلته الوحيدة	79	56.83
له شغله أخرى	60	43.17
المجموع	139	٪ 100.00

(س) المشتغلون حسب الوراثة والهواية:

أوضـــحت البـــيانات الخاصـــة بالمشتغلين بالسحر عن أن عددًا كبيرًا منهم يجاوز النصف بنسبة 46.76 ٪ قد اتجهوا إليها عن طريق الوراثة وذلك كما يتبين من الجدول رقم (15).

ويمكن أن نفسر اتجاه غالبية المشتغلين بالسحر من غير الوارثين أصلاً لهذه المهنة، والقادمين إليها من مهن أخرى، إلى رغبتهم فى الحصول على المال، فهم يستغلون مواهبهم ومهارتهم فى الحصول على المال عن طريق إغراء الأفراد بقوة أعمـــالهم وفاعليـــتها، ويشجعهم على ذلك أن هذه الأعمال تحقق دخلاً لا بأس به سواء كان دخلاً ماديا أو عينيًا.

كمـــا يعـــد السعى وراء المكانة عاملاً من العوامل التى تدفع بعض الأفراد للاشتغال بالسحر، فبعض الناس يخشون تلك الفئة ليس عن حب أو احترام بقدر ما هو اتقاء لأذاهم.

جدول (15)

توزيع المشتغلين حسب الوراثة أو الهوية

الوراثة والهواية	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
عن وراثة	65	٪ 46.76
عن هواية	74	٪ 53.24
المجموع	139	٪ 100.00

أمـــا السبب فى اتجاه الكثيرين إلى الاشتغال بالسحر، بتأثير الوراثة، فيكون فـــى الغالـــب لأن الناس لديهم اعتقاد بأن هذه المقدرة يمكن توريثها من الأب أى الابـــن، كذلـــك لأن الابـــن تكون له دراية بالأعمال السحرية بحكم أن والده كان ســـاحرًا، ولأن كثيرا من الأبناء يريدون أن يكونوا مثل والديهم ويقلدونهم هذا إلى جانـــب إغراء العاملين اللذين سبق ذكرهما وهما الرغبة فى الحصول على المال، والسعى وراء المكانة.

ويمكـــن القـــول أن مســـألة الهواية والوراثة فى الاشتغال بالسحر تختلف باختلاف التخصص فالهواية تكون فى قراءة الفنجان على سبيل المثال، أما الوراثة فتكون فى التخصصات المحتاجة إلى نوعية العمل وإلى كتب السحر الرسمى مثل كتابة الأحجبة مثلا.

(ع) مدى اقتناع المشتغلين بالسحر بفائدة مهنتهم:

تـــدل البيانات الخاصة بالمشتغلين على أن هناك إجماعًا تامًا بنسبة 100 ٪ منهم على اقتناعهم بأن مهنتهم مفيدة، وبأنهم يقدمون خدمات للناس، وذلك كما يبين الجدول رقم (16).

ويمكـــن أن تعـــد هذه النتيجة نوعا من الدعاية ينشرها المشتغلون عن أنفسهم كمـــا أنهـــا تـــدل على وجود نسبة كبيرة من المشتغلين مقتنعين تمامًا بفائدة مهنتهم

للـــناس، وأنه إذا وجدت نسبة منهم غير مقتنعة فإنها لا تجاهر بهذا وتعتبره نوع من الدعاية ضد نفسها، ويعد جهرها بفائدة مهنتها، نوع من الخوف الادعائى ضد الفشل.

جدول (16)

توزيع المشتغلين بالسحر بفائدة مهنتهم

مدى اقتناع المشتغل بفائدة مهنته	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
نعم	139	٪ 100
لا	0	٪ 0
المجموع	139	٪ 100.00

(ف) مدى إيمان المشتغلين بالسحر بقدرة الله وتدخلها فى مهنتهم:

تكشف البيانات الخاصة بالمشتغلين عن أن الغالبية العظمى منهم تؤمن بأنها تعمـــل بإذن الله وذلك بنسبة 92.81 ٪، بينما هناك نسبة ضئيلة جدًا من المشتغلين تؤمـــن بأنهـــا تستطيع أن تفعل شيئًا وحدها، وتبلغ تلك النسبة 7.19 ٪ وذلك كما يتبين من الجدول رقم (17).

جدول (17)

مدى إيمان المشتغلين بقدرة الله وتدخلها فى مهنتهم

مدى إيمان المشتغل	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
يقدر يعمل حاجة وحده	10	٪ 7.19
كله بإذن الله	129	٪ 92.81
المجموع	139	٪ 100.00

وتدلـــنا هـــذه النتيجة على أن معظم المشتغلين بالسحر يؤمنون بالفعل، كما دلت إجاباتهم، أنهم يعملون بوحى من الله، وأن الله قد أعطاهم هذه الموهبة وميزهم بها عن غيرهم.

الفصل الثامن

المترددون على المشتغلين بالسحر

تمهـــيد

يحتوى هذا الفصل على تحليل للشق الثانى من البحث وهم المترددون على المشتغلين بالسحر، **ويشمل هذا الفصل بيانات تتعلق بنوع المترددين، وأعمارهم، ومحل ميلادهم، وتوزيعهم بحسب الأقسام الإدارية التى ينتمون إليها.**

ويتــناول هــذا الفصل أيضًا بيانات عن ديانة المترددين، وتوزيعهم حسب المستوى التعليمى، وحسب الحالة الاجتماعية، والمهنة.

كمـــا يشتمل هذا الفصل على بيانات عن المصادر التى عرف عن طريقها المترددين المشتغلين، وعن عدد مرات التردد على المشتغلين بالسحر، وعن مدى شعور المتردد بالفائدة من تردده، وعما يدفعه المترددون لمشتغلين من مقابل مادى أو عيـــنى أو خلافـــه، وعـــن توزيع أفراد العينة من المترددين بحسب الدافع إلى التردد، وأخيرًا عن رأى المترددين فى مدى اعتراف الدولة والدين بالسحر.

أولاً: بيانات أولية:

(أ) تقسيم المترددين حسب النوع:

يكشـــف تحلـــيل البيانات الخاصة بنوع المترددين عن أن حوالى ثلثيهم من الإنـــاث وذلك بنسبة 61.65 ٪، بينما يبلغ الذكور منهم نسبة تصل إلى 38.35٪، وذلك كما يتضح من الجدول رقم (1).

وجديـــر بالذكر أن السبب فى أن الإناث أكثر ترددا على المشتغلين بالسحر هـــو أن النســـاء أكـــثر اســـتعدادًا للاســـتهواء، كما أنهن أكثر اعتقادا فى هؤلاء المشتغلين، كما أن عليهن ضغوطا وأعباء كثيرة لذلك فهن أكثر مطالبا من الذكور، فالمـــرأة تتردد على المشتغلين بالسحر لأكثر من سبب فهى إما باحثة عن الخلف بعامـــة، أو عـــن علاج للعقم، أو عن خلف الصبيان بخاصة، وإما هدها المرض

بسبب كثرة الحمل والولادة ولذلك فهى تبحث عن علاج لأمراضها وبخاصة النزيف، وإما خائفة على زوجها من امرأة أخرى ، وإما ناشدة حب الزوج وحنوه، وإما ساعية لنجاح أبنائها، أو لتزويجهم، وإما طالبة الخلاص من "الضرة" أو ذاهبة للكشف عن ابن مفقود، أو فك عمل.

ويلاحظ أن المرأة المصرية بعامة، وغير المتعلمة على وجه الخصوص لا تحس أمانًا فى زواجها ولا فى حياتها بعامة[1]وأن هذا ما يلجئها إلى المشتغلين بالسحر.

أما الذكور فأغلبهم يترددون لفك الربط، أو كشف الغيب، أو كشف المسروق ومعرفة السارق، أو لرواج التجارة، أو للشفاء من المرض.

جدول (1)

توزيع المترددين حسب النوع

النوع	عدد المترددين	النسبة المئوية
ذكر	270	٪ 38.35
أنثى	434	٪ 61.65
المجموع	704	٪ 100.00

(ب) توزيع المترددين حسب فئات السن :

تنتمى الغالبية الساحقة من المترددين على المشتغلين بالسحر إلى فئات ما بين 20 الى أقل من 50 (وذلك بضم الفئات من 20 - 30 ، 30 - 40 ، 40 - 50) وتبلغ نسبتهم 82.81 ٪ بينما يقل عدد المترددين فى فئات السن الصغيرة (أقل من 20) فتصل نسبتهم إلى 7.53 ٪ ويقل عدد المترددين أيضًا فى فئات السن الكبيرة (أكثر من 50) لتصل إلى 9.66 ٪ وذلك كما يتبين من الجول رقم (2).

11) انظر سامية حسن الساعاتى، دور المثقفات المصريات فى التغيير الاجتماعى، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومى للبحوث الجنائية والاجتماعية، ص 121 ، 122.

ويمكن أن نفسر هذه النتائج بأن فئة السن التى تبدأ من 20 وتنتهى بأقل من 50 سـنة، تعـد فترة قلق على النجاح، وعلى المستقبل، وعلى بداية تكوين حياة عائلية، ثم الاستمرار فيها، أى تنطوى على التفكير فى الزواج، وتكوين الأسرة ، ثم الرغبة فى الاستقرار النفسى والعائلى.

ففى فئات السن أقل من 20 سنة، يكثر التردد على المشتغلين بالسحر بسبب الرغـبة فى التقدم والترقية فى حياتهم العملية، ويستمر ذلك فى فترة السن من 30 إلـى 40، وفـى الفترة من 40 إلى 50 يكون هناك تخوف من ضعف العاطفة أو زوالهـا، وقلق من التغيرات فى الأسرة، أما فى الفترة ما بعد الخمسين، فهى سن بدايـة الشيخوخة، ويكون التردد فيها بسبب الطموحات النهائية لأصحابها، وبسبب مشكلات الأولاد الكبار.

ويلاحـظ أنـه فـى المراحل المتوسطة من العمر، تزداد مطالب الإنسان، ويـزداد حرصـه عى تأكيد ذاته ومستقبله، لذلك فإن لجوء الناس إلى المشتغلين يزداد فى هذه المرحلة.

أمـا فى المراحل المبكرة من العمر، فلا يلجأ الناس إلى المشتغلين بالسحر، لعدم إحساسهم بوطأة الحياة، ومشكلاتها، وضعف اعتقادهم فى المشتغلين بالسحر، وفـى المراحل المتقدمة من العمر نجد أن الناس قد زهدوا الحياة، وقلت مطالبهم، لذا فإن ترددهم يكون فى الأعم الأغلب بسبب قلقهم على أولادهم الكبار ومشكلاتهم الكثيرة.

جدول (2)

توزيع المترددين حسب فئات السن

فئات السن	عدد المترددين	النسبة المئوية
أقل من 20	53	٪ 7.53
من 20 – 30	258	٪ 36.65
من 30 – 40	194	٪ 27.55
من 40 – 50	121	٪18.61
أكثر من 50	68	٪9.66
المجموع	704	٪ 100.00

(ج) توزيع المترددين حسب محل الميلاد:

اتضـــح مـــن تحليل البيانات الخاصة بالمترددين أن قرابة نصفهم، موطنهم الأصـــلى القاهـــرة وذلـــك بنســـبة 41.11 ٪، أما بقية المترددين فتوزع موطنهم الأصـــلى علـــى محافظات الجمهورية المختلفة بنسب مختلفة وذلك كما يتضح من الجدول رقم (3).

ويبين هذا الجدول أثر الهجرة إلى القاهرة فى مواجهة التوطن، كما يبين أثر جـــذب القاهرة للريفيين، فالقاهرة مركز جذب شديد يجذب أفراد المحافظات ذات الطـــرد المرتفع (كالمنوفية فى وجه بحرى، وسوهاج فى وجه قبلى) والمحافظات القريبة من القاهرة.

ويظهـــر من الجدول أن ملاحظتنا تنطبق على سوهاج (5.54) ، والمنوفية (4.97)، والشـــرقية (6.39)، وبـــنى سويف (6.39)، كما أن هناك (5.68) من المترددين يأتون من محافظة البحيرة.

جدول (3)

توزيع المترددين حسب محل الميلاد

محل الميلاد	عدد المترددين	النسبة المئوية
القاهرة	290	٪ 41.19
الإسكندرية	10	٪ 1.42
بورسعيد	20	٪ 2.84
السويس	2	٪ 0.28
دمياط	6	٪ 0.85
الدقهلية	20	٪ 2.84
الشرقية	45	٪ 6.39
القليوبية	30	٪ 4.26
كفر الشيخ	12	٪ 1.71
الغربية	25	٪ 3.55
المنوفية	35	٪ 4.97
البحيرة	40	٪ 5.68
الإسماعيلية	8	٪ 1.14
الجيزة	12	٪ 1.71
بنى سويف	45	٪ 6.39
الفيوم	5	٪ 0.071
المنيا	24	٪ 3.41
أسيوط	22	٪ 3.13
سوهاج	39	٪ 5.54
قنا	3	٪ 0.43
أسوان	11	٪ 1.56
المجموع	704	٪ 100.00

هذا من ناحية المعالجة الإيكولوجية للجدول، أما من حيث المعالجة الثقافية "cultural" فيتضـــح مـــن الجـــدول أن المترددـــن القاهريين أصلاً، والآتين من محافظات حضرية تبلغ نسبتهم 47 ٪ فى مواجهة 53 ٪ من المترددين يأتون من محافظات ريفية ومعنى ذلك أن نسبة المترددين من الريفيين إلى المشتغلين بالسحر فى القاهرة نسبة عالية، تتمشى معها الأفكار الغيبية والأسطورية، وفى هذه الحالة لا يكـــون التعلـــيم والتحضر إلا قشرة تغلف الثقافة الريفية التى تظهر وطأتها فى مناســـبات كثـــيرة يظهـــر فيها التفاعل الاجتماعى على أشده خاصة فى المواقف الحساسة مثل الاعتقاد فى السحر والخرافات واستطلاع الغيب، ومثل الالتجاء ألى الأطباء ومراكز العلاج.

(د) توزيع المترددين حسب الأقسام الإدارية:

تـــدل البـــيانات الخاصة بتوزيع المترددين حسب الأقسام الإدارية على ان هـــناك نســـبة عالـــية من المترددين وتبلغ 14.91 ٪ تأتى من خارج القاهرة إلى المشـــتغلين بالســـحر داخل القاهرة، وهذا يدل على مدى اعتقاد المترددين خارج القاهـــرة فى المشتغلين بالسحر داخلها، وهذا يعضد القيم الشائعة بين سكان مصر فـــيما يتعلق بمركزية النشاط فى القاهرة، فهى بالنسبة لهم مركز النشاط الإدارى، والثقافى، والاقتصادى فمن باب أولى أن تكون أيضًا مركزًا للنشاط السحرى.

فالقاهـــرة هـــى العاصـــمة، ومركـــز الجـــذب الرئيسى، وكما أنها صفوة المتخصصـــين والأطـــباء والمثقفين، كذلك يعتقد الناس أنها تضم صفوة المشتغلين بالسحر، لذا فهم يتجهون إليها من كل المحافظات.

وهـــناك ارتـــباط بيـــن توزيع المترددين بحسب الأرقام الإدارية، وتوزيع المشـــتغلين بالسحر حسب الأقسام الإدارية أيضًا، (كما لاحظنا فى الفصل الخاص بالمشـــتغلين(1) وذلـــك لأننا كشفنا عن ارتباط موجب بين كثرة عدد المترددين فى

(1) انظر الجدول الخاص بالمشتغلين حسب الأقسام الإدارية.

أقسام إدارية معينة من القاهرة وبين ارتفاع نسبة المشتغلين فى هذه الأقسام ، ويؤدى هذا الارتباط إلى أن نستنتج أن هناك علاقة طردية بين حجم المشتغلين وحجم المترددين فى هذه الأقسام، فبينما يحتل قسم الشرابية المركز الأول من حيث المشتغلين بالسحر فيه نجد أنه يحتل المركز الأول أيضًا من حيث نسبة المترددين على المشتغلين بالسحر فيه وتبلغ 8.52 ٪ من مجموعهم كذلك الحال بالنسبة لقسم السيدة زينب فهو يحتل المرتبة الثانية من حيث تركز المشتغلين بالسحر فيه، وكذلك يحتل المرتبة نفسها من حيث نسبة المترددين على المشتغلين بالسحر فيه وتبلغ 7.81 ٪ من مجموعهم، ويشترك قسم شبرا مع قسم السيدة زينب فى احتلال المركز الثانى من حيث نسبة المترددين على المشتغلين بالسحر فيه. ويمثل قسم الجمالية ثالث أقسام القاهرة الإدارية من حيث نسبة المترددين على المشتغلين السحر فيه، وتبلغ 6.40 ٪ من مجموعهم [1].

وتدل هذه البيانات على وجود ارتباط موجب بين كثرة عدد المترددين فى أقسام إدارية معينة من القاهرة، وبين وجود أضرحة لأولياء الله الصالحين من المسلمين، أو لقديسيين من النصارى، فقسم السيدة زينب يتميز بوجود ضريح السيدة زينب رضى الله عنها فيه، وقسم شبرا يتميز بوجود كنيسة القديسة سانت تريزا فيه، أما قسم الجمالية فيشتهر بوجود ضريح سيدنا الحسين رضى الله عنه فيه.

كما تفصح البيانات أيضًا عن أن نسبة كبيرة من المترددين تفضل أن تذهب إلى المشتغلين القريبين منهم أكثر من تفضيلهم الذهاب إلى من يبعدون عنهم إلا فى حالات خاصة يكون فيها أحد المشتغلين ذا سمعة كبيرة لاعتقاد الناس بما يتمتع به من قوة روحية عظيمة، وقدرة بالغة الأثر على تسخير القوى الغيبية.

وبتقسيم أقسام القاهرة الإدارية جغرافيا من حيث نسبة وجود المترددين على المشتغلين بالسحر بها إلى مناطق، نجد أنه يمكن تقسيمها إلى أربعة مناطق

---

(1) المصدر نفسه، ص 238.

تمـــاثل تقســـيمنا القاهرة الإدارية جغرافيا بحسب تركز المشتغلين فيها[1] وهى منطقة شمال القاهرة ، ومنطقة الشمال الشرقى، والوسط، والجنوب.

وتحـــتل منطقة وسط القاهرة [2] المركز الأول من حيث تواجد المترددين علـــى المشتغلين بالسحر فيها وتبلغ نسبتهم 23.59 ٪ من المجموع الكلى، تليها فى المركز الثانى منطقة شمال القاهرة[3]وتصل نسبة المترددين على المشتغلين بالســـحر فيها أى 21.78 ٪ من جملتهم، أما منطقة الشمال الشرقى للقاهرة [4]، فتحتل المركز الثالث من حيث تواجد المترددين يها وتبلغ نسبتهم 21.45 ٪ من المجمـــوع الكلى للمترددين، أما المنطقة الرابعة فهى منطقة جنوب القاهرة [5] ، وتصـــل نســـبة المترددين على المشتغلين بالسحر فيها إلى 18.18 ٪ من جملة المترددين.

(1) انظر خريطة توزيع المشتغلين بالسحر حسب أقسام القاهرة الإدارية ، ص 297.

(2) تشمل منطقة وسط القاهرة إداريًا أقسام بولاق، والجمالية، والدرب الأحمر ، وباب الشعرية، والظاهر، والأزبكية، والموسكى، وقصر النيل، وعابدين.

(3) تشمل منطقة شمال القاهرة إداريا أقسام الساحل، وروض الفرج، وشبرا، والشرابية.

(4) تشمل منطقة شمال شرق القاهرة إدارية أقسام، النزهة ، والمطرية، الزيتون، ومصر الجديدة، وحدائق القبة، ومدينة نصر، والوايلى.

(5) تشمل منطقة جنوب القاهرة، إداريا أقسام، الخليفة، والسيدة زينب، ومصر القديمة، والمعادى، وحلوان، والتبين.

جدول (4)

توزيع المترددين حسب الأقسام الإدارية

القسم الإدارى	عدد المترددين	النسبة المئوية
الأزبكية	6	٪ 0.85
التبين	10	٪ 1.42
الجمالية	45	٪ 6.40
الخليفة	5	٪ 0.71
الدرب الأحمر	35	٪ 4.97
الزيتون	10	٪ 1.42
الساحل	35	٪ 4.97
السيدة زينب	55	٪ 7.81
الظاهر	15	٪ 2.13
المطرية	15	٪ 2.13
المعادى	6	٪ 0.85
الموسكى	5	٪ 0.71
النزهة	3	٪ 0.43
الوايلى	40	٪ 5.68
باب الشعرية	16	٪ 2.28
بولاق	30	٪ 4.26
حدائق القبة	40	٪ 5.68
حلوان	8	٪ 1.14
روض الفرج	4	٪ 0.57
شبرا	55	٪ 7.81
عابدين	10	٪ 1.42
قصر النيل	4	٪ 0.57
مدينة نصر	3	٪ 0.43
مصر الجديدة	40	٪ 5.68
مصر القديمة	44	٪ 8.25
الشرابية	60	٪ 8.52
خارج القاهرة	105	٪ 14.91
المجموع	704	٪ 100.00

(هـ) توزيع المترددين حسب الديانة:

مــن تحليل البيانات الخاصة بديانة المترددين على المشتغلين بالسحر يتبين أن أكــثر مــن ثلــثى المترددين من المسلمين بنسبة 69.32 ٪، وأن حوالى ثلث المترددين من المسيحيين بنسبة 30.68 ٪ ، وذلك كما يتضح فى الجدول رقم (5) ويمكن إرجاع ذلك إلى تلك الحقيقة الإحصائية التى تسجل أن المسلمين أكثر عددا مــن المســيحيين فــى القاهــرة بشكل لافت، فقد بلغت نسبتهم فى تعداد 1976، (89.83 ٪) بالمقارنة بنسبة 10.13٪) من المسيحيين [1].

أمــا تفســير ارتفــاع تلك النسبة من المترددين المسيحيين على المشتغلين بالســحر، فهــو أن معظم هذه النسبة تشكل من الطبقة المتوسطة ذات التطلعات، والحــرص على النجاح، والقلق الكثير، كما أن جزءًا كبيرًا من هذه النسبة تتألف من الأغنياء الحريصين دائمًا على الثراء والنجاح، والمحافظة عليهما.

جدول (5)

توزيع المترددين حسب الديانة

الديانة	عدد المترددين	النسبة المئوية
مسلم	488	٪ 69.32
مسيحي	216	٪ 30.68
المجموع	704	٪ 100.00

(و) توزيع المترددين حسب مستوى التعليم:

تدل البيانات الخاصة بالمستوى التعليمى للمترددين على المشتغلين بالسحر إلــى أن حوالى ثلث المترددين من الأميين بنسبة 40 و30 ٪. كما أن هناك نسبة

(1) انظر المؤشرات الإحصائية "إقليم القاهرة" "الجهاز المركزى للتعبئة العام والإحصاء" ، يوليو 1987، ص 37.

كبــيرة تصل إلى 24.71 ٪ من المترددين يقرأون ويكتبون. ويسترعى النظر أن بقــية المترددين ونسبتهم 55.11 ٪ موزعون على مراحل التعليم المختلفة بنسب متفاوته، أعلاها من تخرجوا من المدارس 15.06 ٪، ومن نالوا تعليمًا عاليًا بنسبة 17.47 ٪. [1]

ويمكن أن نربط بين معطيات هذا الجدول، ومعطيات الجدول (13) الخاص بدوافــع التردد. فالأميون يذهبون لأسباب تتعلق معظمها بفك العمل. وفك الربط ، والــزواج، والمــرض، أما المثقفون فيذهبون لأسباب تتعلق بالنجاح فى الدراسة، والــنجاح فــى العمل، ومسائل الحب والزواج، والأمراض الميئوس منها، والتى أخفــق الطــب فى علاجها. ويمكن تفسير ذلك بأن المتعلمين بوجه عام أكثر قلقًا وأكثر مجابهة للمشاكل، وأعقد حياة ومطالبا من الأميين.

جدول (6)

توزيع المترددين حسب مستوى التعليم

مستوى التعليم	عدد المترددين	النسبة المئوية
أمي	214	٪ 30.40
يقرأ فقط	13	٪ 1.75
يقرأ ويكتب	174	٪ 24.71
ابتدائى	55	٪ 7.81
إعدادى	19	٪ 2.70
ثانوى	16	٪ 15.06
جامعي	123	٪ 17.48
المجموع	704	٪ 100.00

(1) تتفق هذه النتائج مع ما وجده د. سيد عويس فى الدراسة التى أشرف عليها عن اتجاهات قراء "بختك اليوم" فى الصحف اليومية، انظر سيد عويس، حديث عن الثقافة ص 22، 223.

(ز) توزيع المترددين حسب الحالة الاجتماعية:

تبين من تحليل البيانات الخاصة بالحالة الاجتماعية للمترددين أن أغلبهم من المتزوجين نسبة 51.28، يلى ذلك العزاب بنسبة 28.27، ثم الأرامل بنسبة 12.21، والمطلقين بنسبة 8.24 ٪.

وتدل هذه النتيجة على أن المتزوجين من المترددين أكثر استشعارًا من غيرهم بالمشكلات التى تواجههم، تلك المشكلات المترتبة على الزواج، مثل الخلف، والتوافق، والمشكلات المتعلقة بالجنس فى الزواج، والمسائل المادية ، والرغبة فى الاحتفاظ بالزوج (فى الأعم الأغلب) أو الزوجة.

أما العزاب من المترددين فهم أقل عددًا، وأقل إحساسًا بالمشكلات فمشكلاتهم تنحصر فى الرغبة فى نيل رضا المحبوب، ومشكلات الحب عمومًا والخوف من الفشل فيه، والرغبة فى التأكد من أن المحبوب يبادل الطرف الآخر الحب ومشكلة اختيار الشريك، هذا إلى جانب مشكلات النجاح فى الدراسة والحياة العملية وابتداء حياة سعيدة من كل النواحى.

أما الأرامل من المترددين، وكذلك المطلقين فمشكلاتهم معروفة ومحددة بحالاتهم الخاصة.

جدول (7)

توزيع المترددين حسب الحالة الاجتماعية

الحالة الاجتماعية	عدد المترددين	النسبة المئوية
اعزب	199	٪ 28.27
متزوج	361	٪ 51.28
أرمل	86	٪ 12.21
مطلق	58	٪ 8.24
المجموع	704	٪ 100.00

(ج) التوزيع حسب المهنة:

يتبين لنا من توزيع المترددين بحسب مهنهم أن أغلبية المترددين من الموظفين وذلك بنسبة 72.4 ٪ ، يليهم العمال بنسبة 22.2 ٪ ثم التجار بنسبة 5.4٪، كما تبين أن حوالى ثلثهم ينتمون إلى مهن فنية متوسطة وعليا وذلك بنسبة 30.2 ٪ يلى ذلك من ينتمون إلى مهن كتابية متوسطة وعليا وذلك بنسبة 24.1 ٪ ويلى ذلك من ينتمون إلى مهن إدارية ومتوسطة وعليا وذلك بنسبة 18.2 ٪ أما الباقون فيتوزعون ما بين عمال نصف فنيين بنسبة 8 ٪ ، وعمال غير فنيين _حرف صغيرة) 14.2 ٪ وتجار بنسبة 5.3 ٪.

ويتضح من الجدول أيضًا أننا إذا ربطنا بين المهنة ودرجة التعليم لوجدنا أن نسبة كبيرة تصل إلى حوالى 85.7 ٪ من المترددين من المتعلمين تعليمًا متوسطًا وعاليًا، وذلك على أساس أن هناك 72.40 ٪، منهم من المتعلمين وهم الموظفون إلى جانب افتراض أن نصف العمال والتجار من المتعلمين [1].

---

(1) تتفق نتائج بحثنا هنا مع النتائج التى وجدها د. سيد عويس فى ضوء دراسة عملية أشرف عليها لدراسة اتجاهات قراء موضوع "بختك اليوم" فى الصحف اليومية، فقد وجد أن نحو 75 ٪ من موظفى مصلحة من مصالح الحكومية يواظبون على قراءة هذا الموضوع يوميًا. منهم من يقرأه لأنه يتناول نتائج القراءة، ومنهم يقرأه لأنه يقارن بين ما يقع وبين ما تنبأ به، ومنهم من يقرأه لمجرد التسلية ومنهم من يقرأه لأن ما يقرأه يتحقق عادة، ومنهم من يقرأه لأنه يؤمن بنتائجه، والملاحظ أن هؤلاء الموظفين تتراوح أعمارهم ما بين 17 - 55، منهم نحو 63٪، لا تزيد أعمارهم على ثلاثين عامًا، وأن نحو 52٪ منهم من مواليد محافظة القاهرة، وأن نسبة المسلمين منهم نحو 82٪، ونسبة المتزوجين منهم نحو 50٪، وأن نحو 90٪ منهم قد حصلوا على شهادات متوسطة، وأن نحو 10٪ منهم قد حصلوا على شهادات عالية.
ويلاحظ أن من يقرأون "بختك اليوم" يزورون المقابر كثيرًا، كما يزورون أضرحة الأولياء والقديسين، ويؤدون لهم النذور، ويؤمنون بها، وهم يؤدون فريضة الصلاة، وفريضة الصوم، ونسبة كبيرة منهم يؤمنون بالأشباح، ويمارسون عمليات البخور فى المناسبات وقراءة الفنجان والكف، وحمل التمائم، وفتح المندل.
- انظر سيد عويس، المصدر السابق، ص 222 - 223.

وترجع أسباب تردد ذلك العدد الضخم من الموظفين على المشتغلين بالسحر إلـــى أن للموظـــف مطالب كثيرة، فهناك تطلعات الوظيفة، وهمومها واحتكاكات الرؤســـاء، والـــزملاء والمرءوسين، كما أن الأعباء الملقاه على عاتقه كثيرة من زوجته وأولاده، فهو غالبًا إما مكدود أو مطحون ، أما العامل فله أيضًا أسبابه فى الـــتردد على المشتغلين بالسحر وأهمها التطلعات الجديدة مثل الرغبة فى الاشتغال فـــى دولة عربية، و الزواج من فتاة أعلى منه تعليمًا، أو الرغبة فى معرفة مدى نجاحه فى مشروع ينوى تنفيذه.

أما التجار فيترددون للتأكد من نجاح صفقاتهم ومشروعاتهم، أو لمعرفة من سرق أحد مخازنهم أو أذاع أسرارهم لمنافسيهم.

جدول (8)

توزيع المترددين وفق مهنتهم

المهن	عدد المترددين		النسبة المئوية	
1- موظفون				
(أ) مهن كتابية				
متوسطة	95	510	13.5	%72.4
عليا	75		10.6	
(ب) مهن إدارية				
متوسطة	92		13.1	
عليا	35		5.0	
(ج) مهن فنية				
متوسطة	165		23.4	
عليا	48		6.80	
2- عمال				
فنيون ونصف فنيين	56	156	8.0	%22.2
غير فنيين (حرف صغيرة)	100		14.2	
3- تجار	38	38	5.4	5.4
المجموع		704		% 100.00

(ط) المصادر التى عرف المترددون عن طريقها المشتغلين:

تدل البيانات الخاصة بالمصادر التى عرف المترددون عن طريقها المشتغلين بالسحر على أن عددا كبيرًا من المترددين قد عرفوا المشتغلين عن

طـريق جيرانهم وذلك بنسبة 34.7 ٪، يلى ذلك عدد كبير منهم عرف المشتغلين عـن طـريق الأقـارب وذلك بنسبة 27.7 ٪ كما أن هناك نسبة لا بأس بها من المترددين قـد عرفـت المشتغلين عن طريق الأصدقاء بلغت 23.7 ٪ أما بقية المصادر فقد توزعت ما بين زملاء فى العمل بنسبة 8.7 ٪ وزملاء الدراسة وذلك بنسبة 5.2 ٪ وذلك كما يتضح من الجدول رقم (9).

ويتبيـن لـنا إذن أن الجيران والأقارب والأصدقاء، وزملاء العمل وزملاء الدراسـة علـى الترتيـب هم المصادر الهامة التى عرف المترددون عن طريقهم المشـتغلين بالسـحر وأن دور وسائل الإعلام المتمثل فى الإعلانات التى ينشرها المشتغلون فى الصحف اليومية أو المجلات لم يظهر فى البحث. فالعلاقات الأولية والحمـيمة إذن (face to face relationships) هى التى تلعب دورا هاما فى هـذا المجـال، ويبدو أن الذى يرغب الذهاب إلى أحد المشتغلين بالسحر يود ان يتأكد بنفسه من أن أخرين يعرفهم جيدا قد ذهبوا إليه وأكدوا فعاليته، مما لا توفره له الإعلانات. هذا بالإضافة إلى ما ذكره معظمهم من أن سبب عدم ذكرهم لوسائل الإعـلام، ودورهـا فى تعريفهم بالمشتغلين بالسحر، اعتقادهم بأن من يعلنون عن أنفسهم فى الصحف يأخذون "فيزيتا" عالية على حد قولهم.

جدول (9)

المصادر التى عرف المترددون عن طريقها المشتغلين

المصادر	عدد المترددين	النسبة المئوية
أقارب	195	٪ 27.7
أصدقاء	167	٪ 23.7
جيران	244	٪ 34.7
زملاء فى العمل	61	٪ 8.7
زملاء فى الدراسة	37	٪ 5.2
المجموع	704	٪ 100.00

(ى) عدد مرات التردد:

تبيـن مـن الجـدول رقـم (10) الخـاص بعدد مرات التردد، ان معظم المترددين بنسبة تصل إلى 63.10 ٪ قد ترددوا على المشتغلين مرتين، بينما هناك نسـبة أقـل تـرددت ثلاث مرات بلغت 15.76 ٪ أما من ترددوا أكثر من ثلاث مـرات فبلغـت نسبتهم 11.34 ٪ وكانت أقل نسبة هى الخاصة بمن ترددوا مرة واحدة فقط اذ بلغت 9.8 ٪.

ويلاحـظ أن الـتردد أكثر من مرة قد يكون لـه أسبابا مختلفة، فقد يتردد الإنسان على المشتغل اكثر من مرة لاعتقاده بجدوى ما يفعله المشتغل، وقد يتردد أكـثر مـن مـرة لعدم شعوره بأى تقدم أو بأى جدوى لكنه لا ينقطع عن الأمل والتمنى فى حدوث ما يرغب ويتمنى, ويرتبط التردد مرة أو أكثر من مرة بنوعية المطلـب، فالتوافق الزواجى والشفاء من مرض يتطلب التردد أكثر من مرة، أما الكشف عن الغيب أو المستقبل فلا يتطلب إلا التردد مرة واحدة فقط.

جدول (10)

عدد مرات التردد

عدد مرات التردد	عدد المترددين	النسبة المئوية
مرة	68	٪ 9.8
مرتان	411	٪ 63.10
ثلاث مرات	131	٪ 15.76
أكثر من ثلاث مرات	94	٪ 11.34
المجموع	704	٪ 100.00

(ط) مدى شعور المتردد بالفائدة من تردده :

يتبيـن لنا من الجدول رقم (11) أن أكثر من نصف المترددين لا يشعرون بفـائدة مـن ترددهم على المشتغلين بالسحر وذلك بنسبة 57.50 ٪ بينما تستشعر نسبة كبيرة من المترددين تبلغ 42.50 ٪ فائدة تذكر من ترددها.

ويتضـــح من ذلك ان ظاهرة السحر باقية ولن تختفى لأن هناك من يحسون عن صدق أو عن وهم بأن التردد على المشتغلين بالسحر يفيدهم [1].

ولو كان الأمر على خلاف ذلك وأنهم يتركون هؤلاء المشتغلين بتاتا ويطرقوا باب الطب فى القضاء على المرض والشرطة فى العثور على المسروق لاختفت هذه الظاهرة.

جدول (11)

مدى شعور المتردد بالفائدة من تردده

مدى شعور المتردد بالفائدة من تردده	عدد المترددين	النسبة المئوية
نعم	299	42.50
لا	405	57.50
المجموع	704	٪ 100.00

(ى) المترددون حسب ما يدفعونه للمشتغلين:

يبين الجدول رقم (14) الخاص بما يدفعه المترددون للمشتغلين بالسحر أن حوالـــى ثلث المترددين بنسبة تصل إلى 66.2 ٪ يدفعون مقابلاً ماديًا، بينما تدفع نســـبة لا بأس بها من المترددين تصل إلى 24 ٪ مقابلاً عينيًا، كما أن هناك نسبة صغيرة تصل إلى 9.8 ٪ لا تدفع للمشتغلين أى مقابل ماديًا كان أم عينيًا.

جدول (12)

توزيع المترددين حسب ما يدفعونه للمشتغلين بالسحر

ما يدفع	عدد المترددين	النسبة المئوية
مقابل مادى	466	٪ 66.2
مقابل عينى	169	٪ 24
بدون مقابل	29	٪ 9.8
المجموع	704	٪ 100.00

(1) تذكر إحدى السيدات على سبيل المثال من اللاتى أجبن باستشعارهن فائدة من ترددهن فى أحد المشتغلات بالسحر ما يلى: "ده أنا جيت لها أكثر من 10 مرات، فكت لى كذا عقدة احتار فيها الدكاترة" وأخرها عملت لى عمل خلت جوزى يحبنى زى بتوع السيما، بعد ما كان طول اليوم خناق وضرب وشتيمة، دى سرها باتع، والجن ما يرفضولهاش طلب".

(ك) توزيع المترددين حسب الدوافع إلى التردد:

يتبين من الجدول رقم (13) الخاص بتوزيع المترددين حسب الدافع إلى التردد على المشتغلين بالسحر، أن أكثر من نصف المترددين بنسبة 58.38 ٪ من مجموعهم الكلى يترددون على المشتغلين تتخصص فى قراءة الفنجان والكف والكوتشينة تبلغ نسبتهم 30.94 ٪ من جملة المشتغلين بالسحر[1]، وذلك لمقابلة احتياجات هؤلاء المترددين لمعرفة المستقبل أو كشف الغيب.

تلى ذلك نسبة تبلغ حوالى خمس المترددين، تذهب إلى المشتغلين بالسحر بدافع التسلية، وقضاء الوقت، وتبلغ هذه النسبة 18.61 ٪ من مجموعهم الكلى، ويشكل المثقفون نسبة كبيرة من هذه الفئة من المترددين الذين يذهبون لمجرد التسلية.

ومن المترددين من يذهب إلى المشتغلين بالسحر بدافع دينى أى لأنه يعتقد بالفعل ان الدين يعترف بالسحر، ويشكل هؤلاء نسبة تصل إلى 13.35 ٪ من مجموع المترددين، وأغلبهم من الأميين. أما النسبة الباقية من المترددين على المشتغلين بالسحر وتصل إلى 9.66 ٪ من مجموعهم فيذهبون بدافع اليأس من الطرق العلمية والطبية فى علاج أمراضهم، وهؤلاء خليط من المتعلمين والأميين على السواء، ويمثل المترددون المتعلمون والمثقفون الذين يذهبون للمشتغلين بالسحر بهذا الدافع غلبه التفكير الغيبى لديهم أحياناً على التفكير العلمى والتفكير المنطقى.

جدول (13)

توزيع المترددين على المشتغلين بالسحر حسب الدافع إلى التردد

الدافع إلى التردد	عدد المترددين	النسبة المئوية
اليأس من الطرق العلمية والطبية	68	٪ 9.66
اعتقاد دينى	94	٪ 13.35
مجرد تسلية	131	٪ 19.61
حب استطلاع	411	٪ 58.38
المجموع	704	٪ 100.00

(1) انظر ما قبل الجدول الخاص بتوزيع المشتغلين حسب التخصصات.

(ل) رأى المترددين فى مدى اعتراف الدولة والدين بالسحر:

يكشف تحليل البيانات الخاصة برأى المترددين على المشتغلين بالسحر فى مدى اعتراف الدولة والدين بالسحر، عن أن نسبة ضئيلة جدًا منهم ترى أن الدولة تعــترف بالسحر، وتصل هذه النسبة إلى 1.99 ٪ من مجموعهم وتذهب هذه الفئة مــن المترددين إلــى أن اعتراف الدولة بالسحر يتجلى فى السماح بتداول كتب الكوتشــينة والفــنجان، وكتب السحر، والطالع وغيرها، والسماح أيضًا للمشتغلين بالســحر بــالإعلان عن أنفسهم فى الصحف اليومية وبعض المجلات ، مشفوعا بألقاب "البروفيسور" و" الدكتور" حتى يزيد تأثيرهم على الأفراد.

أمــا الغالبية الساحقة من المترددين من كل المستويات الاجتماعية، والاقتصادية والتعليمية، وتبلغ نسبتهم 98.01 ٪ من مجموعهم الكلى فيذهبون إلى ان السحر معترف به من الدين، ويستندون فى تأكيد ذلك إلى أن السحر مذكور فى التوراة والإنجيل والقرآن أى فى كل الكتب السماوية، رغم أنهم لا يتعمقون فى كيفية ورود ذكر السحر فى الكتب السماوية، وموقف هذه الكتب من السحر بعامة، ولعلهم يجدون فى معتقدهم هذا وهو أن الديــن يعــترف بالســحر تبريرًا كافيًا للجوئهم إلى المشتغلين بالسحر، كما أن هؤلاء المشتغلين بدورهم يقوون هذا المعتقد لديهم حتى تروج بضاعتهم.

وتؤكــد المعطــيات الســابقة ما سبق ان ذهبنا إليه فى الجزء النظرى من اختلاط ظاهــرة السحر فى مصر بالدين، واستغلال المشتغلين بالسحر فى مصر لهذه الحقيقة لكى يضــمنوا ســهولة التأثير على الناس، وبذلك يصيبون الكسب الكثير، لذلك حرصوا على تلوين أعمالهم السحرية باللون الدينى حتى تجد قبولاً عند من يتردد عليهم من الناس [1].

جدول (14)

رأى المترددين فى مدى اعتراف الدولة والدين بالسحر

مدى اعتراف الدولة والدين بالسحر	عدد المترددين	النسبة المئوية
السحر معترف به من الدولة	14	1.99 ٪
السحر معترف به من الدين	690	98.01 ٪
المجموع	704	100.00 ٪

(1) انظر ما قبل الفصل الخامس، السحر كظاهرة اجتماعية.

الفصل التاسع

ظاهرة السحر فى مدينة القاهرة

أهم النتائج النهائية للبحث

يمكـــن أن نجمل النتائج النهائية لبحث السحر فى مدينة القاهرة، الذى كان الهـــدف منه هو التعرف على ظاهرة السحر كما توجد وتمارس فى مدينة القاهرة، باعتبارها ظاهرة اجتماعية ذات تركيب وخصائص، فيما يأتى:

أولاً: نتائج خاصة بالمشتغلين بالسحر:

1- الاشـــتغال بالســـحر **عمـــل يمكن أن يقوم به الذكر والأنثى على السواء،** فالتخصص حسب النوع ليس له أهمية فى هذا المجال.

2- أغلبـــية المشـــتغلين بالسحر ينتمون إلى الفئات العمرية الكبيرة (40 – 50) وذلك بنسبة 78.45 ٪ من مجموعهم الكلى، ويعزى ذلك إلى أن هذه المهنة تتطلب الخبرة والتمرس، كما أن **كبر السن يضفى على المشتغل بها الهيبة والاحـــترام، ويغـــرى على الاعتقاد فيما يقول، وتصديقه، وبخاصة أن من القـــيم السائدة فى المجتمع المصرى احترام كبار السن، واعتبارهم "بركة" وتقدير ما يقولون ويفعلون.**

3- تبيـــن مـــن البحـــث أن أكبر عدد من المشتغلين بالسحر فى مدينة القاهرة يـــتركزون فى قسم "الشرابية" وليس هذا بمستغرب لأن الشرابية ثانية أقسام القاهرة الإدارية تعدادا للسكان بعد المطرية، فضلا عن أنها تضم أفرادا من مســـتويات اجتماعـــية اقتصادية مختلفة، فمنهم الموظف، ورجل الأعمال، والعـــامل، والطالـــب، والـــتاجر، والحرفى، كل هؤلاء بهمومهم، وآمالهم، وطموحـــاتهم المتنوعة، أما "السيدة زينب" فهى ثانية أقسام القاهرة الإدارية من حيث تركز المشتغلين بالسحر فيها (10.79)، وهى منطقة بؤرية شعبية تتمـــيز بوجود ضريح "السيدة زينب" الذى يقصده الألوف للتبرك، والشكوى وطلب قضاء الحاجات، والمشتغلون يجدون فى هؤلاء صيدا سهلا مهيئا من الناحيتين النفسية، والفكرية.

4- ظهـــر من البحث أن حوالى ثلث المشتغلين بالسحر فقط من الأميين، وذلك بنســبة 27.29 ٪ من مجموعهم الكلى، وأن نسبة أخرى شبة مماثلة تصل إلى 28.47 ٪ يقرأون ويكتبون، وتتوزع النسب الباقية بين من يقرأون فقط، ومـــن نالوا تعليما ابتدائيا، وإعداديا، وثانويا، كما كانت هناك نسبة صغيرة من المشتغلين تبلغ 6.38 ٪ من الجامعيين.

وجديـــر بالذكر أن هناك ارتباطا بين تخصص المشتغل ومستوى تعليمه فمن يقرأ الكوتشينة أو الفنجان لا يستلزم أن يكون ملما بالقراءة والكتابة وأغلبية الأميين من المشتغلين بالسحر يعملون فى هذه التخصصات. أما كتابة الأحجبة والأعمال، فلابد أن يكون المشتغل بها ملما بالقراءة والكتابة، ومطلعا على بعض كتب السحر الرسمى.

5- أفصح البحث عن أن قرابة نصف المشتغلين بالسحر وذلك بنسبة 43.17 ٪ يشتغلون بأكثر من تخصص وأن حوالى ربع المشتغلين بنسبة 25.18 ٪ من مجموعهـــم الكلـــى، متخصصون فى قراءة الفنجان، كما أن هناك نسبة أقل تصـــل إلـــى الخمـــس 20.87 ٪ متخصصـــون فى العمل، ثم توزع باقى المشتغلين على التخصصات المختلفة مثل الكف، وقراءة الكوتشينة والمندل.

ووجـــود نسبة كبيرة من المشتغلين بالسحر يعملون فى أكثر من تخصص، يـــدل علـــى أن تلك التخصصات لا تحتاج إلى خبرة دقيقة ودراية وإنما يمكن أن تتـــنوع حســـب ظروف الحالة. ويمكن أيضا أن تربط هذه التخصصات بالعرض والطلب، فالتخصصات التى عليها طلب كبير كالفنجان و"العمل" نجد أن المشتغلين بها أكثر من غيرهم فى التخصصات التى ليس عليها طلب كبير.

5- يـــدل البحث على أن **غالبية المشتغلين بالسحر يستخدمون القرآن فى مهنهم وذلـــك بنســـبة 50.36** ٪ مـــن مجموعهم الكلى، بينما يستخدم الإنجيل نسبة ضـــئيلة لا تـــتجاوز 4.22 ٪، أما التوراة فلا يستخدمها أحد. ويستخدم كتب الســـحر الرسمى، مثل كتاب شمس المعارف الكبرى، وتذكرة داوود، وكتاب محتويات الديربى الكبير، عدد لابأس به من المشتغلين تبلغ نسبتهم 24.46 ٪

من مجموع المشتغلين، بينما توجد نسبة أخرى لا تستخدم كتبا على الإطلاق.

ويلاحظ أن كثيرًا من المشتغلين بالسحر فى مدينة القاهرة يلجأون إلى خلط السحر بالدين ليضمنوا سهولة التأثير على الناس، ولكى ينجحوا فى ترويج بضاعتهم، وكسب المال الوفير. **فالدين عند المصريين، وبخاصة الريفيين، ومن هم من أصل ريفى من الأمور الجوهرية ذات القيمة العليا فى أعمالهم وحياتهم. وقد استغل المشتغلون بالسحر هذه الحقيقة فدرجوا على تلوين أعمالهم السحرية باللون الدينى، لذلك لا نجد حجابا، أو عملا، أو سحرا يكاد يخلو من الآيات القرآنية.**

7- تبين من البحث أن من المشتغلين بالسحر بعض رجال الدين، وأئمة المساجد والمقرئين، والوعاظ، ومدرس فى مدرسة ابتدائية أزهرية. وتتفق هذه النتيجة مع ما ذهب إليه باحثون آخرون من أن رجال الدين، والأولياء، والصوفية هم فى بعض الأحيان أهم طوائف المشتغلين بالسحر، وتتفق هذه النتيجة مع النتيجة المذكورة آنفا من تلون السحر كثيرا بالصبغة الدينية فى مصر.

8- أوضح البحث أن عددا يجاوز نصف المشتغلين بالسحر وتصل نسبتهم إلى 53.24 ٪ يمارسون مهنتهم لأنهم هووها، بينما اتجه الباقون إلى هذه المهنة عن طريق الوراثة وذلك بنسبة 46.76 ٪ من مجموعهم.

ويعد السعى وراء المال، والمركز، والمكانة، والهيبة هى أهم الدوافع التى جعلت كثيرا من المشتغلين يهوون هذه المهنة، أما من اتجهوا إليها عن طريق الوراثة، فللدوافع السابقة الذكر إلى جانب أن الأبناء يرثون هذه المهنة بدافع من حب التقليد للآباء، إلى جانب أن بعضهم يكون قد اكتسب خبرة ودراية بها من مساعدة ذويه فى ممارستها أو مجرد معاشرته لهم.

ويمكن القول أن مسألة الهواية والوراثة فى الاشتغال بالسحر تختلف باختلاف التخصص، فالهواية تكون فى قراءة الفنجان على سبيل المثال أما الوراثة

فـتكون فى التخصصات المحتاجة إلى توعية العمل، وإلى كتب السحر الرسمى، وذلك مثل كتابة الأحجبة و"عمل الأعمال".

9- يدل البحث على أن هناك إجماعًا تاما بنسبة 100 ٪ من المشتغلين بالسحر ويظهر اقتناعهم بأن مهنتهم، وأنهم يقدمون خدماتها للناس، كما يبين البحث أن الغالبـية العظمى منهم بنسبة 92.81 ٪ تؤمن بأنها تعمل بإذن الله، بينما هـناك نسـبة ضـئيلة جدًا من المشتغلين تؤمن بأنها تستطيع أن تفعل شيئا وحدها، وتبلغ تلك النسبة 7.19 ٪ أى أن غالبية المشتغلين بالسحر يؤمنون- كما دلت إجاباتهم - بأنهم يعملون بوحى من الله، وأن الله قد ميزهم بموهبة معينة أو "بسر معين" عن غيرهم من البشر.

ثانيًا: نتائج خاصة بالمترددين على المشتغلين بالسحر:

1- كشف البحث عن أن **الإناث أكثر ترددا من الذكور على المشتغلين بالسحر وذلـك بنسبة 61.65 للإناث، 38.35 للذكور والسبب هو أن النساء أكثر اسـتعدادا للاستهواء، كما أنهن أكثر اعتقادًا فى هؤلاء المشتغلين، كما أن عليهن ضغوطا وأعباء كثيرة لذلك فهم أكثر من الذكور مطالبًا.**

والمـرأة تتردد على المشتغلين بالسحر لأكثر من سبب فهى إما باحثة عن الخلف، وعن علاج العقم، أو عن خلف الصبية بالذات، وإما هدها المرض بسبب كـثرة الحمل والولادة، ولذلك فهى تبحث عن علاج لأمراضها وبخاصة النزيف، وإمـا خائفـة على زوجها من امرأة أخرى، وإما ناشدة حب الزوج وحنوه، وإما سـاعية لـنجاح أبنائها، أو لتزويجهم، وإما طالبة الخلاص من "الضرة" أو ذاهبة للكشف عن ابن مفقود، أو فك عمل.

ويلاحظ أن المرأة المصرية بعامة، وغير المتعلمة على وجه الخصوص لا تحس فى الغالب أمانا فى زواجها ولا فى حياتها بعامة، وهذا ما يلجئها فى الأغلب إلى المشتغلين بالسحر.

2- تبين من البحث أن الغالبية الساحقة من المترددين على المشتغلين بالسحر تنتمى إلى فئات السن ما بين 20 إلى أقل من 50 (وذلك بضم الفئات من 20 حتى 40) وتبلغ نسبتهم 81.18 ٪ من المجموع الكلى، بينما يقل عدد المترددين فى فئات السن الصغيرة (أقل من 20) لتصل نسبتهم إلى 7.53 ٪، كما تقل أيضا فى فئات السن الكبيرة ليصل إلى 9.66 ٪.

وترجع هذه النتيجة إلى أن فترة السن التى تبدأ من 20 سنة وتنتهى بأقل من 50 سنة، تعد فترة قلق على النجاح، وعلى المستقبل، وعلى بداية تكوين حياة عائلية، ثم الاستمرار فيها، أى تنطوى على التفكير فى الزواج، وتكوين الأسرة، ثم الرغبة فى الاستقرار النفسى والعائلى، ففى المراحل المتوسطة من العمر تزداد مطالب الإنسان، ويزداد حرصه على تأكيد ذاته ومستقبله، لذلك فإن لجوء الناس إلى المشتغلين بالسحر يزداد فى هذه المرحلة.

أما المراحل المبكرة من العمر، فلا يلجأ الناس إلى المشتغلين بالسحر، لعدم إحساسهم بوطأة الحياة، ومشكلاتهم، وضعف اعتقادهم فى المشتغلين بالسحر، وفى المراحل المتقدمة من العمر نجد أن الناس قد زهدوا الحياة، وقلت مطالبهم، لذا فإن ترددهم على المشتغلين بالسحر يقل أيضا، وإذا حدث أن ترددوا على المشتغلين بالسحر فإن ترددهم يكون فى الأعم الأغلب بسبب قلقهم على أولادهم الكبار ومشكلاتهم الكثيرة.

3- أوضح البحث أن قرابة نصف المترددين موطنهم الأصلى القاهرة، وذلك بنسبة 4.11 ٪، أما بقية المترددين فتوزع موطنهم الأصلى على محافظات الجمهورية بنسب مختلفة، ويتبين هنا أثر الهجرة إلى القاهرة فى مواجهة التوطن، وأثر جذب القاهرة للريفيين وخاصة المحافظات ذات الطرد المرتفع، والمحافظات القريبة من القاهرة.

كما اتضحت من البحث نتيجة ثقافية متصلة بالنتيجة الايكولوجية السابقة وهى أن المترددين القاهريين أصلا، والآتين من محافظات حضرية تبلغ نسبتهم

47 ٪ فـــى مواجهة 53 ٪ من المترددين يأتون من محافظات ريفية، ومعنى ذلك **أن نسبة المترددين من الريفيين على المشتغلين بالسحر فى القاهرة نسبة عالية، تتمشـــى معهـــا الأفكـــار الغيبـــية والأسطورية، وفى هذه الحالة لا يكون التعليم والتحضـــر إلا قشرة تغلف الثقافة الريفية التى تظهر وطأتها فى مناسبات كثيرة يظهـــر فـــيها التفاعل الاجتماعى على أشده، خاصة فى المواقف الحساسة مثل الاعـــتقاد فـــى السحر، ومثل الالتجاء إلى التطبيب الشعبى أكثر من الالتجاء إلى الأطباء ومراكز العلاج.**

4- تبين من البحث أن نسبة لا بأس بها من المترددين وتبلغ 14.91 ٪ تأتى من خـــارج القاهرة إلى المشتغلين بالسحر داخلها، وهذا يعضد القيم الشائعة عن ســـكان مصـــر فـــيما يتعلق بمركزية النشاط فى القاهرة، فهى بالنسبة إليهم مركز النشاط الإدراى والثقافى، والاقتصادى فمن باب أولى أن تكون مركزا للنشاط السحرى فالقاهرة هى العاصمة، ومركز الجذب الرئيسى، وكما أنها تضم صفوة المتخصصين، والأطباء، والمثقفين، كذلك يعتقد الناس أنها تضم صفوة المتشغلين بالسحر، لذا فهم يتجهون إليها من كل المحافظات.

وقـــد كشـــف البحـــث أيضـــا عـــن وجود علاقة طردية موجبة بين حجم المشـــتغلين، وحجـــم المترددين بحسب الأقسام الإدارية لمحافظة القاهرة، فبينما يمثل قسم الشرابية المركز الأول من حيث المشتغلين بالسحر فيه، نجد أنه يمثل المرتبة نفسها من حيث نسبة المترددين على المشتغلين بالسحر فيه. كذلك الحال بالنســـبة لقسم السيدة زينب فهو يحتل المرتبة الثانية من حيث تركز المشتغلين بالســـحر فـــيه، وكذلـــك يحـــتل المرتـــبة نفسها من حيث نسبة المترددين على المشتغلين بالسحر فيه.

5- دل البحـــث علـــى وجـــود ارتباط موجب بين كثرة عدد المترددين فى أقسام إداريـــة معينة على المشتغلين بالسحر فيها، وبين وجود أضرحة لأولياء الله مـــن المســـلمين، أو لقديسين من النصارى، فقسم السيدة زينب يتميز بوجود

ضريح "السيدة زينب" رضي الله عنها فيه، وقسم شبرا يتميز بوجود كنيسة القديسة "سانت تريزا" فيه، أما قسم الجمالية فيشتهر بوجود ضريح "سيدنا الحسين" رضي الله عنه فيه.

6- أوضح البحث أن أكثر من ثلثى المترددين على المشتغلين بالسحر من المسلمين بنسبة 69.32 ٪، وأن حوالى ثلث المترددين من المسيحيين بنسبة 30.68 ٪، ويمكـــن إرجاع ذلك إلى تلك الحقيقة الإحصائية التى تسجل أن المسلمين أكثر عددا من المسيحيين فى القاهرة بشكل لافت، فقد بلغت نسبتهم فى تعداد 1976، 89.83 ٪ مقـــابل 10.13 ٪ من المسيحيين. أما تفسير ارتفاع تلك النسبة من المترددـــن المســـيحيين علـــى المشتغلين بالسحر، فهو أن معظمهم من الطبقة المتوســـطة ذات التطلعات والحرص على النجاح، والقلق الكثير، كما أن جزءا كبيرًا من هذه النسبة تتألف من الأغنياء الحريصين دائمًا على الثراء والنجاح.

7- دل البحث على أن حوالى ثلث المترددين على المشتغلين بالسحر من الأميين وذلـــك بنســـبة 30.40 ٪، كما أن هناك نسبة كبيرة تصل إلى الربع تقريبًا وتبلغ 24.71 ٪ منهم يقرأون ويكتبون، ويسترعى النظر أن بقية المترددين وتـــبلغ نسبتهم أكثر من النصف إذ تصل إلى 55.11 ٪ من مجموعهم من المتعلميـــن الموزعين على مراحل التعليم المختلفة بنسب متفاوتة أعلاها من تحرجوا من المدارس 15.06 ٪، ومن نالوا تعليما عاليا بنسبة 17.47 ٪.

ويلاحـــظ أن هـــناك ارتباطا بين المستوى التعليمى للمتردد على المشتغل بالســـحر، وبين دوافعه للتردد. فالأمى يذهب لأسباب تتعلق معظمها بفك العمل، وفـــك الـــربط، والزواج، والمرض. أما المتعلمون، والمثقفون فيذهبون لأسباب تـــتعلق بالـــنجاح فى الدراسة، والنجاح فى العمل والتطلعات المختلفة، ومسائل الحب والزواج، والأمراض الميئوس منها، والتى أخفق الطب فى علاجها، ويمكن تفســـير ذلـــك بأن المتعلمين بوجه عام أكثر قلقا وأكثر مجابهة للمشاكل، وأعقد حياة ومطالبا من الأميين.

8- تبيـــن من البحث أن المترددين على المشتغلين بالسحر أغلبهم متزوجين بنسبة

51.28 ٪ يلــى ذلك العزاب بنسبة 28.27 ٪، ثم الأرامل بنسبة 12.21 ٪، ثم المطلقين بنسبة 8.23 ٪.

وتــدل هذه النتيجة على أن المتزوجين من المترددين أكثر استشعارًا من غيرهم بالمشكلات التى تواجههم، تلك المشكلات المترتبة على الزواج، والمسائل المادية، والرغبة فى الاحتفاظ بالزوج (فى الأعم الأغلب)، أو الزوجة.

أمــا العــزاب مــن المترددــين فهــم أقل عددًا، وأقل إحساسًا بالمشكلات فمشــكلاتهم تنحصر فى الرغبة فى نيل رضا المحبوب، ومشكلات الحب عمومًا والخــوف من الفشل فيه، والرغبة فى التأكد من أن المحبوب يبادل الطرف الآخر الحــب، واختــيار الشــريك، هذا إلى جانب مشكلات النجاح فى الدراسة والحياة العملية وابتداء حياة سعيدة من كل النواحى.

أمــا الأرامل من المترددين، وكذلك المطلقين فمشكلاتهم معروفة ومحدودة مجالاتهم الخاصة.

9- **دل البحــث علــى أن أغلبــية المترددــين علــى المشتغلين بالسحر من الموظفيــن، وذلــك بنسبة 72.4 ٪، يليهم العمال بنسبة 22.2، ثم التجار بنســبة 5.4 ٪**، ومــرد ذلــك أن للموظف مطالب كثيرة، فهناك تطلعات الوظــيفة، وهمومها، واحتكاكات الرؤساء، والزملاء، والمرءوسين، كما أن الأعباء الملقاة على عاتقه كثيرة من زوجته وأولاده، فهو غالبا إما مكدود أو مطحــون. أمــا العــامل فله أيضا أسبابه فى التردد على المشتغلين بالسحر وأهمهــا الــتطلعات الجديــدة مثل الرغبة فى الاشتغال فى دولة عربية، أو الــزواج مــن فــتاة أعلى منه تعليما، أو الرغبة فى معرفة مدى نجاحه فى مشــروع ينوى تنفيذه .. إلخ، أما التجار فيترددون للتأكد من نجاح صفقاتهم ومشــروعاتهم، أو لمعــرفة مــن ســرق أحد مخازنهم، أو أذاع أسرارهم لمنافسيهم.

10- ظهــر مــن البحــث أن الجيران، والأقارب، والأصدقاء، وزملاء العمل، وزملاء الدراسة على الترتيب هم المصادر الهامة التى عرف المترددين عن طــريقهم المشتغلين بالسحر، وأن دور مسائل الإعلام المتمثل فى الإعلانات الــتى ينشرها المشتغلون فى الصحف اليومية أو المجلات لم يظهر فى هذه البحــث. فالعلاقات الأولية والحميمة Face to face relationships هى التى تلعب دورًا فى هذا المجال، ويبدو أن الذى يرغب فى الذهاب إلى أحد المشــتغلين بالسحر يود أن يتأكد بنفسه من أن آخرين يعرفهم جيدًا قد ذهبوا إلــيه، وأكدوا فعاليته مما لا يتوفر للإعلانات. ويمكن أن نشبه ذلك، بموقف من يسأل جيرانه وأقاربه، وأصدقائه عن مدى مهارة طبيب معين.

11- تبيــن من البحث أنه بينما ذكر أكثر من نصف المترددين على المشتغلين بالســحر، بقــلل أنهم لا يشعرون بفائدة من ترددهم، وذلك بنسبة تصل إلى 57.50 ٪ نجــد أن عــددا كبيرًا أيضا من المترددين يستشعرون فائدة من تــرددهم، بل ويذكرون بالتفصيل كيف استفادوا من ترددهم على المشتغلين بالسحر وتبلغ نسبة هؤلاء 42.50 ٪.

ويتضح من ذلك أن ظاهرة السحر باقية ولن تختفى لأن هناك من يشعرون عن صدق أو عن وهم بأن التردد على المشتغلين بالسحر يفيدهم، ولو كان الأمر علــى خلاف ذلك، لتركوا هؤلاء المشتغلين، وطرقوا باب الطب فى القضاء على المرض، والشرطة فى العثور على المسروق ولاختفت هذه الظاهرة.

12- كشــف البحــث عــن أن أكثر من نصف المترددين بنسبة 58.38 ٪ من مجموعهــم الكلــى يترددون على المشتغلين بالسحر بدافع حب الاستطلاع، ولعــل فى ذلك تفسير وجود نسبة كبيرة من المشتغلين تتخصص فى قراءة الفنجان والكف والكوتيشنة وذلك لمقابلة احتياجات هؤلاء المترددين لمعرفة المســتقبل أو كشــف الغيــب، تلى ذلك نسبة أقل بكثير وتبلغ قرابة خمس المترددين، وتذهب بدافع التسلية وقضاء الوقت وتبلغ هذه النسبة 18.61 ٪

من مجموعهم الكلى، وأغلبها من المثقفين، ويذهبون لمجرد التسلية ومعرفة شيء مختلف. يلى ذلك نسبة من المترددين تذهب بدافع دينى لأنهم يعتقدون بالفعل أن الدين يعترف بالسحر، وأغلب هذه النسبة من الأميين. وتبلغ 13.35 ٪ من المجموع أما الباقى فيذهبون بدافع اليأس من الطرق العلمية أو الطبية فى علاج أمراضهم. وهؤلاء خليط من المتعلمين والأميين على السواء.

13- أفصح البحث عن أن الغالبية العظمى من المترددين، من كل المستويات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية، وتبلغ نسبتهم 98.01 ٪ من مجموعهم الكلى يذهبون إلى أن السحر معترف به من الدين ويستندون فى تأكيد ذلك إلى أن السحر مذكور فى التوراة والإنجيل والقرآن، رغم أنهم لا يتعمقون فى كيفية ورود ذكر السحر فى الكتب السماوية، وموقف هذه الكتب من السحر بعامة، ولعلهم يجدون فى معتقدهم هذا تبريرا كافيا للجوءهم إلى المشتغلين بالسحر، كما أن هؤلاء المشتغلين بدورهم، يقوون هذا المعتقد حتى تروج بضاعتهم.

وتؤكد النتيجة السابقة ما سبق أن ذهبنا إليه فى الجزء النظرى من اختلاط ظاهرة السحر فى مصر بالدين، واستغلال المشتغلين بالسحر فى مصر لهذه الحقيقة كى يضمنوا سهولة التأثير على الناس، وإصابة الكسب الوفير.

كما بين البحث أن هناك نسبة قليلة من المترددين تذهب إلى أن الدولة تعترف بالسحر، وتستند فى ذلك إلى أن الدولة تسمح بتداول كتب السحر، والطالع، والكوتشينة، والفنجان، وتسمح أيضا للمشتغلين بالسحر بالإعلان عن أنفسهم فى الصحف اليومية، وبعض المجلات مشفوعا بألقاب "البروفسور"، و"الدكتور" حتى يزيد تأثيرهم على الأفراد.

الملاحق

خريطة أحياء القاهرة

"الخريطة السحرية لمحافظة القاهرة "

(١)

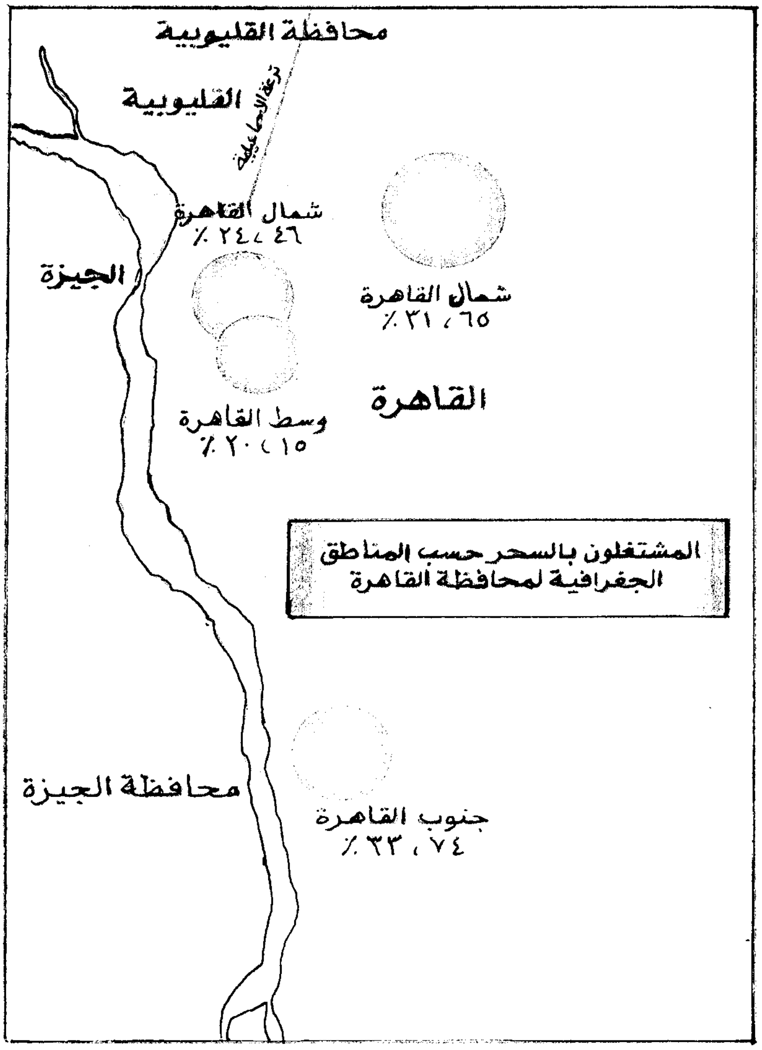

"الخريطة السحرية لمحافظة القاهرة"

(2)

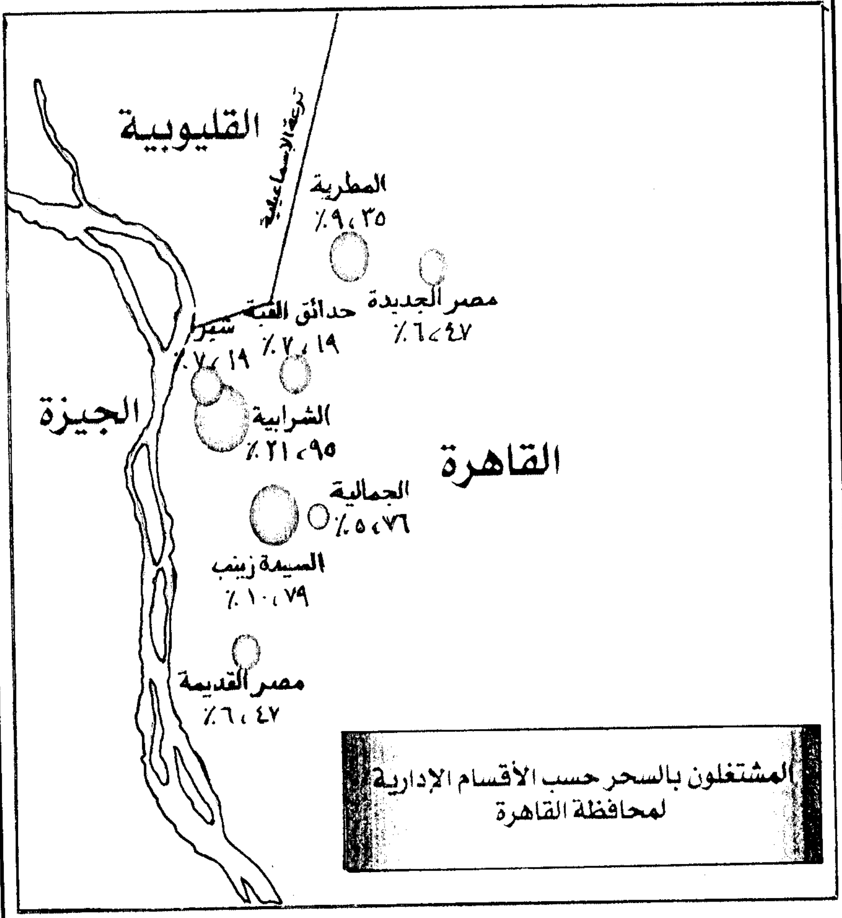

السحر فى القاهرة

بحث ميدانى فى مدينة عاصمية

صحيفة الاستبيان الخاصة بالمشتغلين

اسم الباحث:..............................

تاريخ تطبيق الصحيفة:.....................

البيانات الأساسية

1- النوع:

ذكور ☐

أناث ☐

2- الســـــن :..

3- محل الميلاد:..

4- المنطقة الإدارية:......................................

5- الـــديـــانـــــة:

مسلم ☐

مسيحى ☐

6- المستوى التعليمى:...................................

7- الحالة الاجتماعية:...................................

8- التخصص:..

فنجان ☐

مندل ☐

كوتشينه ☐

كف ☐

9- الدخل:..

10- درجة الشهرة

مشهور جدًا ☐

مشهور ☐

نصف مشهور ☐

مغمور ☐

11- الكتب التى يستخدمها

ياترى إيه الكتب اللى بتستخدمها فى شغلك ؟

القرآن ☐

الإنجيل ☐

التوراة ☐

كتب الجان ☐

كتب أخرى تذكر ☐

12- يا ترى إيه الحاجات اللى أنت بتستخدمها فى شغلك ؟

حيوانات ☐

طيور ☐

أشياء أخرى تذكر ☐

13- ياتـرى أنـت تطلب من الناس كلهم زى بعضهم واللا بتطلب من الفقير حاجة ومن الغنى حاجة تانية ؟

كلهم زى بعضهم ☐

من الفقير حاجة ومن الغنى حاجة ☐

14- طب بتطلب إيه من الغنى وبتطلب إيه من الفقير؟

15- ياترى الشغلة دى شغلتك الوحيدة ولا لك شغلة ثانية؟

شغلته الوحيدة ☐

له شغلة تانية ☐

16- ياترى الشغلة دى أنت ورثتها عن حد ولا هويتها؟

ورثها ☐

واخدها غية ☐

17- تفتكر أنت بتقدم بشغلتك دى خدمات للناس؟

نعم : ☐

لا : ☐

18- لمن أجاب بنعم

إيه هى الخدمات دى ؟

19- إذ جـــالك واحـــد لمجرد التسلية وأنت عايز تقنعه أن شغلك ده ليه قيمة تقوله إيه؟

20- تفتكر أنت تقدر تعمل حاجة لوحدك ولا كله بإذن الله؟

يقدر يعمل حاجة لوحده ☐

كله بإذن الله ☐

السحر فى القاهرة

بحث ميدانى فى مدينة عاصمية

صحيفة الاستبيان الخاصة بالمترددين

اسم الباحث:.................................

تاريخ تطبيق الصحيفة:.......................

البيانات الأساسية

1- النوع:

أنثى ☐

ذكر ☐

2- الســــن :

أقل من 20 سنة ☐

من 20 – 30 سنة ☐

من 30 – 40 سنة ☐

من 40 – 50 سنة ☐

أكثر من 50 سنة ☐

3- محل الميلاد:...

4- محل الإقامة:...

5- المنطقة الإدارية:...

6- الـديــانـــــة:

مسلم ☐

مسيحى ☐

7- مستوى التعليم:...................................

أمى ☐

يقرأ فقط ☐

يقرأ ويكتب ☐

ابتدائى ☐

إعدادى ☐

ثانوى ☐

جامعى ☐

فوق الجامعى ☐

8- الحالة الاجتماعية:.................................

اعزب ☐

متزوج ☐

مطلق ☐

أرمل ☐

9- المهنة:..

10- الدخل:...

مرتب ☐

أجر ☐

دخل خارجى ☐

الهدف من التردد

11- ياترى انت جاى ليه ؟ ☐

أسباب اختيار هذا الشخص بالذات

12- ياترى أنت سمعت على فلان وفلانة منين ؟

من أقارب ☐
من أصدقاء ☐
من جيران ☐
من زملاء فى العمل ☐
من زملاء فى الدراسة ☐
من وسائل الإعلام ☐
(الجرنان – المجلات – الإذاعة – السينما)

عدد مرات التردد

13- يا ترى دى أول مرة تيجى هنا وإلا جيت قبل كدة ؟

أول مرة ☐
جيت قبل كدة ☐

14- لمن (تردد أكثر من مرة) طيب أنت جيت كام مرة قبل كده ؟

15- طيب أنت لقيت من مجيتك هنا فايدة ؟

نعم ☐
لا ☐

16- (فى حالة نعم) إيه هى الفايدة ؟

قرب المشتغل أو بعده من المتردد

17- ياترى أنت ساكن قريب من المشتغل

فى المنقطة الإدارية نفسها ☐
فى الحى نفسه ☐

في المحافظة نفسها ☐

خارج المحافظة ☐

18- ياترى أنت بتدفع فلوس وإلا حاجة غير الفلوس ؟

فلوس ☐

أشياء أخرى ☐

لا يدفع شيء ☐

الدافع إلى التردد

19- ياترى إيه اللى خلاك تيجى لـــ..... من الأول ؟

اليأس من الطرق العلمية والطبية ☐

اعتقاد دينى ☐

مجرد تسلية ☐

حب استطلاع ☐

20- درجة الشهرة:

مشهور جدًا ☐

مشهور ☐

نصف مشهور ☐

مغمور ☐

21- تفتكر إن السحر ده شيء معترف به من

الدولة ☐

ليه ؟ ☐

الدين ☐

ليه ؟ ☐

مراجـع الكتــاب

أولاً : مراجع باللغة العربية

(أ) مراجع عامة

1- القرآن الكريم.

2- الكتاب المقدس، العهد القديم، 1948.

3- الكتاب المقدس، العهد الجديد، بيروت، منشورات المطبعة الكاثوليكية.

4- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، جزءان، 1960، 1961.

5- التعداد العام للسكان والإسكان 1976، الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء، القاهرة، النتائج التفصيلية، مرجع رقم 93 – 1511، 1978.

6- قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى، بيروت، 1971، ط 2.

7- معجم العلوم الاجتماعية، إعداد نخبة من الأساتذة المصرين والعرب المتخصصين، تصدير ومراجعة إبراهيم مدكور، القاهرة الهيئة المصرية للكتاب، 1975.

8- محمــد فــؤاد عبدالــباقى، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة، مطابع الشعب، 1378 هـ.

(ب) كتب ودوريات :

9- إبراهيم مدكور، الخرافة، مجلة الرسالة، القاهرة، عدد 100.

10- ابن خلدون، المقدمة، القاهرة، المكتبة التجارية، بدون تاريخ.

11- أبوبكــر الباقلانى، البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات، والسحر، عنى بنشره ريتشارد، مكارثى، بيروت، دار صادر، 1958.

12- أحمـــد أبـــو زيد، تايلور، مجموع نوابغ الفكر الغربى، القاهرة، دار المعارف، 1958.

13- أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، القاهرة، 1953.

14- أحمد تيمور باشا، الأمثال العامية، القاهرة، مطابع دار الكتاب العربى، 1956، ط 2.

15- أحمد الحوفى "ألوان من اسكتناه الغيب فى العصر الجاهلى"، الهلال، عدد يناير، 1975.

16- أحمد الشرباصى، حديث السحر فى القرآن، الهلال عدد يناير 1975.

17- أحمد الشنتناوى، فنون السحر، القاهرة، دار المعارف، 1957.

18- إدوارد وليم لين، المصريون المحدثون، شمائلهم وعاداتهم، ترجمة عدلى طاهر نور القاهرة، الطبعة الأولى، 1950.

19- إنجلـــيزى يـــتحدث عن مصر، ترجمة فاطمة المحجوب، القاهرة، دار التحرير للطباعة والنشر، سلسلة كتب للجميع، 1957.

20- المجتمع العربى فى العصور الوسطى، ترجمة على حسنى الخربوطلى، القاهرة الدار القومية، 1960.

21- أرنولـــد جـــيزل وآخرون، الحضين والطفل فى ثقافة اليوم، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، القاهرة، دار الكرنك للنشر، 1964.

22- البونى، شمس المعارف الكبرى، القاهرة، مطبعة محمد على صبيح.

23- البونى، منبع أصول الحكمة، القاهرة، مكتبة ومطبعة عباس بن شقرون 1956.

24- بـــول غلـــيونجى، طب وسحر، القاهرة، المكتبة الثقافية، العدد 5، الناشر مكتبة النهضة، بدون تاريخ.

25- ج، ج، كــراوذر، صــلة العلم بالمجتمع، ترجمة حسن خطاب، مراجعة محمد مرسى أحمد، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، مجموعة الألف كتاب، رو(211)، جـ 1، بدون تاريخ.

26- جــيمس برســتد، تطــور الفكر والدين فى مصر القديمة، ترجمة زكى سوس القاهرة، دار الكرنك، 1961.

27- جيمس فريزر، الغصن الذهبى، دراسة فى السحر والدين، ترجمة أحمد أبو زيد، وآخرين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، الجزء الأول، 1971.

28- حســن الســاعاتى، علــم الاجتماع القانونى، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968، ط 3.

29- المسح الاجتماعى لدائرة باب الشعرية، القاهرة، جامعة عين شمس، 1961.

30- دى شــابيرول، وصف مصر، دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين، ترجمة زهير الشايب، القاهرة، مكتبة الخانجى.

31- سامية حسن الساعاتى، "دور المثقفات المصريات فى التغير الاجتماعى"، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومى للبحوث الجنائية والاجتماعية 1981.

32- ســعد الخــادم، الفــن الشــعبى والمعــتقدات السحرية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، مجموعة الألف كتاب رقم (488)، 1964.

33- سيد عويس، حديث عن الثقافة، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، 1970.

34- الإبداع الثقافى على الطريقة المصرية، دراسة عن بعض القديسين والأولياء فى مصر، القاهرة، 1980.

35- سيد كريم "السحر والسحرة عند قدماء المصريين"، الهلال العدد الأول يناير، 1975.

36- صــمويل باســيليوس، "السحر ظاهرة اجتماعية عند الشعوب المتخلفة" مجلة كلية الأداب، جامعة القاهرة، المجلد السادس والعشرون الجزءان الأول والثانى، 1969.

37- عـبدالرازق نوفـل، التاروت وسحر هاروت وماروت، القاهرة، كتاب القاهرة، كتاب اليوم، العدد 178، يناير 1981.

38- عبدالفتاح الطوخى، السحر العجيب فى جلب الحبيب، القاهرة، مكتبة القاهرة، جـ 1.

39- عبدالفتاح الطوخى، تسخير الشياطين فى وصال العاشقين، القاهرة، مكتبة القاهرة.

40- فوزية دياب، نمو الطفل وتنشئة، مكتبة الأسرة، 2002.

41- القيم والعادات الاجتماعية، بيروت، دار النهضة العربية، مكتبة الأسرة، 2003.

42- الفولكلـور الأمـريكى، تأليف 25 باحثا من المتخصصين، ترجمة نظمى لوقا، مطبعة دار العالم العربى، 1980.

43- لـيفى بريل، العقلية البدائية، ترجمة محمد القصاص، مراجعة حسن الساعاتى، القاهرة، مكتبة مصر، بدون تاريخ.

44- محمد جعفر، كتاب السحر، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1958، الطبعة الأولى.

45- محمـد الجوهـرى، "التراث الشعبى: وجهة نظر محددة فى تحديد موضوعات الدراسة"، حوليات كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد الثلاثون 1968.

46- السـحر الرسـمى والسحر الشعبى، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، العدد الثانى، مايو 1970.

47- "الجن فى المعتقد الشعبى المصرى"، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائي، المجلد التاسع، العدد الأول، يناير 1972.

48- علم الفولكلور، دراسة المعتقدات الشعبية، القاهرة، دار المعارف، الجزء الثانى، الطبعة الأولى، 1980.

49- محمـد حسـنين مخلـوف، المطالب القدسية فى أحكام الروح وآثارها الكونية، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى، 1963، ط 2.

50- محمــد طلعــت عيســى، دراسات فى الاجتماع الريفى، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، 1960.

51- محمد عمر، حاضر المصرين أو سر تأخرهم، القاهرة، مطبعة المقتطف 1902.

52- محمــد فخر الدين السبكى، مذكرات طبيب فى الأرياف، القاهرة، مكتبة الآداب، 1946.

53- مصطفى فهمى الحكيم، أسرار الجن، القاهرة، المطبعة العصرية بمصر، 1935، ط 1.

54- نبيل صبحى حنا، السحر: دراسة مسيحية للسحر والسحرة والمتعاملين معهم فى ضوء الكتاب المقدس، مراجعة وتقديم الأنبا غريغوريوس، القاهرة، 1974.

55- نجيــب اســكندر إبراهيم ورشدى فام منصور، التفكير الخرافى، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1962.

56- هربــرت ريــد، تربية الذوق الفنى، ترجمة يوسف ميخائيل أسعد، القاهرة، دار النهضة العربية، 1976.

57- وليام هاولز، ما رواه التاريخ، ترجمة أحمد أبو زيد، القاهرة دار نهضة مصر، 1965.

58- ويلاند د. هاند، "مخافة الأرباب": الاعتقاد الخرافى فى المعتقد الشعبى الفولكلور الأمريكى، تأليف 25 باحثا من المتخصصين، ترجمة نظمى لوقا، القاهرة، مطبعة دار العالم العربى، 1980.

59- يوسف بدوى، التفاؤل والتشاؤم، القاهرة، دار المعارف، 1980.

60- يوسف ميخائيل أسعد، السحر والتنجيم، القاهرة دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1978.

* * * *

ثانيًا : مراجع باللغة الإنجليزية والفرنسية

1- Oxford Dictionary of Sociology, (ed) Gordon Marshall, Oxford University Press, 1998.

2- Dictionary of Sociology. Fairchild, H. P. (edr). New Gersey. Little - field - Adams Co. 1964.

3- Dictionary of the Social Sciences, (eds.) Gould and Kolb, Great Britain, Tavistock Publications. 1964.

4- Encyclopedia Britannica, Vol. 14, 1965.

5- Encyclopedia of the Social Sciences, Seligman, and Johnson, A. (eds) Volums IX - X, 1963.

6- Encyclopedia of Superstitions, Radford E., & Mona., London, Rider Co.. 1974.

7- The New Encyclopedia Britanica, in 30 vol. Vo. 1, 1975.

8- Aron R.. Main Currents in Sociological Thought England Penguine Books. 1965.

9- Blackman W.. The Fellaheen of Upper Egypt, 1929.

10-Castiglioni, A.. Incantation et Magie, Paris, Payot, 1951.

11-Cassier, E.. An Essay on Man Doubleday, Co., Inc., N. Y.. 1953.

12-Doutte, Edmund, Magie et Religion dans l'Afrique du Nord, Alger, 1909.

13-Flugel., J.C.. A Hundred Years of Psychology, London, Pelican Books. 1940.

14-Firth, Raymond (ed). Man and Culture, London. Routledge & Kegan Paul, 1970.

15-Freud. Totem and Taboo, England, Penguin Books, 1940.

16-Gillin and Gillin, Cultural Sociology, N. Y. Macmilan, 1954.

17-Hubert. H. AND Maulss M. Esquisse d'une Theorie Generale de la Magie L'Annee Sociologique, Paris. 1902 - 3 vol. VII.

18-Kardiner A. and Preble E., They Studied Man. Secker and Warfurg, London, 1962.

19-Kluckhoh. & Kelly . The Concept of Culture. In R. Linton (ed.): The Science of Man in the World Crisis. N. y. Columbia University Press, 1945.

20-Kretch O.. & Crutchfield. I. R., Theory and Problems of Social Psychology. N. Y.. McGraw Hill. 1948.

21-Malinowski, B., Magic. Science and Religion, Illionis, The Free Press. 1948.

22-Malinowski, B., The Dynamics of Culture Change: An Inquiry into Race Relations in Africa. (ed) Phillis M. Kaberry, New Haven. Yale University Press. 5th Printing. 1958.

23-Malinowski, B., Argonauts of the Western Pacific. N. y. Dutton and CO. INC.. 1961.

24-Muller. Max. Egyptian Mythology, London, 1942.

25-Pritchard. Evans. Witchcraft, Oracles and Magic among the Azandé, Oxford, 1937.

26-Pritchard Evans. The Nuer; A Description of the Modes of Livelihood and Political Institutions of a Nilotic People, Oxford University Press. 1940.

27-Rath. W. E. Superstition, Magic and Medicine, Ethnography, Vol. 121.

28-Russel. B.. History of Western Philosophy, London, George Allen and Unwin Ltd. 1951.

29-Skinner. B. F.. Science and Human Behavior, N. Y. The Macmillan Co. 1953.

30-Summer. William Graham, Folkways : A Study of the Sociological Importance of Usages, Manners, Customs, Mores, and Morals, N. Y., 1940.

31- Thorondike. Lynn.. A Short History of Civilization, 2nd edn. Appleton Century - Crofts. Inc.. N. Y.

الفهـرس

الموضوع	الصفحة
●● الإهداء	7
●● تقديم	9
●● استهلال	11

القسم الأول

الناس والسحر.. الدراسة النظرية

الموضوع	الصفحة
●● الفصل الأول: ظاهرة السحر - لمحة تاريخية	21
* تمهيد	23
* السحر عند الكنعانيين	26
* السحر عند الكلدانيين	27
* السحر فى المجتمعات البدائية	29
* السحر عند قدماء المصريين	39
* السحر عند اليونان القدماء	52
* السحر عند الرومان القدماء	53
●● الفصل الثانى: المفهومات الأساسية والمرتبطة بالسحر	55
* تمهيد	57
* مفهوم السحر فى اللغة العربية	57
* مفهوم السحر فى القرآن الكريم والشرع الإسلامى	59
* مفهوم السحر من المنظور السوسيلوجى والأنثربولوجى والسيكلوجى	62

الموضوع | الصفحة

ثانيًا: المفهومات المرتبطة بالسحر 66

* الخرافة 67
* التفكير الخرافى 87
* العرافة 88
* الكهانة 90

ثالثًا: المفهومات المتعلقة ببعض الوسائل والإجراءات السحرية الهامة 90

* التعويذة 90
* الحجاب 91
* الرقية 92
* العين 93
* الحسد 93
* الاستخارة 95
* المندل 95
* الربط 95

●● الفصل الثالث: تصنيفات السحر - عرض تحليلى نقدى 97

* تمهيد 99

أولا: تصنيفات السحر لدى علماء الأنثوبولوجيا والاجتماع 99

* السحر الأسود والسحر الأبيض 99
* السحر التشاكلى 100
* السحر الاتصالى 104
* السحر الإيجابى والسحر السلبى 107

الموضوع الصفحة

* السحر الرسمى والسحر الشعبى 108
* سحر التنبؤ وسحر العلاج 117
* السحر النظرى والسحر العملى 118
* سحر الإنتاج والوقاية والهدم 118
ثانيًا: السحر عند علماء المسلمين 119
* الرازى 119
* الأصفهانى 120
* ابن كثير 120
* ابن العربى والبونى 122
●● **الفصل الرابع: السحر والدين** 131
* تمهيد 133
* نظرية السحر والدين (فريزر) 134
* موقف اليهودية والمسيحية من السحر 138
* السحر فى الإسلام 140
* حكم السحر فى الإسلام 149
* بين السحر والمعجزة فى الإسلام 153
●● **الفصل الخامس: السحر كظاهرة اجتماعية** 155
* تمهيد 157
* ظاهرة السحر والعلوم الاجتماعية 161
* ظاهرة السحر والعادات الاجتماعية أو الطرق الشعبية 167
* ظاهرة السحر والتنشئة الاجتماعية 170

الموضوع الصفحة

* الوظيفة الاجتماعية الظاهرة للسحر 174
* السحر فى سوسيولوجيا المجتمع المصرى الحديث 177
* دور ظاهرة السحر فى المجتمع المصرى 190

القسم الثانى

الناس والسحر .. البحث الميدانى

●● الفصل السادس: بحث اجتماعى ميدانى......................... 201
* خطة البحث 203
* هدف البحث 203
* مجال البحث... 203
* منهج البحث 205
●● الفصل السابع: المشتغلون بالسحر 207
* تمهيد 209
* بيانات أساسية عن المشتغلين 209
* نوع المشتغلين.. 209
* أعمار المشتغلين 210
* محل ميلاد المشتغلين 211
* المشتغلون حسب الأقسام الإدارية فى القاهرة 213
* المشتغلون حسب الديانة 218
* المشتغلون حسب مستوى التعليم...................................... 219
* المشتغلون حسب الحالة الاجتماعية 220

الموضوع | الصفحة

* المشتغلون حسب التخصص 221
* المشتغلون حسب مصادر الدخل الشهرى.................... 222
* المشتغلون حسب درجة الشهرة.............................. 223
* المشتغلون حسب الكتب المستخدمة فى المهنة.................... 224
* المشتغلون حسب الوسائل المستخدمة فى المهنة 225
* المشتغلون حسب تنوع مطالبهم من الفقراء والأغنياء 226
* المشتغلون حسب الوراثة والهواية.............................. 228
* مدى اقتناع المشتغلين بالسحر 229
●● الفصل الثامن: المترددون على المشتغلين بالسحر 231
* تمهيد 233
* بيانات أولية عن المترددين...................................... 233
* حسب النوع 233
* حسب فئات السن.. 234
* حسب محل الميلاد.. 236
* حسب الأقسام الإدارية.. 238
* حسب الديانة.. 242
* حسب مستوى التعليم 242
* حسب الحالة الاجتماعية... 244
* حسب المهنة.. 245
* المصادر التى عرف المترددون عن طريقها المشتغلين 247
* عدد مرات التردد 249

الموضوع الصفحة

* مدى شعور المتردد بالفائدة 249
* المترددون حسب ما يدفعونه للمشتغلين 250
* الدوافع إلى التردد.. 251
* رأى المترددين فى اعتراف الدولة والدين بالسحر 252
●● **الفصل التاسع: السحر فى مدينة القاهرة – نتائج البحث**........... 253
* نتائج خاصة بالمشتغلين 255
* نتائج خاصة بالمترددين 258
●● الملاحق.. 265
* خريطة خاصة بأحياء القاهرة.. 267
* الخريطة السحرية رقم (1) لمحافظة القاهرة............................ 268
* الخريطة السحرية رقم (2) لمحافظة القاهرة............................ 269
●● صحيفة الاستبيان الخاصة بالمشتغلين بالسحر 271
●● صحيفة الاستبيان الخاصة بالمترددين (على المشتغلين بالسحر)............ 277
● مراجع الكتاب.. 283
● الفهرس 291